مفهوم الشر ومصدره
بين
السلف والمعتزلة



إعداد

حمدان بن محمد الحمدان

قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في قسم الثقافة الإسلامية كلية التربية جامعة الملك سعود.

مفهوم الشر ومصدره
بين
السلف والمعتزلة

إعداد

حمدان بن محمد الحمدان

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٤٠ هـ

وتم إجازتها .

بإشراف

د . أحمد محمد أحمد جلي

وعضوية كل من :

١-

٢-

نوقشت هـذه الرسالة بتاريخ ١٤٠٢هـ

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق. ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد. ومن شر حاسد إذا حسد .

...

تقديم

تقديم

الإيمان بالقدر ، خيره وشره ، هو الركن السادس من أركان الإيمان ، فلا غرو أن اخترت موضوع " مفهوم الشر ومصدره ، بين السلف والمعتزلة " ذلك لأنه يمثل جانبا مهما من جوانب الإسلام الكبيرة ، وذلك من أجل إلقاء شيء من الأضواء على هذه المسألة العقيدية الهامة ، مقارنا بين منهجين من مناهج تفكير المسلمين في تناولها ، وهما مدرسة السلف وهم أهل السنة والحديث ، ومدرسة أهل الاعتزال ، بهدف الخروج برأي مؤيد لإحداهما ، أو مستقى منهما معا ، أو حتى خارجا عنهما ، دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أمور منها :

١- أن مسألة الشر مفهوما ومصدرا تمثل جزءا من الإيمان ، فخدمته خدمة للعقيدة الإسلامية ومساهمة في صقل جوانبها ، فالإيمان على بصيرة من ألزم الواجبات .

٢- أن هذه المسألة تفرض نفسها على العقل في كل عصر ، فهي قديمة حديثة في آن واحد ، لأنها مشكلة الإنسان حيثما وجد ، لذلك عرضت لها الأديان السماوية ، واهتمت بها المذاهب الفلسفية ، وتعددت حولها الآراء ، واختلفت مناهج البحث ووسائل الحل ، لأن كل مذهب تعرض لهذه المشكلة فإنما يعبر في موقفه منها عن طبيعة ذلك المذهب ، وموقفه من العقائد الدينية ، ومدى تقبله للحلول المقترحة من وجهة نظر الدين أو رفضها . (١)

٣- أن هذا الموضوع يكتسب أهمية خاصة في هذا العصر الذي تزحف فيه الحضارة الغربية على ديار المسلمين ، بإيجابياتها وسلبياتها ،

---

(١) انظر ، قضية الخير والشر ، ص ٥ .

ومن أبرز هذه السلبيات ارتفاع نسبة الأمراض النفسية والعصبية ، التي تنشأ في الغالب من الأحزان التي يخلفها الماضي ،أو الهموم التي يولدها الحاضر ، أو المخاوف التي تهدد الإنسان في المستقبل، وهذا كله ماتعالجه عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره. (١)

٤- وبالإضافة إلى ماتقدم ، فإن لهذه المسألة قيمة حضارية كبيرة ، فحيثما كانت عقيدة القضاء والقدر مأخوذة على الوجه الأمثل ـ ومن ضمنها معرفة الشر ومصادره ـ كانت هذه العقيدة من أهم الدوافع إلى الحركة والنشاط والجهاد ، حيث تتركز طاقات الإنسان المعنوية والمادية ، ولا تبددها المخاوف والأوهام ، وعندما تخلفت الأمة وضعفت واستكانت صارت هذه العقيدة إلى وضع لا يرضاه الله ولا رسوله ، حيث جعلت ذريعة للجبن والتخاذل ، والتعطل والتبطل، فلها فضل عظيم على تقدم المسلمين ، وهي بريئة من تخلفهم . (٢)

وقد رأيت أن أقسم هذه الرسالة ، إلى مقدمة ، وبابين وخاتمة . .

حاولت في المقدمة أن أحدد مفهوم الشر في اللغة العربية ، ومفهوم مصطلح (السلف) ، وماذا يراد بتسمية (المعتزلة) ، وهي القضايا الرئيسية التي يشملها عنوان هذه الرسالة (مفهوم الشر ومصدره بين السلف والمعتزلة) .

وفي الباب الأول عالجت مشكلة الشر مفهوما ومصدرا في القرآن والسنة، محاولا بذلك أن أضع التصور الإسلامي الصحيح لجوانب هذه القضية ، وأن أحدد النظرة الإسلامية لمشكلة الشر ، كما تحددها المصادر الأصلية ،

---

(١) انظر ، حول العالم في ٢٠٠ يوم ، ص ٦٢٥ . وصفحات مضيئة من تراث الإسلام ، ص ٤٥١ .

(٢) انظر كتاب : الله في العقيدة الإسلامية ، ص ١٢٣ .

وذلك حتى يتبين فيما بعد ، مدى اتفاق السلف والمعتزلة واختلافهم مع التصور الإسلامي الصحيح .

وفي الباب الثاني تعرضت لبيان موقف علماء السلف من هذه القضية وأدلتهم وتفصيلاتهم مكتفيا بنماذج من كتابات بعض رجالهم ، ثم عرجت بعد ذلك على آراء مفكري المعتزلة في مفهوم الشر ومصدره من خلال مايوجد بين أيدينا من كتبهم ، محاولا نقل صوره واضحة عن تصورهم وعقيدتهم إزاء هذه القضية ، ومن ثم التعرف على مواطن القوة ونقاط الضعف في عقيدتهم وأسباب اختلافهم مع السلف الذي أدى إلى تفردهم بهذا الاعتقاد والتصور .

وفي الخاتمة راعيت ذكر النتائج التي توصلت إليها خلال سير البحث ، ولمّ أطراف هذا الموضوع ، والوصول إلى الخلاصة العامة له .

هذا وإني أتقدم إلى " جامعة الملك سعود " بجزيل الشكر والتقدير[1] على إتاحتها لي ولزملائي الفرصة للدراسة لديها في كلية التربية / قسم الثقافة الإسلامية والذي أتقدم بالشكر الخالص لمنسوبيها ممثلين في عميدها ولرئيس القسم وأعضائه الأفاضل .

كما وأشكر - من الأعماق - أستاذي الكريم د / أحمد محمد أحمد جلي الذي أشرف على إعداد هذا البحث ، وأعطاني من راحته وعلمه ووقته الكثير .

---

(١) أخرج أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لايشكر الله من لايشكر الناس. وفي رواية للترمذي : من لم يشكر الناس لم يشكر الله . قال الترمذي : حديث حسن صحيح ، كما أخرجه الإمام أحمد ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، جـ ٢ ، ص ٥٥٩ .

مقدمـــــــــة

مقدمـــــــــة

قبل أن نتناول قضية الشر بين السلف والمعتزلة لابد لنا من أن نحاول تحديد مفهوم الشر في اللغة العربية ، وبيان ماذا نريد بالسلف ، مع تعريف موجز بمدرسة الاعتزال ومنهجها في معالجة مشكلات العقيدة .

مفهوم الشر في اللغة العربية :

أصل الكلمة الشين والراء وهو أصل واحد يدل على الانتشار والتطاير ، من ذلك الشر خلاف الخير ، ورجل شرير ، وهو الأصل ، لانتشار شره وكثرته (١) ، والشرر ما تطاير من النار ، الواحدة : شررة ، قال الله جل وعلا :"إنها ترمي بشرر كالقصر" (٢) . ويقال : أشررت فلانا : نسبته إلى الشر ، قال طرفة :

وما زال شربي الراح حتى أشرني

صديقي وحتى ساءني بعض ذلك (٣)

ويبدو من الأصل اللغوي لهذه المادة (ش ر ر) أن الكلمة في أصلها ذات دلالة مادية ، فهي تعني شرار (٤) النار المتطاير ، وهي لأنها متطايرة ، فلا يدرئ أين تقع ، وهذا يعني أن لها ضررا غير محدود، سواء كان مؤكدا أو محتملا ، نظرا لانتقالها من مكان إيقاد النار إلى جهة غير مقصودة ، وبعد ذلك سقوطها غير المنضبط في مكان غير معلوم ، وهذا ما يعطي

---

(١) عبارة بن فارس في المعجم هكذا : لانتشاره وكثرته" وهي مختصرة بشكل موهم .

(٢) سورة المرسلات / ٣٢ .

(٣) معجم مقاييس اللغة جـ٣ ص ١٨٠ و ١٨١ .

(٤) الشّرار والمقصور منه الشّرر وهو مثله . أنظر المصباح المنير ص ٣٠٩ .

تصـورا للبعـد اللغوي لكلمة شر .

والظاهر أن الكلمات تتحضر تبعا لترقي أحوال المتكلمين ، فتنتقـــل من المعاني المادية الملموسة المحسوسة ، إلي الدلالات المعنوية الواسعـــة المدى ، البعيدة عن المعنى المادي .

ويمكن أن نطبق ذلك على بعض الكلمات تأكيدا لهذا ، وهناك أمثلـــة كثيرة تؤكد هذه الظاهرة ، مثل : كلمة (قضىٰ) فأصلها القطع ، وهو عمـل مادي ، و (رعى) من رعي الماشية للكلأ ، و (حفظ) أصلها المنـــع ، و (البِر) بكسر الباء ، فأصله من إطعام البُرّ - بضم الباء - وهو الحنطـــة ، فهذه جميعها استخدمت للدلالة على أشياء أو أعمال مادية ، ثم انتقلت إلـى دلالات معنوية ، ترتبط بطريقة أو بأخرى بالأصل المادي للكلمة ، وكلمة (شـر) من هذا القبيل ، ويظهر أنها انتقلت من الدلالة المادية على شرارة النـــار المتطايرة دون قصد من أحد ، إلى دلالة معنوية هي الإيذاء النفســـي أو البدني ، أو الإيلام الجسمي أو الشعوري ، أو الإعاقة المادية أو المعنويـة ، وكل صنوف الأذى والألم والضرر . (١)

ونجد الزبيدي يذهب إلى ما ذهب إليه ابن فارس فيما تقدم فيقول فـي معجمه في مادة (ش ر ر) : الشر بالفتح ، وهي اللغة الفصحى ، ويُضـم ، وهي لغة (كُراع) ، نقيض الخير ، ومثله في الصحاح ، وفي اللسان : الشّـرّ: السوء ، وزاد في المصباح : والفساد والظلم ، الجمع شرور بالضم ثم ذكـر حديث الدعاء : والخير كله في يديك والشر ليس إليك " (٢) وأنه نفى عنــه تعالى الظلم والفساد ، لأن أفعاله تعالى عن حكمة بالغة ، والموجـــودات كلها ملكه ، فهو يفعل في ملكه ما يشاء ، فلا يوجد في فعله ظلم ولا فساد (٣) وقد اشتقت من هذه الكلمة (شـر) كل تصاريف اللغة فيقال : شرّ يشُـــرّ ، بالضم و يشِرّ بالكسر ، مع أن الماضي مفتوحا ، ويقال : شرا وشرارة بالفتـــح

---

(١) انظر دلالة الألفاظ ، ص ١٦١ ومابعدها .

(٢) مختصر صحيح مسلم ،ص ٨٠ .

(٣) انظر تاج العروس ،جـ ١٢ ، ص ١٥٢ .

للأول فيهما ، ويقال : قد شرُرت يارجل ، مثلثة الراء والضم قليل .

والضم في شرُر والكسر هو الأشهر ، وأما الفتح فغريب ويقال : هو شَرير وشِرّير والجمع أشرار وشريرون . ويقال : رجل شرّ مثل زند وأزناد . ويقال : شرير وهو الرجل ذو الشر ، مثل يتيم وأيتام .

وفي صيغة المبالغة يقال : رجل شرّير مثل : فسيّق أي كثير الشر وكثير الفسق .

وعندما تستعمل منه أفعل التفضيل : يقال : هو شرّ منه ، وأما قول : أشر منه ، بالهمزة فإنها لغة قليلة أو رديئة ، وفي قراءة شاذة : مَنْ الكذاب الأشَرّ " (١) على هذه اللغة .

ويقال للأنثى : هي شرّة بالفتح ،وشُرّى بالضم . على وزن فُعلى ، مثل أصفر وصُفرى .

وفي باب المفاعلة يقال ، قد شارّه بالتشديد ،مشارة ، ويقال : شارّاه ، وفلان يشارّ فلانا ، ويمارّه ويزاره أي : يعاديه .

كما استخدمت كلمة الشر في معان مختلفة كلها تدور حول المعنى الأصلي كالعداوة كالمذكور آنفا ، وكالمخاصمة كما ورد في الأثر " لا تُشارّ أخاك " (٢) . وهو تفاعل من الشر ، أي لا تفعل به شرا فتحوجه إلى أن يفعل بك مثله . وقد يخفف ، وكما ورد في الأثر الآخر : ما فعل الذي كانت أمرأته تُشارّه وتُمارّه " . كما يستعمل بمعنى المكروه والعيب بتشديد الشين والراء وضمهما ، وحكى أبن الأعرابي : قد قبلت عطيتك ثم رددتها عليك،من غير شرّك ولا ضرّك،ثم فسره فقال : أي من غير رد عليك ولا عيب لك ولا نقص ولا إزراء .

---

(١) سورة القمر ٢٦/ ، وقراءة حفص : الأشِر " .

(٢) رواه البخاري بسنده : عن معاذ بن جبل أنه قال : إذا أحببت أخاً فلا تماره ، ولا تشاره ، ولا تسأل عنه ، فعسى أن توافي له عدوا فيخبرك بما ليس فيه فيفرق بينك وبينه " . وقد عزاه في الجامع الصغير إلى الحلية لأبي نعيم ، وظاهره أنه وقع عنده مرفوعا . شرح الأدب المفرد، جـ ١، ص ١٣٧ .

وتطلق كلمة الشَّـرّ بالفتح على إبليس ، لأنه الآمر بالسوء والفحشاء والمكروه ، وكذلك تطلق ويراد بها الحمى والفقر . والأقرب أن تكون هذه الإطلاقات الثلاثة من قبيل المجاز .

والشَّرىٰ : الخبيثة كما في قول امرأة عربية : أعيذك بالله من نفس حرى ، وعين شـرّى . وتنسب هذه المرأة إلى بني عامر .

ويقال : عين شـرّى ، إذا نظرت إليك بالبغضاء : والشّرى : العيّانة من النساء ، وأنثى الشر الذي هو الأشر في التقدير كالفضلى تأنيث الأفضل .

وفي لغة ضعيفة يقال : أشر فلانا أي : نسبه إلى الشر .

ويقال : شرّ يشر : إذا زاد شره ، في مثل قولهم : كلما تكبر تشـرّ. ومن أمثالهم : شـرّاهن مرّاهـنّ .

وقد أشر بنو فلان فلانا ، أي : طردوه وأوحدوه .

فهنا استعملت بمعنى زيادة الشر ،وبمعنى الطرد والنفي (١) .

وحيث أن الخير والشر نقيضان فإن الخير هو ما يرغب فيه الكل ،كالعقل والعدل مثلا ، وكالفضل والشيء النافع وجمعه خيور ، والخير ضربان : خير مطلق ، وهو ما يكون مرغوبا فيه بكل حال وعند كل أحد،وخير وشر مقيدان ، وهو أن خير الواحد شر لآخر ، مثل المال الذي ربما كان خيرا لزيد وشرا لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين،فقال في موضع : إنْ ترك خيرا" (٢) . وقال في موضع آخر : أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين ، نسارع لهم في الخيرات" (٣) . فقوله : إن ترك خيرا " أي مالا ، والعرب تسمي الخيل : الخير ، لما فيها من الخير . ويقال للمرأة : خَيْرة (٤) .

---

(١) انظر تاج العروس ، ج ١٢ ص ١٥٢ ومابعدها .
(٢) سورة البقرة،الآية ١٨٠ .
(٣) سورة المؤمنون،الآية ٥٥ و ٥٦ .
(٤) انظر تاج العروس، ج ١١،ص ٢٣٨ ومابعدها .

وقد ميز العرب بين الضر والشر ، فالسقم وعذاب جهنم ضر في الحقيقة ، وشر مجازا ، وشرب الدواء المر رجاء العافية ضرر يدخله الإنسان على نفسه وليس بشر ، والشاهد على أن السقم وعذاب جهنم لا يسمى شرا على الحقيقة : أن فاعله لا يسمى شريرا كما يسمى فاعل الضر ضارا .

وقال أبو بكر بن الأخرم (١) - رحمه الله : السقم وعذاب جهنم شر على الحقيقة ، وإن لم يسم فاعلهما شريرا ، لأن الشرير : هو المنهمك في الشر القبيح ، وليس كل شر قبيحا ، ولا كل من فعل الشر شريرا ، كما أنه ليس كل من شرب الشراب شرّيبا ، وإنما الشريب المنهمك في الشرب المحضور.

والشر عنده ضربان : حسن وقبيح ، فالحسن : السقم وعذاب جهنم ، والقبيح : الظلم وما يجري مجراه . قال : ويجوز أن يقال للشيء الواحد: أنه خير وشر ، إذا أردت بأحد القولين إخبارا عن عاقبته ، وإنما يكونان نقيضين إذا كانا من وجه واحد (٢) .

وهكذا يبدو أنهم استندوا في هذا إلى بعض استخدامات القرآن والحديث للكلمتين .

ويمكن أن نستخلص مما سبق أن كلمة شر ، قد استخدمت بصيغ مختلفة وفي معان متعددة كلها تشير إلى الأذى الذي يصيب الإنسان أو الخطر الذي يحدق به ماديا كان أو معنويا ، سواء كان في الدنيا أو في الآخرة أو في الدنيا والآخرة معا .

---

(١) الذي ذكره المؤلف هو : أبو بكر بن الأخشاد ، ولعله ابن الأخرم كما أثبته ، وهو أبو بكر بن عبد الله المعروف بابن الأخرم ، محدث فقيه نحوي ، رحل إلى القاهرة ، ولد سنة ١٠٠١ هـ وتوفي سنة ١٠٩١ هـ . معجم المؤلفين ، جـ ٣ ص ٦٥ .

(٢) الفروق اللغوية، ص ١٦٣ .

من هم السلف ؟

وبعد أن تعرفنا على مدلول كلمة شر لغويا يحسن بنا أن نعرّج على ما يعنيه مصطلح " السلف " و " المعتزلة " . والمفهوم التاريخي لهما .

فبالرغم من أن القرآن قد حدد مجال العقل الإنساني وبين المنهج الذي ينبغي أن يتبع في معالجة مشكلات العقيدة ، فإنه قد حدثت عوامل معينة أدت إلى تنكب بعض المسلمين عن هذا المنهج القرآني،فبعد وفاة الرسول - ص - وصاحبيه ظهرت مشكلة الخلافة أو الإمامة كأحد المشكلات التي اختلف حولها المسلمون، وتفرقوا إلى شيعة وخوارج ، تقاتلوا بالسيف أولا ثم تحول النزاع أخيرا وتطور إلى نزاع فكري،وجدل حول حقيقة الإيمان وما تبعها من مشكلات ، هذا من ناحية ، ومن جهة أخرى فقد أدت الفتوحات الإسلامية إلى دخول طوائف من ديانات وملل أخرى في حدود الدولة الإسلامية ، بعضهم دخل الإسلام وبعضهم ظل على ديانته ، ولكنهم جميعا أثاروا بعض المشكلات العقيدية التي كانت موضع نزاع فيما بينهم ، وحاولوا استعراض حل الإسلام لها فكان من الطبيعي أن يحاول بعض المسلمين التصدي لهذه المشكلات، وبيان وجهة نظر الاسلام حولها . هذا بالإضافة إلى أن بعض المسلمين بدأوا البحث في بعض الآيات التي يوهم ظاهرها بالتعارض ، وهي الآيات التي عرفت بالآيات المتشابهات كالآيات التي تعالج مشكلة القدر ، والحديث عن ذات الله جل جلاله وصفاته،وقد أدت كل هذه العوامل إلى ظهور طائفة من المفكرين المسلمين، حاولوا البحث العقلاني البحت في النصوص المتعلقة بالعقيدة،فنشأ من هذه الأبحاث ما يسمى في تاريخ الفكر الإسلامي بعلم الكلام ، وسميت هذه الطائفة بالمتكلمين كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة .

ولم يرض هذا الاتجاه طائفة أخرى تمسكت بالحديث والنصوص وبمنهج القرآن العام تجاه هذه المشكلات العقيدية ، وضمت هذه الطائفة الأخيرة بعض الائمة الفقهاء أمثال الشافعي ومالك والإمام أحمد بن حنبل والحسن البصري وسفيان الثوري وغيرهم . وقد هاجموا علم الكلام وذموا المشتغلين به

بل ربما ذهبوا إلى حد تحريم الخوض فيه . (١)

والسلف قد بنوا هذا الاتجاه على أساس أن الخوض والجدال حول المشكلات العقيدية بالمنهج الكلامي يؤدي في النهاية إلى الانسلاخ عن الدين ، كما أنه قد ورد النهي عن الجدال في هذه المشكلات عن الرسول - ص - وأن الصحابة امتنعوا عنه ، مع أنهم أعرف بالحقائق وما ذلك إلا لعلمهم بما يتولد عنه من شر ، ولو كان منهج الكلاميين من الدين لكان ذلك أهم ما أمر به الرسول - ص - ولعلم طريقته وأثنى عليه وعلى المشتغلين به .

وقد التزم السلف في بناء عقائدهم بما أتى به الوحي ، فآمنوا بما أثبته القرآن ، وبالمنهج والاستدلال الذي وضعه القرآن من وجود الله والبعث والنبوة وغيرها من أسس العقيدة .

فقولهم الذي يقولون به وديانتهم التي يدينون بها ، التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله - ص - وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث هم بذلك معتصمون ، وبمثل ما كان يقول به أحمد بن حنبل قائلون، فقد كان إماما فاضلا ورئيساً كاملاً أبان الله به الحق ، ورفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين . (٢)

وليس مجرد السبق الزمني كافيا لأن يوصف أحد أو منهج بأنه سلفي ، بل لابد أن يضاف إلى السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة نصا وروحا، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي، وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين . (٣) وهكذا فإن السلف يراد بهم الرعيل الأول من علماء الإسلام الذين تمسكوا بالكتاب والسنة نصا وروحا، ودافعوا عنهما بالمنهج الذي مرده الكتاب والسنة تجاه التيارات الأخرى . علما بأن لفظة السلف لا عبرة باستخدامها المجرد ، خذ مثلا قول القاضي عبد الجبار: " وقد ألزمهم السلف - رحمهم الله -

---

(١) انظر لوامع الأنوار البهية جـ ١، ص ١٠٨ .

(٢) انظر الإبانة عن أصول الديانة للأشعري، ص ١٥ .

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل ، جـ ١ ص ٧٧ - ٧٨ .

مسائل . . . "(١) فهنا يرجع أنه يريد سلفه من المعتزلة كعمرو بن عبيـــد وواصل بن عطاء، في حين أن المعتزلة -كما سنرى- الذين هم ســـــلف القاضي، يخالفون المنهج الذي ارتضاه السلف، والذي ينبني علـــى نصوص القرآن والســنة .

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، جـ ٥، ص ٣٦ .

من هـــم المعتزلـــة ؟

لهذه التسمية عدة أسباب أختار منها ما يلي :

أولا : القصة المعروفة والمتداولة بين كثير من المؤرخين وهي التي حدثت في مجلس الحسن البصري بينه وبين واصل بن عطاء ، والتي بسببها يقال أنهم منذ ذلك الوقت سموا معتزلة . (١)

ثانيا : ما ذكر عبد القاهر البغدادي في كتابه:الفرق بين الفرق،وملخصه : أن واصل بن عطاء كان من رواد مجلس الحسن البصري في زمان فتنة الأزارقة ، وكان الناس يومئذ مختلفين في أصحاب الذنوب من أمة الإسلام على فرق ، فرقة تقرر أن كل مرتكب لذنب صغير أو كبير مشرك بالله ، وهو قول الأزارقة (٢) ، وفرقة تذهب إلى أن صاحب الذنب المجمع على تحريمه كافر مشرك،وفرقة تقول : إنه منافق ، وكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون : إن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمن لما فيه من المعرفة بالرسل وبالكتب المنزلة من الله،ولمعرفته بأن كل ما جاء من عند الله حق ، ولكنه فاسق بكبيرته وفسقه لا ينفي عنه اسم الإيمان والإسلام ، فلما ظهرت فتنة الأزارقة بالبصرة ، واختلف الناس في أصحاب الذنوب على ما ذكرنا ، خرج واصل عن قول جميع الفرق المتقدمة ، وزعم : أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، وجعل الفسق منزلة بين منزلة الكفر والإيمان ، فلما سمع الحسن من واصل بدعته هذه طرده من مجلسه ، فاعتزل سارية من سواري مسجد البصرة ، وانظم إليه صديقه عمرو بن عبيد، فقال الناس : إنهما قد اعتزلا قول الأمة ، وسمي أتباعهما من يومئذ: معتزلة (٣) . على أن هناك روايات تاريخية

---

(١) انظر المنية والأمل، جـ ١،ص ١٠ .

(٢) هم فرقة من أشداء الخوارج . أنظر الملل والنحل،المطبوع بهامش الفصل، جـ ١،ص ١٦١ .

(٣) انظر الفرق بين الفرق، جـ ١،ص ٩٦ .

تشير إلى ظهور مصطلح المعتزلة في الفترة التي شهدت الحروب بين علي وخصومه أو إلى أوائل خلافة معاوية ، كما تشير إلى ربط هذا المصطلح بموقف سياسي معين ، اتخذه أولئك المعتزلة ، ذلك أنهم آثروا الاعتزال عن الصراع السياسي الدائر آنذاك ، وآثروا الاشتغال بالعبادة والعلم (١) .

وعلى فرض أن ذلك كان بداية لظهور تلك الطائفة في تلك الفترة المتقدمة إلا أنه لم تعرف طائفة المعتزلة التي كان لها منهج فكري وعقيدي معين ، ينبني على الأصول الخمسة إلا في القرن الثاني الهجري . بالإضافة إلى أن ظهور هذه الجماعة متصل اتصالا وثيقا بتلك الروايات التي تروى في سبب نشأتها ، والتي جاء فيها ارتباط اسم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد بالحسن البصري ، مع ما بين تلك الروايات من اختلاف وخلاف في أسمائها وتفاصيلها . كما أصبح اسم معتزلة فيما بعد يطلق على من نادى بالأصول الخمسة جميعا دون من شاركهم في بعضها يقول العالم المعتزلي الخياط : لسنا ننكر أن يكون بشر كثير يوافقوننا في العدل ويقولون بالتشبيه ، وبشر كثير يوافقوننا في التوحيد ويقولون بالجبر ، وبشر كثير يوافقوننا في التوحيد ويخالفوننا في الوعد والأسماء والأحكام ، وليس يستحق أحد منهم اسم اعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة ، التوحيد والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢) .

ويبدو أن هذا المصطلح " الأصول الخمسة " لم يتضح تماما إلا عند أبي الهذيل العلاف الذي يقال : أنه كتب بهذا العنوان كتابا للمعتزلة ، بين لهم مذهبهم ، وجمع علومهم وسمى ذلك " الأصول الخمسة " وكان المعتزلة كلما رأوا رجلا قالوا له خلسة : هل قرأت الأصول الخمسة ؟ فان قال : نعم عرفوا أنه على مذهبهم . (٣)

---

(١) انظر بحوث في المعتزلة (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) ص ١٧٣ - ١٩٨ .

(٢) الانتصار ، والرد على ابن الروندي الملحد ، ص ٩٣ .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، نقلا عن بحر الكلام للنسفي ، جـ١ ، ص ٤١٧ .

أما علاقة المعتزلة بالمذاهب والأفكار الخارجية فيذهب علماء السنة القدماء إلى أن المعتزلة تأثروا من ناحية بالفلاسفة ، ومن ناحية أخرى بالنصارى ، ونادى بهذا - أيضا - عدد كبير من المستشرقين أمثال : (فون كريمر) و (ستينر) و (هاملتون) الذين قالوا بتأثر المعتزلة بالمذاهب الهندية والفارسية ، وبالفلاسفة. وهذه الآراء في فكر المعتزلة تبقى مجرد تهمة ، ربما يضعفها أن الاعتزال مدرسة إسلامية عقلية قد قامت للدفاع عن الدين الجديد " الإسلام " ضد الديانات التي كانت موجودة آنذاك ، وعلى رأسها اليهودية والنصرانية . بالإضافة إلى أنه يصعب الجزم بوجود آثار لمصادر خارجية على شيخي المعتزلة الأولين : واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، لكن هذا لاينفي تأثر المعتزلة ببعض الأفكار واستخدامهم لبعض المناهج والمصطلحات الفلسفية التي أتت إليهم من طريق غير مباشر . (١)

---

(١) انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، جـ ١ ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨ . وعلم الكلام ومدارسه ، ص ١٨٩ و ١٩١ . وموقف المعتزلة من السنة النبوية ، ص ٤٥ .

الباب الأول

مفهوم الشر ومصدره كما يبينهما القرآن والسنة

ويحتوي على أربعة فصول

الفصـــل الأول

مفهوم الشـــر في القـــــرآن

ويضم الأقسـامالتاليـــــة :

ا - الضلال والانحراف عن دين الله وتعـاليم رسله ،كلياأوجزئيـا .

ب - كل مايضر الإنسان أو يؤلمه ،أو يتصور أنه يضره .

جـ - مايحصل في الآخرة من الأهوال والعذاب .

مفهوم الشر في القـــرآن

لو تتبعنا الآيات الكريمة التي صرحت بذكر الشر ثم لاحظنا ماتشـــير إليه من معان مرتبطة بذلك،فسوف يمكن ـ بإذن الله ـ الخروج بفكرة شاملـة حول مفهوم الشر في القرآن ،وكيفية عرضه وبيانه لهذه المسألة ،والتي مـن جوانبها :

ا ـ الضلال والانحراف عن دين الله وتعاليم رسله،كليا أو جزئيا :

فقد وصف الله الذين جحدوا نبوة محمد " صلى الله عليه وسلم" بعد مبعثـه من اليهود والنصارى ،وصفهم بالكفر بعد ذلك في قوله تعالى :-

" إن الذين كفروا من أهل الكتٰب والمشركين في نار جهنم
خٰلدين فيها أولٰئك هم شر البرية" (١) .

لأنهم لم يكونوا كافرين من أول الأمر ،فقد كانوا مصدقين بالتوراة والانجيـــل، ومقرين ببعثة محمد "صلى الله عليه وسلم" ،فقدّمهم الله تعالى في الآيـــة على المشركين ،لأن أهل الكتاب كفروا بذلك بعد مبعثه ـ عليه الســـلام ـ بخلاف المشركين ،فإنهم ولدوا على عبادة الأوثان وإنكار الحشر والقيامة .

وقد يستشكل بعض الناس هذا ،ويقولون : إن المشركين كانوا ينكـرون الصانع،وينكرون النبوة،وينكرون القيـامة ،أما أهل الكتاب فكانوا مقرين بـــكل هذه الأشياء ،إلا أنهم كانوا منكرين لنبوة محمد " صلى الله عليه وسلـــم" فكان كفر أهل الكتـــاب أخف من كفـــر المشـركين .

وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يجوز التسوية بين الفريقين فـي العذاب؟

ويمكن الجواب عن هذا من عدة وجـوه، منهـــا :

أن إحسان الله إلى هؤلاء الكفار ـ من أهل الكتاب ـ أعظـــــم أنواع الإحسان ،وإساءتهم وكفرهم أقبح أنواع الاساءة ،ومعلوم أن العقوبـة إنما تكون بحسب الجناية ،فبالشتم تعزيز وبالقذف حد ،وبالســـرقة قطع ،وبالزنا رجم ،وبالقتل قصاص ،بل النظر الشَّزَرَ إلى الرســـول

---

(١) سـورة البينة /٦

" صلى الله عليه وسلم " يوجب القتل ، فلما كانت جناية هؤلاء الكفار أعظم الجنايات استحقوا بذلك أعظم العقوبات ، وهو نار جهنم . (١)

ثم وصف الله الكفار من أهل الكتاب والمشركين بأنهم " شر البرية " أي : شر الخليقة ، وقيل شر البرية أعمالا ، بسبب تلبسهم بحالة الكفر، فتكون الجملة في حيّز التعليل لخلودهم في النار ، وقيل : شرها مقاما ومصيرا ، فتكون تأكيدا لفظاعة حالهم . (٢)

وهذا الوصف يفيد النفي والاثبات ، أي : هم دون غيرهم ، فهم شر من السّراق ، لأنهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد " صلى الله عليه وسلم" وشر من قطّاع الطريق ، لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق ، وشر من الجهال الأجلاف ، لأن الكبر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح . (٣)

كما ورد من الآيات مايدل على أن الكفار هم شر من يدب على وجه الأرض من المخلوقات . .

يقول تعالى : إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون " (٤)

ويقول سبحانه : إن شر الدواب عند الله الذين كفروا منهم لايؤمنون " (٤)

وفي تفسير كلمة " دواب " وجهان أو أكثر ، فقيل أشبههم بالدواب لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بما يقولون ويقال لهم ، ولذلك وصفهم بالصم والبكم، وبأنهم لايعقلون .

وقيل : بل هم الدواب ، لأنه اسم لما دب على الأرض ، ولم يذكره في معرض التشبيه ، بل وصفهم بصفة تليق بهم،على طريقة الذم ، كما يقال لمن لايفهم الكلام : هو شبح وجسد وطلل،على جهة الذم (٥)

---

(١) انظر،التفسير الكبير ، جـ ٣٢ ، ص٤٩ ، ٥٠ .

(٢) انظر،روح المعاني،جـ ٣٠ ، ص٢٨٠ - ٢٨١ .

(٣) ،، التفسير الكبير ، جـ ٣٢ ، ص ٥٠ .

(٤) سورة الأنفال / ٢٢ و ٥٥ .

(٥) انظر التفسير الكبير ، جـ ١٥ ، ص١٤٩ .

وفي الآية الأخيرة ، بعد ما وصف الله الكافرين من آل فرعون والذين من قبلهم بالظم في الآية التي قبلها (١) ، أفرد بعضهم بمزية في الشر والعناد ، فوصفهم بأنهم : شر الدواب عند الله ... أي في حكمه وعلمه سبحانه أن من كان مستمرا على كفره ، مصرا عليه لا يتغير عنه ، وبالإضافة إلى هذا : كان ناقضا للعهد على الدوام ، فهم شر الدواب (٢) .

فهذه النصوص توحي بأن الكافر المعرض عن الله ورسوله بعد الإنذار الشديد ، والبيان الأكيد ، قد أنزل نفسه منزلة أقل من منزلة البهائم والدواب ، حيث لا يقدم على الكفر وأفعاله إنسان له قلب يتدبر ، وعقل يتفكر ، ومن هنا يجيء وصف الكفار بالدواب في موضعه المناسب ، فهم يعيشون في صورة من صور البهيمية في الحس والخيال وإنهم لكذلك، بل هم شر من الدواب . فالبهائم لها آذان ولكنها لا تسمع بها إلا كلمات مبهمة ، ولا تفقه مما تسمع إلا في نطاق محدود جدا ، إلا أنها مع ذلك مهتدية بفطرتها فيما يتعلق بشؤن حياتها الضرورية . أما هؤلاء الدواب فهم موكولون إلى إدراكهم الذي لا ينتفعون به . فهم شر الدواب قطعا ، لأنّ العقل قد يدرك ، ولكن القلب المطموس لا يستجيب ، فحتى لو أسمعهم الله سماع الفهم لتولوا هم عن الاستجابة ، والاستجابة هي السماع الصحيح . فكم من ناس تفهم عقولهم ولكن قلوبهم مطموسة لا تستجيب (٣) .

---

(١) رقم ٥٤ من الآية نفسها .
(٢) انظر ، التفسير الكبير ، جـ ١٥ ، ص ١٨٨ .
(٣) انظر في ظلال القرآن ، جـ ٩ ، ص ١٤٩٣ .

وفي آية المائدة : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطَّغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل " (١) .

فهؤلاء الملعونون المغضوب عليهم ، الممسوخة صورهم وصفوا بأنهم شر من المشار إليهم بـ (ذلك) .

فإن قيل : فهذا يقتضي كون الموصوفين بذلك الذين وهم (المؤمنون) محكوماً عليهم بالشر ، ومعلوم أنه ليس كذلك . . فالجواب : إنما خرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم ، فإنهم حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شر ، فقيل لهم : هب أن الأمر كذلك ، ولكن لعنة الله وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك .

ثم وَصَف هؤلاء الملعونين الممسوخين بأنهم " شر مكانا " من المؤمنين ، وفي لفظ المكان وجهان : الأول : قال ابن عباس - رضي الله عنهما : لأنَّ مكانهم سقر ، ولا مكان أشد شرا منه ، والثاني : أنه أضيف الشر في اللفظ إلى المكان ، وهو في الحقيقة لأهله ، وهو من باب الكناية كقولهم : فلان طويل النجاد وكثير الرماد ، ويرجع حاصله إلى الشيء المراد بذكر لوازمه وتوابعه (٢) .

وفي نهاية الآية ترد العلة التي لأجلها استحقوا ذلك العقاب وتلك الأوصاف ، وهو أنهم " أضل عن سواء السبيل " . فما ذلك إلا لأنهم أكثر من غيرهم انحرافا وأشد ضلالا عن الطريق المستقيم .

---

(١) سورة المائدة / ٦٠ .

(٢) انظر ، التفسير الكبير ، جـ ١١ ، ص ٣٨ ، ٤٠ .

ويقول تعالى-حكاية عن الكفار يوم القيامة:(وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار ، أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار).(١)

فمعنى قوله " وقالوا " يعني أكابر المشركين (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار) قال ابن عباس : يريدون أصحاب محمد "صلى الله عليه وسلم" ،يقول أبو جهل : أين بلال ؟ أين صهيب ؟ أين عمار؟ أولئك في الفردوس ! واعجبا لأبي جهل ! مسكين ، أسلم ابنه عكرمة وابنته جويرية ، وأسلمت أمه ، وأسلم أخوه ، وكفر هو ." أتخذناهم سخريا "

قال مجاهد : أتخذناهم سخريا:في الدنيا فأخطأنا في حقهم

وقال الحسن : كل ذلك قد فعلوا ، أتخذوهم سخريا ، وزاغت عنهم الأبصار في الدنيا محقرة لهم . (٢)

فأصحاب الشر يصفون أنفسهم بأنهم أهل الحق والخير، ويصفون المؤمنين بأنهم أصحاب شر وباطل،وقد ينطلي قولهم هذا على الجهلة، ويؤيدهم على ذلك من في قلبه مرض في الحياة الدنيا،أما في الآخرة فينتهي المكر والخداع والتضليل والتزوير،وتتضح الحقائق لكل ذي عينين ، فيبادر هؤلاء الكفار بالسؤال عن المؤمنين الذين كانوا يتعالون عليهم في الدنيا ويظنون بهم شرا ويسخرون من دينهم وعقيدتهم ، هاهم اليوم يفتقدونهم ولا يرون منهم أحدا في هذا المكان الموحش الرهيب . (٣)

ألا يدل ذلك على أنهم كانوا على خطأ في ظنهم أن المؤمنين من الأشرار الضالين وأنهم - أي الكفار - من الأخيار ، فاتضحت الحقيقة بعد فوات الأوان، وانقطاع العمل،وانتهاء الأمل،يوم لا ينفع عذر ولا يقبل اعتذار .

---

(١) سورة ص /٦٢ ، ٦٣ .

(٢) انظر تفسير القرطبي،جـ ١٥ ص ٢٢٤ .

(٣) انظر في ظلال القرآن ، جـ ٢٣ ، ص ٣٠٢٤ .

وأما إطلاق الشر على الانحراف الجزئي فكما في سورة يوسف - عليه السلام - عندما "قال : أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون " . (١) حيث قال في نفسه : أنتم شر منزلة حيث سرقتم أخاكم من أبيكم ثم طفقتم تفترون على البريء . (٢) ويقول الرازي : ثم حكى الله تعالى عن يوسف أنه قال : أنتم شر مكانا" أي: أنتم شر منزلة عند الله تعالى، لما أقدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم ، فأخذتم أخاكم وطرحتموه في الجب ، ثم قلتم لأبيكم إن الذئب أكله وأنتم كاذبون ، ثم بعتموه بعشرين درهما ، ثم بعد المدة الطويلة والزمان الممتد مازال الحقد والغضب عن قلوبكم فرميتموه بالسرقة . (٣)

فاجتمع فيهم كثير من الشرور كالسرقة التي من كبائر الذنوب وأسباب فساد المجتمع الإنساني ، والتي جعل الله عقوبتها الدنيوية صارمة وهي القطع كما يقول تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم " (٤) هذا إذا كانت السرقة مادّية، فما بالك إذا كانت سرقة بشرية بل سرقة أخ قريب . وكذلك الكذب الذي يقول فيه تعالى : فنجعل لعنة الله على الكذبين " (٥) والظلم ذنب كبير " ألا لعنة الله على الظلمين " (٦)

ومن إطلاق الشر على الأخطاء الجزئية ماورد في شأن يوم القيامة، حيث يقول تعالى : ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" . فقد فسرها العلماء بأنها الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك من اليسير من الشر . (٧)

---

(١) سورة يوسف / ٧٧ .

(٢) انظر ، صفوة التفاسير ، جـ٢ ، ص٦٣ .

(٣) التفسير الكبير ، جـ ١٨ ، ص١٨٩ .

(٤) سورة المائدة / ٣٨ .

(٥) سورة آل عمران / ٦١ .

(٦) سورة هود / ١٨ .

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ، جـ ٨ ، ص٤٨٥ .

وفي هذه الآية والتي قبلها بيان لإحصاء الخير والشر مهما قل، وقد كان المفسرون القدامى يقولون : إن الذرة هي الهباءة التي ترى في ضوء الشمس .

ولكن الناس اليوم ،أطلقوا اسم الذرة على جسيمات لاترى إلا بالمجاهر والمكبرات التي تكبر الشيئ عشرات الآلاف من المرات ، وفي النص على إحصاء هذه المقادير من الخير والشر،ترغيب وترهيب للإنسان عند ئذ لايحقر الإنسان شيئا من عمله خيرا كان أو شرا ، ولايقول : هذه صغيرة لا حساب لها ولا وزن ، وهذا الإحساس الدقيق لايكون إلا في قلب المؤمن . .

القلب الذي يرتعش لمثقال ذرة من خير أو شر ، أما قلوب الطغاة والظلمة والعتاة فإنها لاتتحرك ولو أقترفت مايزن الجبال الراسيات من الذنوب والمعاصي والجرائر. (١) قال تعالى : كلا بكل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون" (٢)

ومن هذا الباب ظلم الإنسان للغير بالحسد أو السحر وكل أذى خارجي يأتي الإنسان من غيره،وكذلك ظلم العبد لنفسه،ويعتبر شرا ذاتيا داخليا،وهذا بإيجاز ماتحدثت عند المعوذتان . (٣)
وأخيرا فإن الإنسان يجد في نفسه ميولا يتصور أن في مجاراتها الخير وهي تجره إلى الشر ، أو يظن أن في بعض الأمور شرا وهي خير له ،وهذا من خفاء العواقب وأسرار القدر والتي ينبغي للمسلم أن يتعامل مع هذه الأشياء بميزان الشرع ،ويخضع نفسه وإرادته وميله لحكم الإسلام إذا أتضح له ،وصار على يقين ومعرفة تامة به . .

---

(١) انظر ،في ظلال القرآن ، جـ ٣٠ ،ص٣٩٥٦ .

(٢) سورة المطففين / ١٤ .

(٣) انظر ، التفسير القيم ،ص٥٩٩ .

قال تعالى : كتب عليكم القتال وهو كره لكم،وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم،وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم،والله يعلم وأنتم لا تعلمون).(١)

وقال تعالى : ولايحسبن الذين يبخلون بماءآتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم،سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض ، والله بماتعملون خبير). (٢)

وقال تعالى : إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم،لاتحسبوه شرا لكم، بل هو خير لكم،لكل امريء منهم مااكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) . (٣)

ففي الآية الأولى ، يحذر الله المؤمنين عن ترك القتال ويبين لهم خطأ ما توهموه في ذلك . ومعنى الآية :

وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال،ظنا منكم أنه الخير وهو الشر، حيث يقوى عليكم عدوكم فيغلبكم ويقصدكم إلى عقر داركم فَيُحل بكم أشد مما تخافونه من الجهاد الذي كرهتم وقوعه،بالإضافة إلى مايفوتكم في ترك الجهاد من المنافع العاجلة والآجلة .

وقال ابن جبير : " فيجعل الله عاقبة ترك الجهاد شرا عليكم فلا تصيبوا ظفرا ولاغنيمة " (٤)

وفي الآية الثانية ،يقول أبو حيان : " سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة " تفسير لقوله : " بل هو شر لهم " والظاهر حمله على المجاز . أي : سيلزمون عقابه إلزام الطوق ، وفي المثل لمن جاء بهنّة : تقلدها طوق الحمامة ، وجاء في الحديث :

---

(١) البقرة /٢١٦ .

(٢) آل عمران / ١٨٠ .

(٣) النور / ١١ .

(٤) فتح القدير ،جـ ١ ، ص ٢١٦ .

" مامن ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل عنده فيبخل عليه إلا أخرج له يوم القيامة شجاع أقرع من النار يتلمظ حتى يطوقه " (١)

وفي الآية الثالثة يطمئن الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وسلم) بأن لا تظنوا أن ماجاء به هؤلاء من قصة الإفك شرا لكم عند الله وعند الناس بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به، ويظهر براءته ممارمي به، ويجعل له منه مخرجا . (٢)

ومن تلك الآيات المتقدمة نستنتج أن الإنسان قد يتوهم حصول الشر من مصدر الخير، وكذلك العكس يتوقع حصول الخير مما هو شر، وذلك كله ناتج عن عجز الإنسان عن إدراك حكمة الله عز وجل فيما يعطي ويمنع، وفيما يأمر وينهى، وكذلك يجب على المسلم أن يستسلم لأمر الله، ويرضى بقضاء الله وقدره، ويصبر في حال العطاء والمنع ، وعلى تنفيذ الأمر والنهي فالخير فيما اختاره الله عز وجل .

ب - كل ما يضر الإنسان أو يؤلمه أو يتصور أنه يضره . . .

قال تعالى :" ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ، وكان الإنسان عجولا " (٣) .

وقال تعالى : " ولو يعجّل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقُضي إليهم أجلهم " (٤) .

فقد فسر ابن جرير الشر هنا بأنه كل ما فيه مضرة بالنفس أو المال (٥) .

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير بإسناد جيد ، انظر الترغيب والترهيب ، جـ ٢ ، ص٣٨ .

(١) البحر المحيط ، جـ ٣ ص١٢٨ . (٣) سورة الإسراء / ١١ .

(٢) جامع البيان ، جـ ١٨ ، ص٨٦ . (٤) سورة يونس / ١١ .

(٥) انظر جامع البيان جـ ١١ ، ص ٩١-٩٢ ، و جـ ١٥ ص ٤٧ ، ١٥٣ .

وقال مجاهد التابعي المفسر : هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه والعنه . (١) .

وقال قتادة : هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له (١) .

ومن هذه النصوص نستنتج أن الإنسان يتهاون بأمر الشر وأثره عليه في الحياة ، فيدعو بالويل والثبور على نفسه وعلى أولاده وأهله وماله وقومه ، وهذا العمل مناف للصبر الذي أمر الله به بالكتاب والسنة ، لأن الدعاء بالشر فيه الجزع من البلاء الذي يصيب الإنسان في نفسه وماله وأولاده وقومه . وقد حذّر الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الدعاء على العصاة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : أُتي النبي (صلى الله عليه وسلم) برجل قد شرب ، قال : (اضربوه) قال أبو هريره : فمنا الضارب بيده والضارب بنعله ، والضارب بثوبه ، فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله ، قال : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان (٢) .

أما إذا صدر الشر من كافر لمسلم فإنه يجوز الدعاء على الكفار ، فقد روى البخاري عن أنس (رضي الله عنه) قال : قنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شهرا بعد الركوع يدعو على أحياء من العرب) (٣) .

---

(١) انظر المصدر السابق ، والمكان نفسه .

(٢) صحيح البخاري جـ ٨ ، ص ١٩٦ ، كتاب الحدود (شرب الخمر) .

(٣) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٣٤ .

ويقول الله تعالى حكاية عن الجن:" وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا" (١)

قال ابن زيد في هذه الآية : إن الجن لما وجدوا أن السماء قد حرست ،رجعوا إلى إبليس فقالوا : منع منا السمع فقال لهم إن السماء لم تحرس قط إلا على أحد أمرين . إما عذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغتة ، وإما نبي مرشد مصلح ، قال فذلك قول الله: وأنّا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا)(١)

قال يزيد عن الكلبي في هذه الآية : معنى ذلك أنا لا ندري هل يطيعوا هذا الرسول فيرشدهم ، أم يعصوه فيهلكهم . (٢)

وكون الجن يقفون حيارى في هذا الموقف ، يدل على أن الخلق من الجن والإنس لا يعلمون من أمر الكون وتصريفه إلا بحدود ما أطلعهم الله عليه بواسطة رسله ، وإذا كان الجن قد احتاروا ، وهم لديهم من القدرات المتميزة عن الإنسان الشئ الكثير ، فما حال الإنسان الذي يغالط نفسه ويحاول أن يحملها على أن تقول في كل شئ مما هو ممكن القول فيه ، ومما هو غير ممكن فيه القول ؟ ألا يكون الجن أقوم منه حالا وأعظم واقعية وأصدق مقالا في عدم ادعائهم علم ما لم يعلموا عندما قالوا كما ذكر الله عنهم (وأنّا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) . (١)

وفي سورة الإسراء يذكر الله بعض صفات الإنسان فيقول :-
" وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر كان يؤوسا" (٣) أي أنه إذا أصابته الشدائد ،والمصائب ، أصبح يائسا قانطا من رحمة الله ،وهذه الآية كالآيات في سورة المعارج

---

(١) سورة الجن / ١٠ .

(٢) انظر جامع البيان ،جـ ٢٩ ،ص١١١ .

(٣) سورة الإسراء / ٨٣ .

(٤) انظر ،صفوة التفاسير ، جـ ٢ ،ص١٧٣ .

"إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعـــا إلا المصلين ". (١)

والمراد بالإنسان : العموم بدليل الاستثناء منه ، والاستثناء معيار العموم. (٢) والمعنى : أن الإنسان مجبول على الضجر ،لايصبر علـى بلاء ، ولايشكر على نعماء ، والهلع : شدة الحرص وقلة الصبر، يقال : جاع فهلع . (٣) فإذا نزل بالإنسان مكروه ،من فقرأو مرض ، أو خوف ،كان مبالغا في الجزع مكثرا منه ،واستولى عليه اليأس والقنوط. (٤)

ويورد الإمام الرازي هذا الاعتراض : الحاصل أن الإنسان نفـــور عن المضار طالب للراحة ، وهذا هــو اللائق بالعقل ،فلم ذمه الله عليه ؟ ويرد عليه قائلا : إنما ذمه عليه لأنه قاصر النظر على الأحوال الجسمانيـة العاجلة ،وكان من الواجب عليه أن يكون مشغولا بأحوال الآخرة ، فـإذا وقع في مرض أو فقر وعلم أنه فعل الله تعالى كان راضيا به لعلمه أن اللـه يفعل مايشاء ، ويحكم مايريد ،وإذا وجد المال والصحة صرفهما إلى طلب السعادات الأخروية . (٥)

ثم قال : واعلم أنه استثني من هذه الحالة المذمومة مـن كان موصوفا بثمانية أشياء هي :-

١- المداومة على الصلاة . ٢- المحافظة عليها . ٣- الإنفاق الواجب.
٤- الإيمان بالبعث والحشر ٥- الإشفاق من عذاب الله بالخوف من ترك الواجبات ومن الإقدام على المحظورات.
٦- صيانة العرض . ٧- حفظ الأمانات . ٨- أداء الشهادات. (٢)

---

(١) سورة المعارج /١٩ - ٢٢ .
(٢) صفوة التفاسير ،جـ ٢ ،ص ٤٤٤ .
(٣) التفسير الكبير ،جـ ٣٠ ، ص ١٢٨ .
(٤) صفوة التفاسير ، جـ ٢ ، ص ٤٤٥ .
(٥) انظر ، التفسير الكبير ، جـ ٣٠ ،ص ١٢٩ .

ومثل تلك الآيات الآيتان في سورة فصلت : لايسئم الإنسان من دعاء الخير ، وإن مسه الشر فيؤس قنوط . . . . وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه ، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض" (١)

إن في هذه الآيات رسم دقيق صادق للنفس البشرية،التي لاتهتدي بهدى الله ، رسم يصور تقلبها ،وضعفها ،ومراءها ، وحبها للخير وجحودها للنعمة ، واغترارها بالسراء ، وجزعها من الضراء .

هذا الإنسان لايسأم من دعاء الخير ،وإن مسه الشر مجرد مس فقد الأمل والرجاء،وظن أن لا مخرج له ولا فرج، وتقطعت به الأسباب ،وضاق صدره وكبر همه ،ويئس من رحمة الله وقنط من رعايته ،وذلك كله بسبب أن ثقته بربه قليلة ورباطه به ضعيف .

هذا الإنسان إذا أذاقه الله منه رحمة بعد ذلك الضر ، استخفّته النعمة فنسي شكر المنعم بها ، واستطاره الرخاء فغفل عن مصدره ،ونسي الآخرة واستبعد أن تكون . (٢)

ويقول تعالى : كل نفس ذائقة الموت ،ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون " (٣)

فتدل هذه الآية أن الله تعالى سمى المضار الدنيوية من الفقر والآلام وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين سماها شرا . . وأنها من الابتلاء الحاصل للمكلفين فضلا عن الأمر والنهي ،ونعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكين من المرادات . (٤)

قال ابن عباس : نبتليكم بالشدة والرخاء ،والصحة والسقم ،والغنى

---

(١) سورة فصلت / ٤٩ و ٥١ .

(٢) انظر ، في ظلال القرآن ، جـ ٢٤ ،ص ٣١٢٩ .

(٣) سورة الأنبياء / ٣٥ .

(٤) انظر ، التفسير الكبير ، جـ ٢٢ ،ص ١٦٩ .

والفقر ، والحلال والحرام . والطاعة والمعصية ،والهدى والضلال . (١)

ومما تقدم يتبين لنا موقف الكافر من الشر والخير وموقف المؤمن من ذلك وبيان الفرق بينهما ، وأن الاختلاف في العقيدة يترتب عليه اختلاف في التصور والسلوك في حياة الأمم والأفراد .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ،جـ ،ص٥٠٨ .

جـ- مايحصل في الآخرة من الأهوال والعذاب .

إن مايخيف الإنسان ويحرك مشاعره فيحسب له حسابه ويستعد له بما أمكنه من العدة الصحيحة ، ذلك هو اليوم الآخر: يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . . . . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا " (١)

فقد وصف الله مايحدث في ذلك اليوم بأنه شر مستطير . . بيانا لانتشاره وامتداده خلال هذه الأهوال والشدائد التي تحصل فيه ، من تفطر السماوات ، وتناثر الكواكب ، وتطاير الجبال وغير ذلك من الأهوال الكونية البالغة أقصى حدود الشدة والفزع . . . ولكن عباد الله الأبرار يحميهم الله ، ويدفع عنهم شر ذلك اليوم وشدته ، بل إنه يمنحهم الجمال الحسي والنفسي العظيم الذي يدل عليه تنكير " النضرة والسرور" . (١)

ولقد وردت آيات كريمة تصف عذاب يوم القيامة بأنه شر ، كقوله تعالى : حتى إذا رأو مايوعدون إما العذاب وإما الساعة ، فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا " (٢)

فالعذاب : مايمكن أن يحصل لهم قبل القيامة ، ويحتمل أمورا كثيرة ، وبعد قيام الساعة هناك المناقشة في الحساب ، وعذاب النار ، وسيعلمون حينذاك أن مكانهم شر مكان وهو النار . . (٣)

وعندما يعجب الذين كفروا قوتهم وجبروتهم ، ويتعالون على المؤمنين أو يريدون أن يبطشوا بهم عندما يبلغونهم آيات الله ودعوته ، عند ذاك يذكر الله هؤلاء الكافرين بما ينتظرهم يوم الحساب من سوء المصير وهو النار : وإذا تتلى عليهم آيتنا بينٰت تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم ءايٰتنا ، قل:أفأنبئكم بشر من ذٰلكم النار ،

---

(١) انظر ، صفوة التفاسير ، جـ ٣ ، ص٤٩٣ .

(٢) سورة مريم/ ٧٥ .

(٣) انظر التفسير الكبير ، م١١ ، جـ ٢١ ، ص٢٤٨ .

وعدها الذين كفروا وبئس المصير". (١) أي قل لهم : هل أخبركم بما هو أسوأ أو أشنع من تخويفكم للمؤمنين وبطشكم بهم ؟ إنه نار جهنم وعذابها ونكالها. (٢) فيتبين أنه يمكن فهم هذه الآية على وجهين :

١- المراد أن الذي ينالكم من النار التي تكادون تقتحمونها بسوء فعالكم أعظم مما ينالكم عند تلاوة هذه الآيات من الغضب ومن هذا الغم.

٢- أن يكون المراد " بشر من ذالكم". ماتهمون به فيمن يحاجكم ،فإن أكبر مايمكنكم فيه الإهلاك ، ثم بعده مصيرهم إلى الجنة ، وأنتم تصيرون إلى النار الدائمة التي لافرج لكم عنها. (٣)

ومثل هذه الآية قوله تعالى : الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ". (٤) أي : أن الذين يسحبون ويجرون إلى النار على وجوههم ، شر منزلا ومصيرا ، وأحط دينا وطريقا. (٥)

ويصف الله جهنم وسعيرها بقوله : هذا وإن للطغين لشر مئاب ، جهنم يصلونها فبئس المهاد ". (٦)

وأكثر المفسرين قالوا: إن المراد هم الكفار ،وقال الجبائي : إنه محمول على أصحاب الكبائر سواء كانو كفارا أو لم يكونوا كذلك ،واحتج الجمهور بثلاثة أمور :

١- أن قوله تعالى " لشر مآب" يقتضي أن يكون مآبهم شرا من مآب غيرهم ،وذلك لايليق إلا بالكفار.

٢- أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا : أتخذناهم سخريا " وذلك لايليق إلا بالكفار ،لأن الفاسق لايتخذ المؤمن سخريا.

٣- أنه أسم ذم ،والاسم المطلق محمول على الكامل،والكامل في الطغيان

---

(١) سورة الحج / ٧٢.
(٢) انظر صفوة التفاسير ،جـ ٢ ،ص ٢٩٩.
(٣) التفسير الكبير ،م ١٢ ،جـ ٢٣ ، ص ٦٨.
(٤) سورة الفرقان / ٣٤.
(٥) صفوة التفاسير ،جـ ٢ ، ص٣٦٢.
(٦) سورة ص/ ٥٥ و٥٦.

هو الكافر ، واحتج الجبائي على صحة قوله، بقوله تعالى : إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى .(١) وهذا يدل على أن الوصف بالطغيان قد يحصل في حق صاحب الكبيرة ، ولأن كل من تجاوز تكاليف الله تعالى وتعداها فقد طغى . .

وعندما ننظر إلى ما احتج له أبو علي الجبائي نجد أنه قد لا يختلف كثيرا عن حقيقة موقف الجمهور ، لأن من تجاوز حدود الله ، وإن لم يكفر فقد عرض نفسه لسخط الله وعذابه في نار جهنم ، بجانب الكفار، هذا إذا مات على غير توبه صريحة ، ولم يغفر له مع من يغفر لهم ، ممن هم دون الشرك، لمن يشاء الله تعالى .(٢)

وخلاصة هذا الفصل أنه يفهم من إطلاق كلمة شر في القرآن : أنها وردت مرادا بها - والله أعلم - قريبا من ثلاثة معان :

١- الكفر والشرك والضلال أو مايؤدي إليها ، وحتى المخالفات وصغائر الذنوب والتي تسجل وتحفظ على الإنسان ، والتي قد تتكاثر مع مرور الزمن وكثرة الممارسة ، فتصبح خطرا على وجدان صاحبها كما قال تعالى : كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون .(٣)

٢- جميع الأشياء التي تكون مؤذية ومؤلمة للإنسان أو متعبة له ، بغض النظر عن عواقبها .

٣- العذاب الأخروي وأهوال يوم القيامة .

---

(١) سورة العلق / ٦ - ٧ .

(٢) انظر ، التفسير الكبير ، جـ ٢٦ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣) سورة المطففين / ١٤ .

الفصـــل الثانـــي

مفهـــوم الشـــر في الســنة النبويـــــة

تمهيـــــــد

من المسلّم به أن السنة النبوية تفصيل وبيان لنصوص القرآن الكريـــــم ، لذلك فإن مايمكن الاستشهاد به هنا ، إنما ترجع أصوله إلى الكتـــــاب العزيز ، (والمطلوب الآن زيادة تفصيل وإيضاح ،فهذه طريقة الصحابـــي الجليل) حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال : كان الناس يسألـــون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافـــة أن يدركني . (١) .

فمن هذا النص نستنتج :أنه يجوز للمسلم تعلم الشر والسؤال عنـــــه ولكن بشرط أن يخشى على نفسه من الوقوع في الشر ، نتيجة جهله بــــــه ، أما إذا كان الشر واضحا والنصوص المتعلقة به قطعية الثبوت فليس مـــــن اللائق تضييع الجهد والوقت والمال في معرفة أمر ظاهر حكمه سلفا .

فالحلال البين يجب على الإنسان أن لايتردد في فعله إذا أراد والحرام البين يجب على الإنسان أن يتجنبه ويحذره دائما ودون تراخ أوتسويـــــف أوفلسفة شيطانية ،أما الأمور المتشابهة فهي التي تحتاج إلى تثبت وبحـــث واستقصاء .

فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال : سمعت رســـــول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن الحلال بيّن ، وإن الحـــرام ، بيّن ،وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس ،فمن اتقى الشبهـــــات استبرأ لدينه وعرضه ،ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ،كالراعي يرعـــى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه . . . . . . " الحديث (٢)

فدل هذا الحديث مع سابقه على أن الأمور التي يخشى منهـــــا أن تكون مدخلا من مداخل الشر وطرقه ،يجب التثبت فيها، والسؤال عن حكـم الشرع في كل جزئية منها ،أما الأشياء الواضحة الظاهرة فلايجوز تضييـــع

---

(١) فتح الباري ،جـ٦ ، ص ٦١٥ و ٦١٦ .

(٢) متفق عليه ،رياض الصالحين ،رقم الحديث ٥٨٦ ،ص ٢٧٦ .

الوقت فيما لا طائل تحتـه .

وعند الاستعراض لمجموعة مختاره من الأحاديث المنتخبة من كتب السنة المعتمدة ،تبين أنها لاتكاد مضامينها تخرج عن أحد هذه العناوين التاليـة :-

ا - السيئات الاعتقادية والفكرية ،والأخلاقية والسياسية والاقتصادية وغيرهـا :

فهناك أناس يتورطون في أعمال تجرهم أو تجر عليهم مساوئ كثيرة وأخطاء متعددة،لا تقتصر على نوع من هذه المساوئ المذكورة فحسب بل قد تضم ألوانا من هذه الاخطاء تختلف قلة وكثرة ،وقد لا تحصى كثرتها ،فقد روى النسائي عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من شر الناس منزلة يوم القيامة عبدأذهب آخرته بدنيا غيره" . (١) فيفهم من هذا الحديث وصف الإنسان المذكور بأنه شر الناس منزلة يوم القيامة ،وهو من سعى إلى متاع الحياة الدنيا على حساب دينه،فيخدم أعداء الله ويتعاون معهم على حرب أولياء الله وانتهاك حدود الله ،ويدافع عن حكم الطواغيت وعن أوكار البغي والفساد ،ليتنعم هؤلاء بباطلهم ،وهو قد تخطفه يد المنون قبل أن يشارك المغتصبين في نفع ما أغتصبوه ،فيكون قد قدم نفسه وحياته وآخرته من أجل هؤلاء الكافرين الظالمين،ليأكلوا ويتمتعوا كما تأكل الأنعام، في حين أن من باع نفسه لأجلهم لم يبق له من ذلك سوى شؤم المعصية وجريرتهـا .

أليس هذا الإنسان المشار إليه في الحديث مثل كثير ممن نراهم يتبعون غيرهم من القادة أو الساسة أو من يحبون ، تبعية مطلقة عمياء ،قد يضحون في سبيلها بأرواحهم ،فيخسرون كل شئ وهم لايفقهون ، حينما يقودهم إلى ذلك مطمع أو خوف أو يحتويهم دهاء أو دعايـة . (٢)

---

(١) سنن النسائي ،جـ ٢ ، ص ١٣١٢ .

(٢) انظر كتاب ،معاوية بن أبي سفيان ،ص ٢٩ .

وقد حذر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من معاونة الظالمين على ظلمهم ،فقد روى الترمذي عن كعب بن عجرة - رضي الله عنهما - قال : خرج إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن تسعة ،خمسة وأربعة ، أحد العددين من العرب والآخر من العجم ،فقال : اسمعوا : هل سمعتم؟ إنه سيكون بعدي أمراء ،فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ،فليس مني ولست منه ،وليس بوارد عليّ الحوض ،ومن لم يدخل عليهم ،ولم يعنهم على ظلمهم ،ولم يصدقهم بكذبهم ، فهو مني وأنا منه ، وهو وارد عليّ الحوض" . (١)

وقد سأل سليمان بن عبد الملك رجلا يقال له : أبو حازم من أهل العلم العاملين - أسئلة كان منها : من أحمق الناس يا أبا حازم ؟ فقال : من حط نفسه في هوى رجل ظالم فباع آخرته بدنياه " . (٢)

وقد نصح رجل المتوكل عندما قرّب أهل الذّمة ،وولاهم بعض الأعمال التي كان ينبغي أن يتولاها المسلمون ،فقال له ضمن كلام طويل : .... وإن أخسر الناس صفقة يوم القيامة ،من أصلح دنيا غيره بفساد آخرته" . (٣)

ومادام الحديث عن أصحاب المساوئ والسلبيات المتعددة المتنوعة فلنعد إلى التقسيم الذي ذكر في أول هذا الفصل :-

١- السيئات الاعتقادية والفكرية .

ففي مراحل من حياة الأمة عندما ينتابها الضعف ، يوجد في صفوفها من يتولى - بقصد أو بدون قصد - عملية الهدم والتشويه والطمس لذاتية هذه الأمة ومقومات وجودها ، وأسباب ارتقائها وسعادتها في الدنيا والآخرة ،يقول حذيفة - رضي الله عنه - قال : كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير ،وكنت أسأله

---

(١) حديث صحيح غريب ،جامع الترمذي ،كتاب الفتن ،جـ ٤ ،ص ٥٢٥ .

(٢) حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية ص ٣٤ .

(٣) انظر أحكام أهل الذمة ،جـ ١ ،ص ٢٢١ .

عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يارسول الله ، إناكنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال : نعم قلت : وهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال : نعم ،وفيه دَخَنٌ (١) قلت: وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هديي ،تعرف منهم وتنكر، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ،دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ،قلت : يارسول اللّه صفهم لنا ، فقال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ،قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . (٢)

فهذا الحديث يدل على تعاقب الخير والشر على هذه الأمة للابتلاء والاختبار ،وأن الخير فيآخر هذه الأمة تشوبه شائبة من الشر ، وهم قوم من أبناء جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها ،وهانحن اليوم نرى مصداق هذا الحديث في إناس ينتسبون إلى العرب نسباولغة ومع ذلك يدعون إلى اتباع سبل الشيطان وأحزابه من شيوعية أو ماسونية أو صليبية أو قومية أوبعثية أو إباحية لادينية ،ومع ذلك يتشدقون بالانتساب إلى العرب والمسلمين وهم بعيدون كل البعد عن صفات العرب وأخلاق المسلمين . ألا إن هذا الخبر معجزة من معجزات رسول الله حيث وقع كما أخبر - صلى الله عليه وسلم - قبل أربعة عشر قرنا عن وجود هذه الفئة المارقة العاقة لدينها وأمتها ،الخارجة على منهج ربها ، وقد حذرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم ، وبين أنهم دعاة ولكن على أبواب جهنم، وهذا يعني أنهم حملة علم غير مرتبط بشرع الله ، وحملة أقلام لايقصدون بها الدعوة إلى الله ، وهذا ماهو ملاحظ على كثير من أصحاب المؤهلات العالية في مجال التعليم والإعلام الذين يتخذون من شهاداتهم

---

(١) أي شائبة من الشر . انظر لسان العرب ،جـ١، ص ٩٥٨ .

(٢) فتح الباري ، كتاب المناقب ، جـ ٦ ، ص ٦١٦ .

العالية ، وألقابهم العلمية ، ومناصبهم الكبيرة ، وسيلة لدعوة الناس إلى الكفر والضلال ، والإباحية والانحلال .

وهناك نوع آخر من أولئك المارقين أسوأ منهم لأن ظاهرهم يخدع من ليس من أهل التحقيق بأنهم أهل خير وصلاح لما يبدوا من أعمالهم الظاهرة ، فتكون الفتنة بهم أشد وأثرهم أعمق ، وهؤلاء جرمهم عظيم ، وباطلهم كبير ، يقول - صلى الله عليه وسلم - إن بعدي من أمتي ، أو سيكون بعدي من أمتي قوما يقرأون القرآن لايجاوز حلوقهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة ، ثم لايعودون فيه ، هم شرار الخلق والخليقة ". (١)

فهذا الحديث يصور أوضاع المسلمين الحاضرة ، حيث ازداد عدد المدارس والجامعات ووسائل الإعلام التي تنقل بالصوت أوبالصوت والصورة آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - من خلال الإذاعات ومن الاحتفالات والمآتم ، ومع ذلك لاينتفع معظم المسلمين بمايسمعون ويقرأون ،بل إنهم يزدادون بعدا عن الله وعن دينه .

وأما المساوئ العقيدية فمنها : النِّفاق ، وأسوأ مايكون عندما تضعف القيادة الإسلامية أو تفسد ، فيجد هؤلاء الفرصة للإعلان عن طواياهم المظلمة ، وزوايا نفوسهم المعتمة ، وحقدهم الأسود على الصالحين في مجتمعهم ،فحينذاك ينتهون إلى أسفل الدركات في الخبث والسوء والفساد والإفساد ، فعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أنه قال : " إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - كانو يومئذ يسرون واليوم يجهرون " .

وفي رواية " إنما كان النفاق على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان " . (٢)

---

(١) سنن ابن ماجه ، جـ ١ ،ص ٦٠ .

(٢) فتح الباري ، جـ ١٣ ،ص ٢٩ .

قال ابن بطال : إنما كانوا شرا ممن قبلهم لأن الماضين كانوا يسرون قولهم فلايتعدى شرهم إلى غيرهم ،أما الآخرون فصاروا يجهرون بالنفاق،ويوقعون الشر بين الناس فيتعدى ضررهم إلى غيرهم .

ويشهد لما قاله ابن بطال ما أخرجه البزار عن طريق عاصم بن أبي وائل قلت لحذيفة : النفاق اليوم شر أم على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : فضرب بيده على جبهته وقال : أوّه ، هو اليوم ظاهر ،إنهم كانوا يستخفون على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم . (١)

والنفاق : من نافق الرجل : إذا أظهر الإسلام لأهله ، وأضمر غير الإسلام وأتاه مع أهله فقد خرج منه بذلك ، ومحل النفاق القلب. (٢)
والنفاق نوعان :-

أحدهما : اعتقادي ، وهو ستة أنواع : تكذيب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ،أو تكذيب بعض ماجاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو بغض ماجاء به ، أو بغض بعض ماجاء به ، أو المسرة بانخفاض الإسلام ، أو الكراهية لانتصاره. فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار - نعوذ بالله منها - ،وحكمه حكم الكافر .

والثاني : نفاق عملي ، وهو إخفاء مادون ذلك من الأنواع المذكورة، وإنما هو شيئ من المعصية لله ، فهو الذي فيه شعبة أو أكثر من شعب النفاق ، ومن الجائز أن يجتمع مع الإسلام بعض شعب النفاق . (٣)

فعن عبدالله بن عمروبن العاص - رضي الله عنهما - أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ،ومن

---

(١) المصدر السابق ،جـ ١٣ ،ص ٧٤ .

(٢) المصباح المنير ،مادة ن ف ق ، ص ٦١٨ .

(٣) انظر عقيدة المسلمين ،جـ ١ ،ص ٢٧٨ . وأصول الدعوة ص ٣٨٢ .

كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر .

وفي رواية : وإذا وعد أخلف " متفق عليه . (١) وصور النفاق الاعتقادي والنفاق العملي كثيرة لايمكن حصرها ،والذين يقعون فيهما يفسدون أشنع الفساد ، وقد يدّعون الإصلاح لأن الموازين مختلة في أيديهم ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرد في النفس اختلت سائر الموازين والقيم . (٢)

---

(١) نزهة المتقين ،شرح رياض الصالحين ،رقم الحديث ١٥٨٦ ،جـ ٢، ص ١٠٨٩ .

(٢) انظرفي ظلال القرآن ، جـ ١ ، ص ٤٤ .

٢- السيئات الأخلاقية والسلوكيـــة .

وسنكتفي بنماذج منها ، وخاصة ماورد في الحديث وصفه بالشـــر ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : " مروا بجنـــازة فأثنوا عليهـــا خيرا ،فقال النبي - صلى الله عليه وسلم- :وجبت . ثم مروا بأخـــرى فأثنوا عليهـــا شرا ، فقال وجبت . فقـال عمر بن الخطاب - رضـــي الله عنه - : ماوجبت ؟ قال : هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت لـــه الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النـــار . أنتم شهداء اللـــه في الأرض" .

وفي رواية (أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنـــة . فقلنا وثلاثة ؟ قال : وثلاثة . فقلنا : واثنان ؟ قال : وأثنـــان . ثم لم نسأله عن الواحـــد " (١)

فقوله - صلى الله عليه وسلم -:هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة فيـه بيـــان للـــمراد بقوله (وجبت) أي الجنة لذي الخير ، والنار لذي الشر ، والمراد بالوجوب الثبوت ، إذ هو في صحة الوقوع كالشيئ الواجب، والأصـل أنه لايجب على الله شـــيئ ،بل الثواب فضله والعقاب عدلـــه ، فمعنى قوله - صلى الله عليه وسلم -: أنتم شهداء الله في الأرض ، أي : المخاطبون بذلك من الصحابه ومن كان على صفتهم من أهل الإيمـان .

قال الداودي : المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق ، لا الفســـقة (والمنحرفون) لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم .

وقد روي عن أنس- رضي الله عنه - أنه قال : من حديـــــث آخر : إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخـــير والشـــر" . (٢) واستُدل بذلك على جواز ذكر المرء بمافيـه من خـــير

---

(١) انظر فتح الباري ،جـ٣ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

أو شــر للحاجة ،ولايكون ذلك من الغيبة المحرمة . (١) وأن العـــبرة بتقويم المؤمنين المخلصين الصادقين ،لا الفسقه والمنافقين والمرتدين والكافرين الذين لايثنون إلا على من هو على شاكلتهم وملتهم .

ومن المساوئ التي تجعل صاحبها من الأشرار هو ماوصفه الرســول - صلى الله عليه وسلم - بذي الوجهين ».

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول اللــــه - صلى الله عليه وسلم - : تجد من شرار الناس يوم القيامة عند اللـــه ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ،وهؤلاء بوجه" (٢)

والروايات التي فيها (شر الناس) محمولة على الرواية الــــتي فيها (من شر الناس) ووصفه بكونه شر الناس أو من شر الناس مبالغــة في ذلك ،ورواية (أشر الناس) بزيادة الألــف ، لغة في شر يقــال : خير وأخير ، وشر وأشــر ، ولكن الذي بالألف أقل استعمالا ،ويحتمــل أن يكون المراد بالناس من ذكر من الطائفتين المتضادتين خاصة ،فإن كـل طائفــة منهما مجانبة للأخرى ظاهرا ، فلا يتمكن من الاطــلاع على أسرارها إلا بما ذكر من خداعه الفريقين ليطلع على أسرارهم فهو شرهم كلهـــم ، والأولى حمل الناس على عمومه فهو أبلغ في الذم . قال القرطبي : إنما كان ذو الوجهين شر الناس حالا لأن حاله حال المنافـق ، إذ هـــو متملق بالباطل وبالكذب ، مدخل للفســاد بين الناس .

وقال النووي : هو الذي يأتي كل طائفة بمايرضيها فيظهر لهـــا أنه منها ومخالف لضدها ،والحقيقة أن كل عمله صنيعة نفاق ومحض كـذب وخـداع وتحيل على الاطــلاع على أسرار الطائفتين ومداهنــة محرمة لهما . أما من يقصد بذلك الإصلاح فهو محمود .

---

(١) المصدر السابق ، المكان نفســه .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ،جـ ٨ ص ٣١ .

وقال غيره : الفرق بينهما ،أن المذموم من يزين لكل طائفة عملها ،ويقبحه عند الأخرى ،ويذم كل طائفة عند الأخرى ،والمحمود أن يأتي كل طائفة بكلام فيه صلاح الأخرى ،ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى ، وينقل إليه ماأمكنه من الجميل ويستر القبيح ،ويؤيد هذه التفرقة رواية الإسماعيلي من طريق بن نمير عن الأعمش " الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء ،وهؤلاء بحديث هؤلاء" . وقال ابن عبد البر : حمله على ظاهره جماعة وهو أولى ، وتأوله قوم على أن المراد به : من يرائي بعمله ، فيري الناس خشوعا واستكانة ،ويوهمهم أنه يخشى الله ،حتى يكرموه وهو في الباطن بخلاف ذلك . قال : وهذا محتمل لو أقتصر في الحديث على صدره ،فإنه داخل في مطلق ذي الوجهين لكن بقية الحديث ترد هذا التأويل وهي قوله : يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه" .

ويقول ابن حجر معلقا على ذلك : وقد اقتصر فى رواية الترمذي على صدر الحديث . (١) لكن دلت بقية الروايات على أن الراوي أختصره فإنه عند الترمذي من رواية الأعمش ،وقد ثبت هنا من رواية الأعمش بتمامه ،ورواية بن نمير المشار إليها ،هي التي ترد التأويل المذكور صريحا ،وقد رواه البخاري في (الأدب المفرد) من وجه آخر عن أبي هريرة بلفظ : ولاينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا " (٢) وأخرج أبو داود من حديث عمار بن ياسر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كان له وجهان في الدنيا ،كان له يوم القيامة لسانان من نار" . (٣)

فيظهر من مجموع روايات الحديث أن الذين وصفوا بغاية الشر هم

---

(١) جامع الترمذي ،كتاب البر والصلة ، جـ ٤ ،ص ٣٧٤ .

(٢) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد ، باب ليس المؤمن بالطعان ، جـ ١ ، ص ٤١١ .

(٣) سنن أبي داود ،كتاب الأدب ،جـ ٤ ،ص ٢٦٨ .

(٣) انظرفتح الباري ،كتاب الأدب ،جـ ١٠ ، ص ٤٧٥ .

مايسمون في أيامنا هذه بالمصلحيين والوصوليين والانتهازيين الذين لاذمة لهم ولاعقيدة ولا خلق ولا شيمة ، بالإضافة إلى أنهم من أهل المواهب والقدرات التي يستخدمونها في الوصول إلى أغراضهم وأهدافهم الطامعة أو المفسدة ، فلايتورعون عن التلون والتقلب ، ويجيدون سبل المكر والخديعة ، ولو تجاوزوا كل فضيلة ، وانتهكوا كل حرمة وداسوا على كل مبدأ .

وشبيه بصفة ذى الوجهين خلق الرياء وهو من الأسباب التي تحوّل العمل من الصلاح إلى الشر والفساد ، فالمرائي الذي يقصد بعمله رضا الناس يتحول عمله هذا إلى شر بدلا من كونه عملا خيرا يقصد به رضا الله .

يقول - صلى الله عليه وسلم - : شر الطعام طعام الوليمة ، يدعى إليها الأغنياء ، ويترك الفقراء ، ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله) . (١)

والوليمة إذا أطلقت حملت على طعام العرس بخلاف سائر الولائم فإنها تقيد ، وإنما تكون شر الطعام إذا كانت بالصفة المذكورة في الحديث ، ولهذا قال ابن مسعود : " إذا خُصَّ الغني وتُرك الفقير أمرنا أن لانجيب" .

وقال ابن بطال : وإذا ميز الداعى بين الأغنياء والفقراء فأطعم كلا على حدة لم يكن به بأس ، وقد فعله عمر .

وقال الطيبي : اللام في الوليمة للعهد الخارجى ، إذ كان من عادة الجاهلية أن يَدْعوا الأغنياء ويتركوا الفقراء .

وذكر ابن بطال أن ابن حبيب روى عن أبي هريرة أنه كان يقول : " أنتم العاصون في الدعوة ، تَدْعون من لا يأتي وتَدَعون من يأتي " يعني

---

(١) صحيح البخاري ، جـ ٧ ، ص ٢٢ .

بالأول الأغنياء وبالثاني الفقراء . وقوله : يدعى . . . . . الخ " استئناف وبيان لكونها شر الطعام . وقوله : ومن ترك . . . . . الخ " حال العامل (يدعى) أي يدعى الأغنياء والحال أن الإجابة واجبة فيكون دعاؤه سببا لأكل المدعو شر الطعام . (١)

هذا جانب من المراءاة في الأعمال والذي أستحق هذا العمل بأن يصفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنه (شر الطعام) وأما الرياء بشكل عام فمنه رياء ظاهر مثل خفض الصوت لإظهار الخشوع ،والرياء في الصدقة . . ومنه رياء خفي ،وهو عدم إرادة العامل بعمله وجه الله عز وجل - وهو الذي يؤدي إلى عدم قبول العمل ، يقول - صلى الله عليه وسلم -إنما الأعمال بالنيات . . . ." (٢)

وقال مالك بن دينار : قولو لمن لم يكن صادقا لاتتعب" (٣) والرياء هو الشرك الأصغر ،وقد شهد بتحريمه الكتاب والسنة والإجماع : قال تعالى: الذين هم يراءون " (٤) وقال مجاهد في قوله تعالى : والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد " (٥) هم أهل الرياء .

وقد وردت أحاديث كثيرة تحذّر منه ، وتذكّر الوعيد الشديد عليه منها مارواه أبو داود بسند صحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله -عز وجل - لايتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة " أي ريحها الطيب . (٦) وقد قال عمر - رضي الله عنه - لمن رآه يطأطئ رقبته :ياصاحب الرقبة!

---

(١) انظر فتح الباري ،جـ ٩ ، ص ٢٤٥ .

(٢) صحيح البخاري ،جـ ١ ، ص ٢ .

(٣) تلبيس إبليس ،ص ١٥٢ .

(٤) سورة الماعون /٦

(٥) سورة فاطر /١٠

(٦) سنن أبي داود ،كتاب العلم ،جـ ٣ ، ص ٣٢٣ .

ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب ، إنما الخشوع في القلب. (١)

فعن عائشة - رضي الله عنها قالت : " استأذن رجل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رآه قال : " بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة ، فلما جلس تطلّق النبي - صلى الله عليه وسلم - في وجهه وانبسط اليه ،فلما انطلق الرجل قالت لعائشة : يارسول الله ، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ،ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ياعائشة متى عهدتني فحّاشا (٢) إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره " (٣)

والفحش كل ماخرج عن حد الاعتدال إلى مايستقبح ،ويدخل تحت وصف الفحش كل ماخرج عن الاعتدال من القول والفعل والصفة ، يقال:طويل فاحش الطول إذا أفرط في طوله ، لكن استعماله في القول أكثر . (٤)

فالذي يتحدث الناس عنه وهو جنازة بالذكر السيء ، فإنما ذلك انطباع وَقَرَ في نفوسهم عن سوء سلوكه وتصرفه إبّان حياته ، كحال من يكون سليطا وقحا لايقدّر الآخرين ولايهتم بمشاعرهم وأقدارهم ، فيجعلهم يتركونه ويهجرونه حيا ولايذكرونه بخير عندما يكون ميتا .

وتصف السيدة عائشة - أم المؤمنين - رضي الله عنها - ماحصل من بين الأوس والخزرج في شأنها ،وتشير إلى أنه كاد أن يتطور إلى قتال وجلاد من جراء الخصومة الكلامية والجدل العنيف ، قالت : لما ذكر من شأني ماذكر وماعلمت به،قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيّ خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أمابعد : فأشيروا

---

(١) انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر ،جـ١ ،ص٣٨- ٤٢ .

(٢) صيغة مبالغة من فحش وأفحش الرجل : إذا أتى بالفحش وهو القول السيء ،(انظر المصباح المنير ص ٤٦٣) .

(٣) صحيح البخاري ،جـ ٨ ،ص ١٥ ،١٦ .

(٤) انظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٤٥٣ .

عليّ في أناس أَبَنوا أهلي ، وأيم الله ماعلمت على أهلي من سوء، وأَبَنوهم بمن والله ماعلمت عليه من سوء قط ، ولايدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولاغبت في سفر إلا غاب معي ، فقام سعد بن معاذ ، فقال ائذن لي يارسول الله أن نضرب أعناقهم ، وقام رجل من بني الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل ، فقال كذبت أما والله أن لوكانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد وما علمت ، . . . . (١)

فهنا يتبين من سياق كلام عائشة - رضي الله عنها - أن مرادها بالشر هو امتداد المشادة الكلامية التي بين الأوس والخزرج والتي ربما تتحول إلى اشتباك أو ضرب أو قتال مسلح لولا عمق الإيمان في النفوس .

وعندما يرد هنا كلام عائشة ، فليس معنى ذلك أنه يوضع مساويا أو مقاربا للمروي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكنه ملحق به ، وحسبك بعائشة لغة وعلما .

ومما ورد على لسان عائشة وفيه إشارة إلى نوع من أنواع الشر التي تصيب الإنسان وتؤرقه وتؤذيه وهو مايوجه إليه من اتهام بالباطل ، وهو بعيد عن ذلك كل البعد ، وقد حصل مثل هذا النوع لعائشة - رضي الله عنها - في قصة الإفك - حيث قالت : (إنما يدخل عليّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيسلم ، ثم يقول : كيف تيكم ، ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت بعد مانقهت . . . (٢) فواضح من ذلك أنها تقصد ما أثير حولها من الإفك الذي أساء إلى البيت النبوي ، فسمته شرا لأنه اتهام بالباطل .

والمجتمع الإسلامي لايتصور خلوه تماما من الفساق والفجار والخبثاء ، ولايضره ذلك ماداموا لايشكلون فيه نسبة كبيرة ، وهذه النسبة قد لاتكون بالضرورة كمّا ، فقد تكون نسبة كيفية ، وذلك عندما

---

(١) صحيح البخاري جـ ٦ ، ص ١٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ١٢٥ .

يتولون القيادة والريادة ، أو يشكلون نسبة كمية كبرى فعند ذلك يصبحون شؤما وشرا على أنفسهم وبقية مجتمعهم وقد بين هذه الحقيقة وجلاها حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد روت زينب بنت جحش - رضي الله عنها - قالت : استيقظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فزعا محمرا وجهه ، يقول لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعه الإبهام ، والتي تليها - قالت فقلت : يارسول الله ! أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم . إذا كثر الخبث" . (١)

فقد استفسرت زينب - رضي الله عنها - " أنهلك وفينا الصالحون" فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : نعم إذا كثر الخبث" فكثرة الخبث باب من أبواب الشر والهلاك ، وقد فسر جمهور العلماء الخبث بالفسوق والفجور ، وقيل: المراد به الزنا خاصة ، وقيل: أولاد الزنا ، والظاهر أنه المعاصي مطلقا ، ومعنى الحديث: أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون . (٢)

وفي حديث رواه الترمذي ، يشير فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى أن الوعد بالفقر والأمر بالسيئات العظيمة من عمل الشيطان ولمته .

فعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن للشيطان لمّة بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ : الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " (٣)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، جـ ٩ ، ص ٦٠ . وصحيح مسلم ، جـ ٤ ، ص ٢٢٠٨ .

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ، جـ ١٨ ، ص ٣ - ٤ .

(٣) رواه الترمذي في جامعه ، وقال : حديث حسن غريب ، كتاب التفسير ، جـ ٥ ، ص ٢١٩ .

فالمراد بالأمر بالشر : الوعد بالفقر ، والأمر بالفحشاء كالكفر والفسق والظلم . (١)

فهنا فسرت الآية الحديث ، وفهمنا أن اللمة المقصودة من قوله صلى الله عليه وسلم - هي جهود الشيطان المتنوعه في سبيل إضلال ابن آدم وإغوائه .

وفي حديث رواه أبو داود - رحمه الله - يحدد فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أسوأ الأخلاق ، وأبشع الأحوال فيقول : شر مافي الرجل شح هالع وجبن خالع"(٢)

والهلع هو أشد الجزع والضجر ، والجبن الخالع هو الشديد الذي كاد يخلع الفؤاد ، والمراد به مايعرض من نوازع الأفكار وضعف القلب عند الخوف . (٣)

ويوافق معنى هذا الحديث قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - " يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : (بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل .

ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم . وليقذفن الله في قلوبكم الوهن " فقال قائل : يارسول الله ! وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت) (٤)

وحب الدنيا وكراهة الموت متلازمان . فكأنهما شيئ واحد يدعوهم إلى التخاذل والضعف العام الشديد، الذي يُطمع كل الأعداء في الوثوب على المسلمين والسطو عليهم .

---

(١) انظر ، تحفة الأحوذي ، جـ ٧ ، ص ٣٣٣ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، جـ ٣ ، ص ١٢ .

(٣) انظر عون المعبود ، شرح سنن أبي داود ، جـ ٧ ، ص ١٨٧ .

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم الحديث ٩٥٨ ، جـ ٢ ، ص ٦٨٣ .

وعندما ينحرف العلماء وتسوء أخلاقهم وتصرفاتهم ، وتنحسر القيم الإسلامية والإنسانية من نفوسهم يصيرون غاية في السوء .

فعن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال : سأل رجل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الشر ؟ فقال : لا تسألوني عن الشر وأسألوني عن الخير ، يقولها ثلاثا ، ثم قال : ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء . (١)

فعندما يفيد العلماء ويستفيدون من علمهم فيكونوا قادة وسادة في الهداية والرشاد فإنهم بذلك يحتلون القمة في الخير ، أما إذا حصل العكس ولم يؤدوا الدور المطلوب فقد جحدوا نعمة المعرفة وأنكروا واجب شكرها ورضوا لأنفسهم ولأبناء جنسهم بظلمات الجهالة والضلال ، وهم بهذا يرتكسون في أعماق سحيقة من السوء والإثم والفساد .

---

(١) سنن الدارمي ، جـ ١ ، ص ١٠٤ .

٣ - السيئات السياسية :

قد تمر على الأمة الإسلامية أوضاع شاذة لايكون لهم فيها قيادة على المستوى المطلوب ، وهذا يعني أنه ليس لهم كيان مركزي واضح ، وفي هذه الأثناء يواجه المرء بقيادات صغيرة متفرقة قد لايوجد أو لايجد الإنسان بينها قيادة تستحق أن يصرف لها الولاء والطاعة، وكلها ترفع شعارات جاهلية ،وتدعو بدعوات لا إسلامية ، وعندما يستجيب لها المسلم يعرض نفسه للنار - أجارنا الله منها - بسلوكه طريقا من طرق الجاهلية ، الذي يؤول بصاحبه إلى النار ،وعلى أية حال فان كان هناك جماعة وقيادة أسلامية فعليه أن يلتزمها ،وإن لم يجدها ،فعليه أن يبحث عنها لأنها تعصمه - بعد الله - من الضلال والانحراف ودعاتها ،الذين وصفهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنهم شر في قوله : . . . . نعم ،دعاة على أبواب جهنم . . . . . . " . وذلك في حديث حذيفة المتقدم . (١) الذي دل على أن لزوم جماعة المسلمين وإمامهم منجاة عن الشر ، وقد أفاد هذا المعنى أيضا قول الله تعالى : واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ،ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ،وكان أمره فرطا " (٢)

فالذي يترفع عن المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ويرى مفاصلتهم ويسلك طريقا غير طريقهم،هذا لايرجى منه خير للإسلام ولا للمسلمين ولا لنفسه حيث سيتجه الى تقديس زينة الحياة الدنيا من مال وأبناء ومتاع ولذائذ وشهوات ،ثم لا يعود في قلبه متسع لله ولا للمؤمنين به وحينئذ يغفل عن ذكر الله ويقع فيما حرم الله ومانهى الله عنه من الشر بسبب بعده عن الله وعن المؤمنين به فيكون مصيره أن يلقى

---

(١) ص ٤٤ من هذا البحث .

(٢) سورة الكهف / ٢٨ .

ما أعد اللـه لأمثاله من المعرضين عن اللـه وعن رسوله وعن المؤمنين . (١)

وحينما يبحث المسلم عن جماعة المسلمين وإمامهم عند مالاتوجد الجماعة المركزية والإمام العام ، عندما يبحث عنها فقد لايجدها ،وليس معنى ذلك أنها غير موجودة ، فقد جاء في الحديث الصحيح عن معاوية بن أبي سفيان ،والمغيرة وثوبان وغيرهم أن رسول الله ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ قال : لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " (٢)

فهذا الحديث يدل بصورة قاطعة على وجود مجموعة من أتباع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " من أمتي " يبقون على الطريق السليم المستقيم ،ولو مع وجود أهل الضلال وكثرتهم ،ولكن المسلم قد لايتمكن من معرفة هذه الطائفة ،لسبب أو لآخر وقد يعرفهم ولايتمكن من الوصول إليهم فعندذاك لايبقى إلا العزلة ، وعدم الانخراط في دعوة من الدعوات الجاهلية أيا كانت شعاراتها وميولها ومشاربها .

وجاء في قصة إسلام أبي ذر ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : كنت رجلا من غفار ،فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكه ، يزعم أنه نبي ،فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل فكلمه وآتني بخبره ، فانطلق فلقيه ثم رجع ، فقلت : ماعندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلا يأمر بالخير وينهى عن الشر ، فقلت له : لم تشفني من الخبر ، فأخذت جرابا وعصا . . . . (٣)

وفي رواية أخرى لابن عباس ـ رضي الله عنه ـ رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاما ماهو بالشعر . . . (٤)

---

(١) انظرفي ظلال القرآن ،جـ ١٥ ،ص ٢٢٦٨ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ،رقم الحديث ٢٧٠ ،جـ ١،ص ١٣٤ .

(٣) صحيح البخاري ،كتاب المناقب جـ ٤ ،ص ٢٢١ .

(٤) المصدر السابق ،باب مالقي النبي صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه من المشركين بمكه ،جـ ٥ ،ص ٥٩ .

فإذا كان من هديه - صلى الله عليه وسلم - الأمر بالخير والنهي عن الشر ،فان واجب المتبعين له أن يسلكوا هذا الطريق ،لأنه الأسوة الحسنة ،وهناك الأدلة الصريحة من الكتاب العزيز التي توجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن المعروف هو الخير والمنكر هو الشر، وقد بيّن الله مهمة الرسول بأنه " يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات . . . " (١) وقد أمرنا الله أن نفعل كما فعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ،ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . . " (٢)

هذا بعد ما وصف الله الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس" وفي أول مقتضيات هذا المقام أن تقوم على صيانة الحياة الإنسانية من الشر والفساد ،وأن تكون لها القوة التي تمكنها من ذلك، فتستحق بذلك هذا الوصف الذي لم يمنحها الله إياه مجاملةولا محاباة ولا مصادفة ولا جزافا - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وليس كما قال أهل الكتاب أو يقولون : نحن أبناؤا الله وأحباؤه " . (٣) كلا ،وإنما هو العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكروإقامتها على المعروف ، مع الإيمان الذي يحدد المعروف والمنكر (٤)

أما أفراد المسؤلين السياسيين فإن من أبرز مساوئهم العنف والحمق الذي ينافي الرأفة والرحمة التي امتدح الله بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى : . . . . بالمؤمنين رؤوف رحيم " (٥)

---

(١) سورة الأعراف / ١٥٧ .

(٢) سورة آل عمران / ١٠٤ .

(٣) سورة المائدة / ١٨ .

(٤) انظر في ظلال القرآن جـ ٤ ،ص ٤٤٧ .

(٥) سورة التوبة / ١٢٨ .

ولكن هناك أناس قد استحوذ عليهم الشيطان ، فأنساهم ذكر الله والدار الآخرة ، فأصبح أحدهم يرى الكبر والتعالي على الناس من أسباب قوة شخصيته ويتخذ من العنف والبطش وسيلة لفرض هيبته والحفاظ على كرسيه وهذا في مفهوم الإسلام وميزانه من شر المسؤلين ومن أسوأ الرعاة سيرة في رعاياهم .

فيروي مسلم عن الحسن أن عائذ بن عمرو كان من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أي بني ، إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن شر الرعاء (١) الحطمة ، فإياك أن تكون منهم . فقال له : اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال : وهل كانت لهم نخالة ، إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم (٢) .

---

(١) الرعاء : جمع : راع وهو الذي يذهب بالماشية إلى المرعى ويقوم بحمايتها ، هذا في الأصل ، ثم استعمل لكل من يتولى أمرا لغيره ، والحُطَمة : هو العنيف في رعيته ، لا يرفق بها في سوقها ورعيها ، بل يحطمها في ذلك وفي سقيها وغيره ، ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها . (انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، جـ ١٢ ، ص ٢١٦) .

(٢) صحيح مسلم ، جـ ٣ ، ص ١٤٦١ .

٤ - السيئات الاقتصادية :

المال هو عصب الحياة ، ونعمة من الله تعالى للفرد والجماعة إذا أحسن أخذه واستثماره وإنفاقه ، حسب أصول الشرع وآدابه ، ولكن سوء تصرف الفرد أو المجتمع تجاه المال يورثهم البلاء والشقاء وليس المال نفسه .

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :إن أكثر ما أخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الأرض ؟ قيل:ومابركات الأرض ؟ قال: زهرة الدنيا . فقال له رجل : هل يأتي الخير بالشر ؟ فصمت النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى ظننت أنه يُنَزّل عليه ، ثم جعل يمسح عن جبينه ،فقال : أين السائل ؟ قال : أنا،قال أبو سعيد : لقد حمدناه حين طلع لذلك قال : لا يأتي الخير إلا بالخير .

إنّ هذا المال خَضِرة حلوة ،وإنّ كل ما أنبت الربيع يقتل حَبَطا أو يُلِمّ ، إلا آكلة الخضرة أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها ، استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ، ثم عادت فأكلت . وإن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ،ووضعه في حقه ، فنعم المعونة هو ،وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع" (١)

فقوله " أوَيأتي " بفتح الواو ،الهمزة للاستفهام ،والواو عاطفة على شيئ مقدر ،أي : أتصير النعمة عقوبة ؟ لأن زهرة الدنيا نعمة من الله فهل تعود هذه النعمة نقمة ؟ وهو استفهام استرشاد لا إنكار، والباء في قوله " بالشر " صلة ليأتي ، أي : هل يَسْتجلب الخير الشر ، وفي رواية هلال " إنه لا يأتي الخير بالشر" ويؤخذ من ذلك أن الرزق ولو كثر فهو من جملة الخير ،وأن وجوده لا يستلزم وجود الشر ،وإنما قد يعرض له الشر بعارض خارج عنه ،وذلك مثل البخل بالخير عمن يستحقه

---

(١) صحيح البخاري ،باب ماجاء في الرقاق ،وأن لاعيش إلا عيش الآخرة جـ ٨ ، ص ١١٣ .

أو صرف الخير وإنفاقه فيما لم يشرعه الله كتبذيره أو صرفه في معصية أو فسوق أو خيلاء ،فهذا من قبيل وضع الشيء في غير موضعه الذي ينبغي أن يوضع فيه أصلا ، وعلى هذا نقول:إن كل شيء قضى الله أن يكون خيرا فلا يكون شرا ،وبالعكس ،ولكن الذي يُخشى منه على من رزق الخير أن يعرض له في تصرفه مايجلب له الشر ، كما أن الشر الحقيقي فيه مايعرض له من الأمساك عن الحق والأخراج في الباطل. (١)

وبناء على ذلك فوجود الخير لايستلزم وجود الشر ولايقتضيه وما يحدث في دوافع الناس معايوهم بذلك ،فإنما سببه هو انحراف الناس عن جادة الحق والصواب حين استغلوا ماوهبهم الله من طاقات الخير في مجال الشر وترويجه،بدلا من كسب الخير بالخير وإرساء قواعد الخير وتنميته بين الناس .

---

(١) انظر فتح الباري ،جـ ١١ ،ص ٢٤٦ .

ب ـ الأذى والضرر المادي أو المعنوي .

وقد استخدمت كلمة " شر " في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة ،للدلالة على بعض أنواع الأذى والضرر المادي أو المعنوي الذي يصيب الإنسان .

فقد روى سعيد بن أبي بردة عن أبيه ،عن جده ،عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : على كل مسلم صدقة ،فقالوا : يانبي الله فمن لم يجد ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف ،وليمسك عن الشر فإنها له صدقة " (١)

قال الزين بن المنير : إنما يحصل ذلك للمسك عن الشر إذا نوى بالإمساك القربة ،بخلاف محض الترك ،والإمساك أعم من أن يكون عن غيره ،فكأنه تصدق عليه بالسلامة منه ، فان كان شره لايتعدى نفسه فقد تصدق على نفسه بأن منعها من الإثم ،فمن أمكنه أن يعمل بيده فيتصدق وأن يغيث الملهوف ،وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويمسك عن الشر فليعمل الجميع ،قال : ومعنى الشر هنا: مامنعه الشرع(٢)

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : سألت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله وجهاد في سبيله قلت : فأي الرقاب أفضل ؟ قال : أعلاها ثمنا ،وأنفسها عند أهلها : قلت فان لم أفعل ؟ قال : تعين صانعا ،أو تصنع لأخرق، قال : قلت فان لم أفعل ؟ قال : تدع الناس من الشر ،فإنها صدقة تصدّق بها على نفسك . (٣)

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب وجوب الزكاة ،جـ ٢ ،ص ١٤٣ .

(٢) انظر فتح الباري ،جـ ٣ ،ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٣) انظر رياض الصالحين ،ص ٦٩ .

ففي هذا الحديث والذي قبله دليل على أن الكف عن الشر داخل في فعل الإنسان وكسبه ، ولذلك يؤجر على تركه بنية التقرب إلى الله ويعاقب على فعله . (١)

فكل مايؤذي المسلم ويضره إنما هو شر ينبغي للمسلم اجتنابه والبعد عنه ، وكف النفس عن النزوع إليه ولو دعته نفسه ورغبت فيه ، فمن ذلك هجر المسلم مثلا ، فعن محمد بن سعد بن مالك عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث " (٢) وكذلك غير الهجر ، من أنواع الأذى ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : لاتباغضوا ولا تحاسدوا ، ولاتدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا . . . . . " (٢)

وعن أبي صرمة ، مالك بن قيس ، - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من ضار أضر الله به ، ومن شاق شق الله عليه " (٢) وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : حدثنا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مسير فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى نبل معه ، فأخذها ، فلما استيقظ الرجل فزع ، فضحك القوم ، فقال : مايضحككم؟ فقالوا : لا ، إلا أنّا أخذنا نبل هذا ففزع ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لايحل لمسلم أن يروّع مسلما " (٢)

وعن ثوبان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : لاتؤذوا عباد الله ولا تُعَيِّروهم ، ولاتطلبوا عوراتهم . . . . " (٢) فهذه أمثلة مما يؤذي المسلم من المؤذيات القولية أو الفعلية ، المادية أو المعنوية ، والتي ربما يتعذر على الإنسان عدها خاصة في هذا العصر بعد انتشار المخترعات والأدوات الحضارية الحديثة ، التي يمكن أن

---

(١) انظر فتح الباري ، جـ ٥ ، ص ١٤٩ .

(٢) انظر ، الفتح الرباني ، في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، جـ١٩ ، ص ٢٣٨ - ٢٤٢ ، سنن أبي داود جـ ٤ ص ٣٠١ .

تستخدم في الأغراض المتضادة ، والأهداف المتقابلة ، خذ مثلا :

الهاتف (التليفون) ، المقصود منه تيسير وسائل التفاهم وقضاء الحاجات ونقل ماينفع ومايلزم من المعلومات ، ولكنه ربما يتحول إلى وسيلة إيذاء وإزعاج أو أكثر من ذلك .

فمن لم يكفّ شره بالقول أو الفعل عن المسلمين ، لايستحق وصف الإسلام التام ، فقد روى مسلم عن جابر - رضي الله عنه - قوله : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " (١) ومعنى الحديث أن المسلم الكامل في إسلامه هو من لم يؤذ مسلما بقول أو فعل . وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال بها كما خص اللسان لأن معظم القول به وإن كانت الإشارة داخلة في ذلك . (٢)

ومن هذه الأحاديث المتقدمة نستنتج أن الإنسان إذا عجز عن فعل الخير وتقديمه للناس فلا أقل من كف شره عنهم ، وأن في ذلك سلامة للناس من شره وسلامة لنفسه من كسب السيئات وتحصيلها من جراء التعدي عليهم وإيذائهم .

---

(١) صحيح مسلم، جـ ١ ، ص ٦٥ .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، جـ ٢ ، ص ١٠ .

جـ - عقوبة الآخرة وعذابها :

أطلق الوصف بالشر في أحاديث شريفة متعددة ، مما يفهم منه أن المراد عذاب الآخرة وعقوبتها .

ففي أول مراحل الحياة الأخرى والمرء محمول على الأعناق إلى مثواه الأخير فإن هناك احتمالان لا ثالث لهما : أن يكون من الأخيار الأبرار ، أو من الأشرار الفجار ، وكلاهما من علم الله سبحانه ، فلا أحد يستطيع القطع بذلك لأحد من الناس على وجه اليقين لأن ذلك أمر محجوب عنا ، ولذلك فلا يدرى ماهو مصير صاحب الجنازة كما ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة ، فخير تقدمونها اليه ، وإن تك سوى ذلك ، فشر تضعونه عن رقابكم" (متفق عليه) وفي رواية لمسلم : فخير تقدمونها عليه " (١) فقد أشار - عليه السلام - إلى أن الجنازة غير الصالحة شر ينبغي التخلص منه بأسرع مايمكن .

ومما يفصّل هذا ويزيده إيضاحا ماجاء عنه - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الترمذي عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال : دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكتشرون ، (٢) قال : أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى الموت فأكثروا من ذكر هادم اللذات الموت ، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه ، فيقول : أنا بيت الغربة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود ، فإذا دفن العبد المؤمن ، قال له القبر : مرحبا وأهلا ، أما إن كنت لأحبّ من يمشي على ظهري إلي ، فإذا وليتك اليوم ، وصرت إلي ، فسترى صنيعي بك ، قال فيتسع له مدّ بصره ، ويُفتح له باب إلى الجنة . وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لامرحبا ولا أهلا ، أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليّ ، فإذا

---

(١) رياض الصالحين ، باب الإسراع في الجنازة ، رقم الحديث ٩٣٩ ص ٣٩٥.

(٢) من كشر : إذا أبدى أسنانه من الضحك أو غيره ، القاموس المحيط ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

وليتك اليوم ، وصرت إلي فسترى صنيعي بك ، قال : فيلتئم عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : بأصابعه ، فأدخل بعضها في جوف بعض ، قال : ويقيض الله له سبعين تنّينا (١) لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا ، فينهشنه ويخدشنه ، حتى يفضي به الحساب ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار . (٢)

فظاهر من هذه الآثار النبوية أن عذاب الآخرة وأهوالها شر لمن استحقها بكفره أو فجوره . ومثلها أيضا ما رواه الترمذي ، عن أنس ابن مالك - رضي الله عنه - : إذا أراد الله بعبده الخير ، عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر ، أمسك عنه بذنبه ، حتى يوافي به يوم القيامة ". (٣)

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته" (٤) ثم قرأ : (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إنّ أخذه أليم شديد) . (٥) والمعنى أن الله إذا أراد بعبده العقوبة أخر ما يستحقه منها بسبب الذنوب ، فلا يجازيه عليها حتى يجيء في الآخر متوفر الذنوب فيستوفي حقه من العقاب . (٦)

ولذلك يجب على أهل الإيمان أن لا تضيق صدورهم وأن لا يتسرب إليهم الشك عندما يرون الطغاة والظالمين يمتعون في هذه الدنيا

---

(١) الحية العظيمة . انظر القاموس المحيط ، جـ ٤ ، ص ٢٠٥ .

(٢) حديث حسن غريب ، جامع الترمذي ، كتاب صفة القيامة جـ٤ ، ص ٦٣٩-٦٤٠ .

(٣) حديث حسن غريب ، جامع الترمذي رقم الحديث ٢٥٠٧ ، جـ٥ ص ٢٧ .

(٤) متفق عليه ، نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين رقم الحديث ٢٠٩ ، جـ ١ ، ص ٢٣٣ .

(٥) سورة هود /١٠٢ .

(٦) انظر تحفة الأحوذي ، جـ ٧ ، ص ٧٧ .

وينالون من زينتها رغم جرائمهم التي ينخلع الفؤاد من هولها وتذهل النفس من فضاعتها،فان إمهالهم وتمكينهم المحدود ليس دليلا على رضا الله عنهم ، وإنما هو من مكر الله بهم حيث أن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لايحب ، قال تعالى:(ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمان لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ،ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين " (١)

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - في خطبته بعد الظهر: عرضت عليّ الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط ، فلم أر كالخير والشر" . (٢)

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : صلى لنا النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم رقا المنبر ،فأشار بيديه قبل قبلة المسجد ثم قال : لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار ممثلتين في قبلة هذا الجدار ،فلم أر كاليوم في الخير والشر - ثلاثا -" (٣)

والذي يظهر أن حديث أنس مختصر من حديث بن عباس الذي يقول فيه : خسفت الشمس على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى، قالوا : يارسول الله ،رأيناك تناولت شيئا في مقامك ....." (٤) ومن ذلك يمكن القول بأن الجنة خير ،والنار شر ،وأن السعيد من وفق إلى الأخذ بأسباب الخير ، التي توصل إلى الجنة ،وأن الشقي من سلك أسباب الشر التي تودي بصاحبها إلى النار والعذاب .

---

(١) سورة الزخرف / ٣٣ - ٣٥ .

(٢) صحيح البخاري ،جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(٣) صحيح البخاري ،جـ ١ ، ص ١٩٠ .

(٤) المصدر السابق ،والمكان نفسه .

خلاصة هذا الفصل :

يتبين لنا مما سبق في هذا الفصل أن مفهوم الشر قد جاء من خلال السنة النبوية مستوعبا لكل أنواع الانحرافات والمساوئ والأخطاء العقيدية والفكرية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية ، ولكل مايضر الإنسان ويؤذيه أذى ماديا أو معنويا ، ولمايحصل في الآخرة للكفار والمشركين وأهل الفسق والفجور والمعاصي من العذاب والنكال .

الفصل الثالث

مصدر الشر كما يبينه القرآن الكريم

ويضم الأقسام التالية :

ا - المخلوقات وشرورها .

ب - هل يكون الإنسان مصدراً للشر ؟

جـ - الشياطين ومصدر الشر .

تمهيـــــــــد :

قبل الدخول في بيان مصادر الشر ، يحسن التوقف عند بعـــــض الآيات التي يمكن أن تعرفنا بأصل هذه القضية ، وقاعدتها الأســـاسية، فقد أشارت آيات متعددة إلى عموم خلق الله تعالى لكل مايصدق عليـــه وصف " مخلوق " بدون أستثناء ، يقول سبحانه عن ذاته الكريمة : بديـــع السمٰوٰت والأرض ،أنىٰ يكون له ولد ، ولم تكن له صٰحبة ، وخلق كل شـــيئ وهو بكل شيئ عليم ". (١) فالله تعالى يقرر في هذه الآية حقيقة تفـــرده بالخلق وحده ثم يؤكدها في الآية التي بعدها بقولـــه عزوجل : ذٰلكـــم الله ربكم لاإلٰه إلا هو خٰلق كل شيئ فاعبدوه وهو علىٰ كل شيئ وكيل ". (٢) ففي الآية الأولى جاءت كلمة " خلق" وفيها إشارة إلى الماضي ، وفي الآيـــة الثانية جاء اسم الفاعل " خالق " وهو يتناول الأوقات كلها . والمعنى : لا خالق للخلق سواه ، ولا مدبر للعالم إلا هو . (٣) ومثل هاتين الآيتـين آيات أخر ، كقوله تعالى : أم جعلوا للـه شركاء خلقوا كخلقه فتشٰبه الخلق عليهم ،قل الله خٰلق كل شيئ ، وهو الوٰحد القهٰر" (٤) وقوله : وخلـق كل شيئ فقدره تقديرا " (٥) وقوله:ماخلق الله السمٰوٰت والأرض ومابينهمـــا إلابالحق وأجل مسمى " (٦) وقوله : هذا خلق الله فأروني ماذا خلـــــق

---

(١) سورة الأنعـام / ١٠١ .

(٢) سورة الأنعام / ١٠٢ .

(٣) انظر التفسير الكبير ،جـ ١٣ ،ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٤) سورة الرعـد / ١٦ .

(٥) سورة الفرقـان / ٢ .

(٦) سورة الروم / ٨ .

الذين من دونه" (١) وقوله : الله الذي خلق السموٰت والأرض ومابينهما في ستة أيام" (٢) وقوله : وماخلقنا السموٰت والأرض ومابينهما إلا بالحق" (٣) وقوله : وماخلقنا السماء والأرض وما بينهما لـٰعبين " (٤) وقوله : الـــذي أحسن كل شيء خلقه . . . ." (٥) وقوله : واتخذوا من دونه الهـــة لايخلقون شيئا . . . " (٦) وقوله : الله خـٰلق كل شيء" (٧) وقوله : ذٰلكـم الله ربكم خـٰلق كل شيء لاإلٰه إلا هو" (٨) فالخلق هو : الإيجاد والتكويـن والإخراج من العدم إلى الوجود . (٩)

والخير والشر من أعمال العباد وآثار المخلوقات وكل منهما شيء ،والله تعالى خالق كل شيء بحكم هذه الآيات ،فوجب كونه تعالى خالقا لهـا . (١٠) ويدل على هذا صراحة قوله تعالى : والله خلقكم وماتعملون " (١١) أي : والله خلقكم وخلق عملكم ، وكل الأشياء مخلوقه له ،فكيف تعبدون المخلوق وتتركـون الخالق ،قال ابن جُزَي : ذهب بعض المفسرين إلى أن " ما" مصدريـــة ،

---

(١) سورة لقمان / ١١ .

(٢) سورة السجدة / ٤ .

(٣) سورة الحجـــر / ٨٥ .

(٤) سورة الأنبياء / ١٦ .

(٥) سورة السجدة / ٧ .

(٦) سورة الفرقان / ٣ .

(٧) سورة الزمر / ٣ .

(٨) سورة غافر / ٦٢ .

(٩) انظر أضواء البيان ،جـ ٣ ،ص ١٠١ .

(١٠) انظر التفسير الكبير ،جـ ١٣ ، ص ١٢٧ .

(١١) سورة الصافات / ٩٦ .

والمعنى : الله خلقكم وخلق أعمالكم ، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد ... (١)

أما قوله تعالي : ألا له الخلق والأمر". فهي دليل على أنه لا موجد ولا مؤثر إلا الله ـ سبحانه ـ وكل من أوجد شيئا وأثر في حدوث شيء ،فقد قدر علي تخصيص ذلك الفعل بذلك الوقت فكان خالقا ،ثم الآية دلت علي أنه لا خالق إلا الله ،لأن الآية جاءت بصيغة الحصر ،ومعنى ذلك أن كل أمر يصدر عن فلك أو ملك أو جني أو إنسي فخالق ذلك في الحقيقة هو الله ـ سبحانه ـ لاغير ،ولو كان الأمر على غير ذلك ،كما يقول الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بإثبات الطبائع والعقول والنفوس ،أو القائلون بعدم خلق الله لبعض أفعال العباد ،لوثبت هذا لحصل خالق غير الله ، وهذا باطل . (٢)

فعلى هذا يتضح أن الخير والشر من مخلوقات الله تعالي التي لا يمكن أن يخرج شيء منها عن هذه الدائرة الواسعة " الخلق والإيجاد" ، وإذا ما استعرضنا آيات القرآن الكريم نجد أن الشر قد أسند إلى بعض المخلوقات ،ويمكن أن نجد في هذا المجال ثلاثة منها ، فأسند الشر أولا إلى المخلوقات جملة ،ثم إلى الإنسان ،وإلى الشياطين على التخصيص منها ، وهذه محاولة لمعالجة هذا الأمر ،وبيان أوجه تلك النسبة :

---

(١) صفوة التفاسير ،جـ ٣ ،ص ٣٩ .

(٢) انظر التفسير الكبير ،جـ ١٤ ،ص ١٢٨ .

ا ــ المخلوقات وشــرورهــا :

لقد أمر الله ـ عز وجل ـ بالاستعاذة من جملة أشياء أسندت إليهــا الشرور بصــفة عامة : حيث أن هذه الأشياء قد تكون مصدرا للشر الـــذي يخشى منه الإنسان إن لم يتداركه الله بالحماية والرعاية. قال تعالــــى : قل أعوذ برب الفلق ،من شر ما خلق " (١) أي من شر كل ما خلقه اللـــه ـ سبحانه وتعالى ـ من جميع مخلوقاته ،فيعم جميع الشرور (٢)

فعلى هذا يمكن أن يكون أي شئ من الجمادات أو النباتـــــات أو الحيوانات بمختلف أشكالهن وأنواعهن ،أو الآدميين ،أو الجن ،إمـــا مصدرا للشر أو محلا أو ناقلا له ، بمختلف أصنافه ودرجاته . ولا وجــــه بتخصيص ذلك بإبليس وذريته أو بالمضار البدنية . (٣)

والمتبادر إلى الذهن عموم أي شر يقع للإنسان أو يحتمل وقوعـــــه، أو حتى لا يعرفه ولا يتصوره ، كما روت عائشة ـ رضي الله عنهاـ أن النـــبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول : في دعائه : اللهم إني أعوذ بك مـــن شر ما عملت ،ومن شر مالم أعمل ،اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شــر مالم أعلم" (٤) ففي هذا العصر الذي يسمى " عصر السرعة " أصبح المــرء لا يستطيع خياله أن يفكر بماذا يمكن أن يقع له من المكروهات والمؤ ذيـــات

---

(١) سورة الفلق /١ - ٢ .

(٢) انظر فتح القدير ،جـ ٥ ،ص ٥٢٠ .

(٣) انظر المصدر السابق ،والمكان نفسه .

(٤) رواه مسلم والنسائي ،وأبوداود وابن ماجه ،وابن أبي شــيبة فــي مصــنفه ،انظر تحفة الذاكرين ، ص ٢٨٠ .

سواء كانت لبدنه أو أسرته أو لماله أو لمجتمعه الصغير أو الكبير ،فربما أصابه مرض مفاجئ أو بجرح خطير أو تسمم دمه بسبب غذاء معلب أو دواء فاسد ،أو داهمه لص أو حريق أو هاجمه عدو أو انقلبت أو اصطدمت به سيارة أو سقطت به طائرة . . . . الخ .

وقال بعض العلماء : إن " من شرماخلق " (١) عام لكل شر في الدنياوالآخرة ، وشر الإنس والجن والشياطين ،وشر السباع والهوام ،وشر النار ،وشر الذنوب ، والهوى ،وشر النفس ، وشر العمل، وظاهره تعميم ماخلق الله ، بحيث يشمل نفس المستعيذ ،ولا يأبئ ذلك كون السورة يستعيذ بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجوز بعضهم جعل " ما" مصدرية مع تأويل المصدر باسم المفعول ، وهو تكلف مستغنى عنه .

وإضافة الشر إلى ماخلق : قيل : لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة المستتبعة للكون والفساد ،وأما عالم الأمر الذي أوجد بمجرد أمر " كن " من غير مادة فهو خير محض ،منزه عن شوائب الشر بالمرة .

والظاهر أنه عني بعالم الأمر عالم المجردات وهم : الملائكة ـ عليهم السلام ـ وأورد عليه ـ بعد غض الطرف عن عدم ورود ذلك في لسان الشرع ـ أن منهم من يصدر منه شر كخسف البلاد ، وتعذيب العباد ،وأجيب بأن ذلك بأمره تعالى ،فلم يصدر إلا لامتثال الأمر لا لقصد الشر من حيث هو شر فلا إيراد . نعم : يرد أن كونهم مجردين خلاف المختار الذي عليه سلف الأمة ومن تبعهم ،بل هم أجسام لطيفة نورانية ،ولو سلم تجردهم قلنا بعدم حصر المجردات فيهم ،كيف وقد قال كثير بتجرد الجن ،فقالوا : إنها ليست أجساما ولا حالة فيها ،بل هي جواهر مجردة ،قائمة بأنفسها

---

(١) سورة الفلق / ٢ .

مختلفة بالماهية، بعضها خيرة ، وبعضها شريرة ، وبعضها كريمة حرة محبة للخيرات ، وبعضها دنيئة خسيسة محبة للشرور والآفات ، وبالجملة : ماخلق أعم من المجرد على القول به وغيره ، والكل مخلوق له تعالى أي : موجد بالاختيار بعد العدم ، إلا أن المراد الاستعاذة مما فيه شر من ذلك . (١)

وقال ثابت البُناني والحسن البصري : جهنم وإبليس ، وذريته مما خلق (٢)

ويقول ابن جرير في تفسيرها: وقال جل ثناؤه : من شر ماخلق . (٣) لأنه أمر نبيه أن يستعيذ من شر كل شيء ، إذ كان كل ماسواه ، فهو ماخلق (٤)

ويقول الرازي : يريد من شر أصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع والهوام وغيرها ، ويجوز أن يدخل فيه من يؤذيني من الجن والإنس - أيضا - ووصف أفعالها بأنها شر ، وإنما جاز إدخال الجن والإنسان تحت لفظة " ما " لأن الغلبة لما حصلت في جانب غير العقلاء ، حسن استعمال لفظة " ما " فيه ، لأن العبرة بالأغلب - أيضا - ، ويدخل فيه شرور الأطعمة المُمْرِضة ، وشرور الماء والنار . (٥)

فيظهر مما تقدم في معنى هذه الآية أنه يمكن أن تكون بعض المخلوقات مصدرا للشر ، ولايلزم أن يكون بإرادة وقصد ، بل إن في الآية تغليب لغير العاقل ، حيث ورد الاسم الموصول " ما " الذي يغلب

---

(١) روح المعاني، ج ٣٠ ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٨ ، ص ٥٥٤ .

(٣) سورة الفلق / ٢ .

(٤) جامع البيان ، ج ٣٠ ، ص ٣٥١ .

(٥) التفسير الكبير ، ج ٣٢ ، ص ١٩٢ .

استعماله لغير العقلاء .

وقوله تعالى : ومن شر غاسق إذا وقب" . الغاسق هو الذي يُظلم ، كالليل والنجم والقمر إذا دخل في ظلامه ، فإنه - صلى الله عليه وسلم - كان يؤمر بالاستعاذة من شره . (١) وأصل الوقب : النُّقْرة والحفرة ، ثم استعمل في الدخول ، ومنه قوله :

وقب العذاب عليهم فكأنهم   لحقتهم نار السموم فأخمدوا

وفسر هنا بالمجيء - أيضا - والتقييد بهذا الوقت لأن حدوث الشرفيه أكثر ، والتحرز منه أصعب وأعسر .

ومن أمثالهم:الليل أخفى للويل . واستدل على تفسير الغاسق بالقمر بما روت عائشة - رضي الله عنها - قالت : نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما إلى القمر لما طلع فقال : ياعائشة استعيذي بالله تعالى من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب" (٢) وهو كل شر يعتري الإنسان ، والشر يوصف بالظلمة والسواد ، ووقوبه : هجومه . (٣)

فيفهم من هذا الحديث الذي يفسر الآية بأن القمر عندما يدخل في المنطقة غير المرئية من الكون: (إذا وقب) عند ذاك يشتد الظلام ويحلك ، وترتفع نسبة الخطر ، فتكون فرصة للعدو أن يهجم ، وللسارق أن يتلصص ، وللجاسوس أن يتحرك ، وللسبع أن يتجول ، وحتى للحشرة أن تزحف ، ولهذا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عائشة أن تستعيذ بالله من المخاطر

---

(١) جامع البيان ، جـ ٣٠ ، ص ٣٥٣ .

(٢) حديث حسن صحيح ، جامع الترمذي ، جـ ٥ ، ص ٤٥٢ .

(٣) انظر روح المعاني ، جـ ٣٠ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

والمؤذيات التي تحصل بسبب غياب القمر فتكون ذروة الظلام ، وحتى كأن حركته بالأفول جعلت ظرفا مناسبا للشر والأشرار فكأنه بذلك في هذه الحال صار مصدرا للشر . وهذه بعض الروايات التي توضح معنى هذه الآية : قال مجاهد : غاسق الليل إذا وقب : غروب الشمس.وقال ابن عباس وغيره : إنه الليل إذا أقبل بظلامه .

وقال الزهري : إنه الشمس إذا غربت . وعن عطية وقتادة أن معنى وقب : ذهب ويرد الطبري هذا التفسير قائلا :ولست أعرف ماقال قتادة في ذلك في كلام العرب ،بل المعروف من كلامها من معنى وقب : دخل . (١)

وعن أبي هريرة : أنه كوكب . وقال ابن زيد : كانت العرب تقول الغاسق:سقوط الثريا ،وكانت الأسقام والطواعين تكثرعند وقوعها ،وترتفع عند طلوعها . وروى ابن جرير حديثا لايصح رفعه أنه : النجم الغاسق (٢) هذا بالإضافة إلى الرواية المتقدمة عن عائشة ، ويجمع بن كثير بين هذه الروايات بأنه لاتنافي بينها ،لأن القمر آية الليل ، ولايوجد له سلطان إلا فيه ،وكذلك النجوم لاتضيء إلا في الليل . (٣)

ويعلق ابن جرير قائلا : إن الله أمر نبيه ـ صلي الله عليه وسلم ـ أن يستعيذ " من شر غاسق " وهذا الذي يظلم ،يقال : غسق الليل ، يغسق غسوقا : إذا أظلم " إذا وقب " يعني إذا دخل في ظلامه ، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق ، والنجم إذا أفل غاسق ، والقمر غاسق إذا وقب ، ولم يخصص بعض ذلك ، بل عم الأمر بذلك . . . (٤)

---

(١) جامع البيان ،جـ ٣٠ ،ص ٣٥٣ .

(٢) جامع البيان ،جـ ٣٠ ،ص ٣٥٢ .

(٣) انظر تفسير بن كثير ،جـ ٨ ،ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٤) المصدر السابق ،والمكان نفسه .

أما الليل فلأن فيه خروج السباع من آجامها ،والهوام من مكانها، وفيه يهجم السارق والمكابر ،ويقع الحريق ، ويقل فيه الغوث . وقال قوم : إن في الليل تنتشر الأرواح المؤذية المسماة بالجن والشياطين ،وذلك لأن قوة شعاع الشمس كأنها تقهرهم ،أما في الليل فيحصل لهم نوع استيلاء . (١)

فيتبين من هذه الآية أن فيها إسنادا للشر إلى بعض مخلوقات الله ، ومنها الظروف الزمانية ، التي تحصل فيها أنواع من المؤذيات ،التي تجد مجالا لها في تلك الظروف .

---

(١) انظر التفسير الكبير ،جـ ٣٢ ،ص ١٩٤ .

ب ـ هل يكون الإنسان مصدرا للشر ؟

تمهيد :

الهداية والخير شئ أصيل في الإنسان، وماعداه من سوء أو انحراف إنما هو فساد يطرأ على فطرته ، وتغير يعتريها في ظروف وملابسات كثيرة .. يدل على هذا أكثر من دليل من الكتاب والسنة ، يقول تعالى : "فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون "[1] ومع ذلك فلدى الإنسان الاستعداد لأن يبقي على هذه الفطرة الخيرة ، أو أن يتحول عنها إلى ضدها كما قال تعالى : "إنا هدينٰه السبيل ، إما شاكرا وإما كفورا"[2] وهذا من تكريم الله للإنسان والجان ، حيث أعطاهم القدرة على الاختيار والتمييز بين الخير والشر ، والحق والباطل .

إن الهداية والتوحيد والاستقامة يسير عليها الكون كله ـ بقدر الله المطرد المتجدد ـ وهي ـ كذلك ـ موجود أصلها في كيان الإنسان[3] بوصفه من كائنات هذا الكون ، والمفروض أن يمتد هذا الأصل ويشمل كل حياته ، وهو لا يحتاج إلى وعي عقلي للإحساس به . فهو مدرَك بالفطرة ، مستقر في صميمها ، تستشعره بذاتها ، وتتصرف وفقه ، مالم يطرأ عليها الخلل والفساد ، فتنحرف عن إدراكها الذاتي له ، وتدع للأهواء العارضة أن تسيرها بدلا من السير على الأصل القويم .[4]

---

(١) سورة الروم / ٣٠ .

(٢) سورة الإنسان / ٣ .

(٣) وكذلك الجان ، فهم مكلفون .

(٤) انظر في ظلال القرآن ، جـ ٩ ، ص ١٣٩٥ .

الإنسان وبعض الأفعال الشريرة :

وعند ما يختار المكلفون الطريق الثانية ،طريق الغواية والشر ، فإنهم حينذاك يصبحون مصدر شرعن طريق أفعالهم المادية أوغير المادية، وقد ذكر الله تعالى من أنواع هؤلاء ماجاء في سورة الفلق في قوله سبحانه : ومن شر النفثٰت في العقد " . وهن السواحراللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها . (١) فالنفاثات صفة صنعة للنفوس ، وتأثير السحر إنما هو من جهة النفوس الخبيثة والأرواح الشريرة ،وسلطانه منها ،ولكون مثل ذلك من عمل النساء وكيدهن ،غلب المؤنث على المذكر هنا ، وهو جائز ، والنفث : النفخ مع ريق كما قال الزمخشري (٢)،كما نقله ابن القيم من أنهم إذا سحروا استعانوا على تأثير فعلهم بنفس يمازجه بعض أجزاء أنفسهم الخبيثة.

وقرأ الحسن (النُّفاثات) بضم النون ، وهناك قراءات أخرى ،وتعريفها إما للعهد أو للإيذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه ،وتخصيصه بالذكر لماروت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : سُحر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى ليخيل إليه أنه فعل الشئ ولم يكن فعله حتى إذاكان ذات يوم أو ذات ليلة دعا الله ، ثم دعا ،ثم دعا ، ثم قال : أشعرت ياعائشة أن الله تعالى قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ قلت وماذاك يارسول الله ؟ فقال : جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي ،أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي : ماوجع الرجل ؟ قال : مطبوب ،قال : من طبه ؟ قال: لبيد بن الأعصم ، قال : في أي شئ ؟ قال : في مشط ومشاطة ،وجف طلعة ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذي أروان ، قالت : فأتاها

---

(١) جامع البيان ،جـ ٣٠ ،ص ٣٥٣ .

(٢) الكشاف، جـ ٢٤ ،ص ٣٠١ .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أناس من أصحابه ، ثم قال : ياعائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين . قالت : فقلت : يارسول الله . . أفلا أحرقته ، قال : لا ، أما أنا فقد عافاني الله - تعالى - وكرهت أن أثير على الناس شرا ، فأمرت بها فدفنت " (١)

فالساحر مصدر شر وأذى لنفسه حيث يرتكب كبيرة من كبائر الذنوب السبع ، وقد يخرج من الإسلام بالكلية إذا كان مسلما ، وذلك إذا صرف للجن أو الشياطين شيئا من أنواع التعبد في سبيل تعلم السحر أو عمله . . وأي ضرر عليه أعظم من فساد عقيدته ، وبطلان ديانته ، ولحوقه بركب الفسقه والكفرة والمشركين . . الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا ، وصدق عليهم الوعيد بالعذاب الشديد أو الخلود في عذاب جهنم إلى الأبد - أعاذنا الله من ذلك . وهو - أي الساحر - مصدر شر وأذى كبير لغيره من الناس في نفسه وبدنه أو أهله أو ماله ، كما ذكر الله تعالى : فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه ، وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ،، (٢)

فقوله تعالى : ومن شر النفّٰثٰت في العقد " (٣) وحديث عائشة المذكور يدلان على تأثير السحر ، وأن له حقيقة .

وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم . وقالوا : إنه لا تأثير للسحر ألبته لا في مرض ، ولا قتل ، ولا حل ، ولا عقد ، وأن ذلك تخييل لأعين الناظرين ، لا حقيقة له سوى ذلك ، وهذا خلاف ماتواترت به الآثار عن الصحابة والسلف واتفق عليه الفقهاء وأهل الحديث والتفسير ،

---

(١) انظر صحيح البخاري ، جـ ٧ ، ص ١٧٨ .
(١) انظر روح المعاني ، جـ ٣٠ ، ص ٢٨٣ .
(٢) سورة البقرة / ١٠٢ .
(٣) سورة الفلق / ٤ .

ومايعرفه عامة العقلاء والسحر الذي يورث مرضا وثقلا وحبا وبغضا ونزيفا وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس ، وكثير منهم قد علمه ذوقا بما أصيب به منه ، كما أن في آية سورة الفلق دليل على أن النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه إذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ماهو به ، مع أن هذا تغيير في إحساسهم ، فما الذي يحيل تأثيره في بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم (1)

وقد حاول جماعة من المتأخرين التشكيك في حادثة سحر الرسول - صلي الله عليه وسلم - بحجة أن ذلك ينافي عصمته ، ويورث عدم الثقة فيما يبلغه عن ربه ، وهو فى حالته تلك يرى أنه يفعل الشيء ولايفعله ، وأنه يأتي النساء وهو لايأتيهن . . . الخ .

والشيخ المصلح / محمد عبده هو الذي فتح باب التشكيك في ذلك ، وتأثر به على درجات متفاوتة بعض المفكرين المعاصرين ورأيهم المشار إليه مردود ومنقوض بكثير من الشواهد غير حديث عائشة منها : أن وقوع السحر أو تأثيره لاينافي عصمة الأنبياء ، كما حدث لموسى كما ذكر الله تعالى عنه : فأوجس في نفسه خيفة موسى " (2) وأن تأثر الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما أشارت بعض روايات الحديث ، والتي يعلق عليها سفيان بن عيينه بقوله : وهذا أشد مايكون من السحر ، إذا كان كذا . (3) وهذا يدل على أن تأثير السحر عليه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن في صلته بالوحي ، ولا في علاقاته بالناس ، ولا في سلوكه معهم .

---

(١) انظر التفسير القيم ، ص ٥٧١ .

(٢) سورة طـه / ٦٧ .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب الطب ، جـ ٧ ، ص ١٧٧ .

بالإضافة إلى أن الله تعالى قد تكفل بحفظ الوحي ، وأن تعرضه صلى الله عليه وسلم ـ للسحر كتعرضه للسم ولكافة الأمراض والأوجاع ، وللجروح والكسور في الحروب ، والتأثر بها جسديا لاينافي عصمته عقليا وقلبيا ومنطقيا . [١] وهناك نوع آخر من الشرور التي تصدر عن الإنسان ،عندما يختار سبيل الضلال والانحراف ،وهو ما أشارت إليه الآية الأخيرة من سورة الفلق ،وهي قوله تعالى : ومن شر حاسد إذا حسد .[٢] فقد أُمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يستعيذ بالله من شركل حاسد اذا حسد ،فعابه أو سحره أو بغاه . [٣]

فالحاسد إذا أظهر مافي نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادئ الإضرار بالمحسود قولا وفعلا ، ومن ذلك على ماقيل النظر إلى المحسود ، وتوجيه نفسه الخبيثة نحوه على وجه الغضب ، فان نفس الحاسد حينئذ تتكيف بكيفية خبيثة ربما تؤثر في المحسود ،بحسب ضعفه ، وقوة نفس الحاسد ، شرا قد يصل إلي حد الإهلاك ،ورب حاسد يؤذي بنظره بعين حسده ، نحو مايؤذي بعض الحيات بنظرهن [٤] وذكروا

---

(١) انظر زاوية يسألونك ،مجلة المسلمون ، عدد ٤٢ في ٢٤/١٠/١٤٠٢ ص ٢٠ .

(٢) سورة الفلق / ٥ .

(٣) جامع البيان جـ ٣٠ ، ص ٣٥٤ .

(٤) وهو جنس من الثعابين موجود ومشهور ويعرف باسم" الكوبرا" ويعرف عنه أنه يصوب سمه إلى عين فريسته ليعميها ،وقد يسقط الحمل بسبب الفزع من رؤيته ،أو بسبب سمه إذا لدغ .

(انظر مفهوم تجديد الدين ـ رسالة ماجستير ـ ص ٢٨٣) .

أن العائن والحاسد يشتركان في أن كلا منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من تريد أذاه ،إلا أن العائن تتكيف نفسه وتتوجه نحو من تريد أذاه عند مقابلة العين والمعاينة ،والحاسد يحصل حسده في الغيبة والحضور ، وأيضا : العائن قد يعين من لايحسده من حيوان وزرع،وأن كان لايكاد ينفك من حسد صاحبه ،والتقييد بذلك إذ لاضرر قبله،بل قيل : إن ضرر الحسد إنما يحيق بالحاسد لاغير ، كما قال علي - رضي الله عنه - : للّه در الحسد ماأعدله ،بدأ بصاحبه فقتله ،وقال ابن المعتز : (١)

اصبر على حسد الحسو ... د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ماتأكله (٢)

---

(١) روح البيان، جـ ٣٠ ،ص ٢٨٤ .

(٢) وليعلم أن الحسد يطلق على تمني زوال النعمة عن الغير وعلى تمني استصحاب عدم النعمة ودوام مافي الغير من نقص أو فقر أو نحوه والإطلاق الأول هو الشائع،والحاسد بكلا الإطلاقين ممقوت عند الله - تعالى - وعند عباده -آت بابا من الكبائر على مااشتهر بينهم ،لكن التحقيق أن الحسد الغريزي الجبلّي إذا لم يعمل بمقتضاه من الأذى مطلقا ،بل عامل المتصف به أخاه بمايحب الله - تعالى - مجاهدا نفسه لاإثم فيه بل يثاب صاحبه على جهاد نفسه وحسن معاملته أخاه ثوابا عظيما لما في ذلك من مشقة مخالفة الطبع كما لايخفى ،ويطلق الحسد على الغبطة مجازا ،وكان ذلك شائعا في العرف الأول وهي : تمني أن يكون له مثل مالأخيه من النعمة من غير تمني زوالها وهذا مما لابأس به،ومن ذلك ماصح من قوله - صلى الله عليه وسلم - :لاحسد إلا في أثنتين : رجل آتاه الله تعالى مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله - تعالى - حكمة فهو يقضي بها ويعلمها " متفق عليه/ رياض الصالحين ، ص ٢٥٩ .

وقد وردت أحاديث في إثبات العين والإصابة بها ، التي هي من آثار الحساد ،فقد روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : أمرني رسول الله - صلي الله عليه وسلم - أو أمر أن يسترقى من العين" (١) وعن أم مسلمة أن النبي - صلي الله عليه وسلم - رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة ، فقال : استرقوا لها ، فإن بها النظرة (١) وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : العين حق ونهي عن الوشم " (١) وروى الترمذي عن أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - قالت : يارسول الله ، ان ولد جعفر تسرع إليهم العين ،أفأسترقي لهم ؟ فقال : نعم ، فإنه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين " (٢)

والنظر الذي يؤثر في المنظور قد يكون سببه شدة العداوة والحسد فيؤثر نظره فيه ،كما تؤثر نفسه بالحسد ، ويؤذي تأثير النفس عند المقابلة ، حتى أن من الناس من يسقط ، ومنهم من تصيبه الحمى ، وقد شاهد الناس من ذلك كثيرا .

وقد يكون سببه الإعجاب وهو الذي يسمى :بإصابة العين . وهو أن الناظر يرى الشيء رؤية إعجاب به أو استعظام ،فتتكيف روحه بكيفية خاصة تؤثر في المعين (٣) وقد روى الترمذي : أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الطب ،جـ٧ ،ص ١٧١ .

(٢) حديث حسن صحيح ، جامع الترمذي،كتاب الطب ، جـ ٤ ،ص ٣٩٥ .

(٣) والأستاذ الشهيد سيد قطب يرد محاولات المدرسة العقلية في إنكار آثار الحسد والسحر بأنه لابد من الاعتراف بما لانعرف من أسرار الوجود ، وأسرار النفس البشرية ، وأسرار القدرات الإنسانية ، فهناك التخاطر من بعد ، والتنويم المغناطيسى ، ولا يمكن نفي آثار انفعال الحاسد على المحسود لمجرد أن مالدينا من العلم وأدوات الاختبار لاتصل إلى سرهذا الأثر وكيفيته . انظر في ظلال القرآن ،جـ ٣ ص ٤٠٠٨ .

كان يتعوذ من عين الإنسان » [1] فلولا أن العين شر لم يتعوذ منها .

والتعوذ من الحاسد يعم الحاسد من الجن والإنس. وتقييد الحاسد في الآية بكلمة « إذا حسد » من أجل أن الرجل قد يكون عنده حسد ، ولكن يخفيه ، ولا يرتب عليه أذى أحد بوجه ما ، لا بقلبه ، ولا بلسانه ولا بيده ، بل يجد في قلبه شيئا من ذلك ، ولا يعامل أخاه إلا بما يحب الله ، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد ، إلا من عصمه الله. وقد قيل للحسن البصري : أيحسد المؤمن؟ قال : ماأنساك لإخوة يوسف!

والحاسد والساحر كل منهما قصده الشر ، لكن الحاسد بطبعه ونفسه وبغضه للمحسود ، والشيطان يقترن به ويعينه ويزين له حسده ، ويأمره بموجبه ، والساحر بعلمه وكسبه ، وشركه واستعانته بالشياطين . [2]

مما تقدم يظهر لنا بكل وضوح أن الفطرة الخيرة الصالحة هي الأصل في الإنسان ، وكذلك في الجان [3] ولكنها قد تتغير نحو الضلال والفساد والشر لأن المكلفين قد أعطوا القدرة على الاختيار وسلوك الطريق التي يشاؤن تكريما لهم من الله سبحانه في الأصل ، ومن أبرز ظواهر التحول من الطبيعة الخيرة إلى الحالة السيئة الشريرة ظاهرتي السحر والحسد . . .

---

(١) حديث حسن غريب ، جامع الترمذي ، كتاب الطب ، جـ٤ ، ص ٣٩٥ .

(٢) انظر التفسير القيم ، ص ٥٧٨ ومابعدها .

(٣) بدليل قوله تعالى - حكاية عن وفدهم الذي استمع إلى القرآن : وأنا من الصلحون ومنا دون ذلك » . وقولهم : وأنا من المسلمون ومنا القسطون » الجن / ١١ و١٤ . فقدم الصلاح والإسلام في الموضعين ، بالنسبة لهم .

أما أفعال الإنسان الأخرى وهي مايذكره القرآن بلفظ السيئات أو ما يشير إليها ،فإنها مصدر شر لفاعلها كما يقول تعالى : كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون » . أي غطى على قلوبهم ماكسبوا من الذنوب،فطمس بصائرهم فصاروا لايعرفون الرشد من الغي ،والران : هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب. (١) فأفعالهم الماضية صارت سببا في حصول الرين في قلوبهم،فالإنسان إذا واضب على الإتيان ببعض أنواع الذنوب حصلت في قلبه ملكة نفسانية على الإتيان بذلك الذنب،ولا معنى للذنب إلا مايشغل بغير الله ،وكل مايشغل بغير الله فهو ظلمة ،فإن الذنوب كلها ظلمات وسواد ،وتختلف شدة وضعفا . (٢)

وفي توعد الله لأهل الكتاب بقوله ،فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون» (٣) في ذلك إشارة من حيث العموم إلى أن مايفعلون من كافة المعاصي نذير عذاب ونكال. ويقول تعالى : بلى من كسب سيئة ، واحلطت به خطيئته ،فأولئك أصحلب النار هم فيها خللدون» . (٤) والمعنى أن من فعل الكبائر أو الشرك- والأخير أولى ،لما ثبت في السنة متواترا ، من خروج عصاة الموحدين من النار - أن من أشرك فقد استحق النار والخلود فيها - إذا مات على ذلك . وأن مجرد كسب السيئة لايوجب الخلود ، بل لابد أن تكون السيئة محيطة به ،فكأنها غمرته من جميع جوانبه ، وسدت عليه مسالك النجاة ،بأن فعل مثل اليهود . (٥) وتأكد آية أخرى أن الإنسان

---

(١) انظر صفوة التفاسير جـ ٣ ،ص ٥٣٣ .

(٢) انظر التفسير الكبير ،جـ ٣١ ،ص ٩٦ .

(٣) سورة البقرة / ٧٩ .

(٤) سورة البقرة / ٨١ .

(٥) انظر فتح القدير ، جـ١ ،ص ١٠٥ ،وصفوة التفاسير ،جـ١ ،ص ٧٢ .

وحده يتحمل تبعة أعماله الشريرة فيقول تعالى : . . . وعليهـا ماكتسبت » (١) فهو على النفس لاعلى غيرها ،فلايؤاخذ بذنبها غيرهـا ، وخص الشر بالاكتساب لأن في الاكتساب إعمال ،فلما كان الشر مماتشتهيه النفس وهي منجذبة إليه ،وأمارة به ،كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه . (٢)

واكتساب الكفر والمعصية سبب لعقوبة الله وعذابه ،فاكتساب الإنسان لهما مصدر شر عظيم له ، فردا كان أم جماعة ،قال تعالى : ولو أن أهل القرىٰ ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركٰت من السماء والأرض، ولكن كذبوا ، فأخذنٰهم بما كانوا يكسبون » . (٣) وفي آية تالية يذكر الله مصدر البلاء والعذاب والإغراق في الضلال بأن سببه (الذنوب) قال تعالى : أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبنٰهم بذنوبهم ونطبع علىٰ قلوبهم فهم لايسمعون » . (٤) أي عقاب ذنوبهم أو إهلاكهم بالعقاب ،فالإهلاك لا يجمع مع الطبع على القلب،فإذا أهلكوا استحال الطبع على قلوبهم ، والطبع والختم ، والرين والكنان والغشاوة ، والصد والمنع ، معانيها واحدة . (٥)

والنصوص المتقدمة إنما هي نماذج قليلة من الآيات الكثيرة في هذا المعنى ،الذي يقرر أن الإنسان بسلوكه وتصرفاته ومواقفه إذا كانت سيئة وغير صالحة فإنما هي مجلبة للشر والبلاء والعقاب عليه سواء ، فرادكان أم جماعة .

(١) سورة البقرة / ٢٨٦ .

(٢) انظر الكشاف ،جـ ١ ، ص ٤٠٨ .

(٣) سورة الأعراف /٩٦ .

(٤) سورة الأعراف / ١٠٠ .

(٥) انظر التفسير الكبير ،جـ ١٤ ، ص ١٩٥ .

جـ - الشـياطين ومصدر الشـر :

يذكر لنا الكتاب العزيز أن إبليس لم يكن في أصل خلقته شـريرا فقد كان (من الجن) (1) فحسب ، ولكنه لما كانت له حرية الاختيار ماكان منه إلا أن تنكب طريق الهداية والخير و"فسق عن أمر ربه" (1) فهـو إذن في أصل خلقته ليس شريرا ،بل كان خيرا بدليل أنه كان مع الملائكـة " وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا ،إلا إبليس" (2) .

ولقد كان ضلاله بسبب كبره وتعاليه عن السجود لآدم ،وعدم انصياعه لأمر الله ، حيث قال عن نفسه وعن آدم - كما ذكر الله عز وجل ذلك عنه -: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين " (3) ومن منطلق الكبر،أي:إعلاء الهوى وإسقاط الحق ، استطاع إبليس إغواء آدم عليه السلام - وحـواء (فدلـهما بغرور) (4) فكان سقوطهما من تقديم هوى النفس في الأكل من الشجرة على شرع الله وأمره.

وأنجاهما من سخط الله العودة إلى الله بذل وانكسار،قال اللـه تعالى عنهما : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن مـن الخـسرين " (5) وذلك على عكس موقف إبليس في تحديه لربه ،وكبره وغـروره : قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صرطك المستقيم " (6) ومن ذلك نستنتج أن

(1) سورة الكهف / ٥٠ .

(2) سورة البقرة/ ٣٤ ،وسورة الكهف / ٥٠ .
وانظر مصحف الشروق ،المفسر الميسر ،ص ٣٣٥ .

(3) الأعراف / ١٢.

(4) الأعراف / ٢٢.

(5) الأعراف / ٢٣.

(6) الأعراف / ١٦.

أغلب سقطات النفس ورذائلها إنما تكون بسبب الشعور بالاستعلاء على الناس وأقدارهم ، ويرجع أصل هذا الغلو إلى الشعور الزائد بالذات وإرضاء مطالبها وعدم إبصار عيوبها .

فالهوى يمنع من اتباع الحق ، وعدم إبصار العيوب يدعو إلى غمط الناس. ويجمع هذين الأصلين " الغرور" الذي يجعل من هوى النفس حقا يتبع ، ويجعل من الغلوفي تقديرها ماتقاس به الفضيلة . (١)

فالكبر شرك من شراك إبليس ، يتصيد به ضعاف الإيمان ، فيغويهم ويصرفهم عن الحق إلى الضلال ، قال تعالى : ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين» (٢)

وفي سورة الناس ، بسم الله الرحمن الرحيم : قل أعوذ برب الناس، ملك الناس إله الناس ، من شر الوسواس الخنّاس ، الذي يوسوس في صدور الناس،من الجنة والناس» . في هذه السورة الكريمة أمر للرسول - صلى الله عليه وسلم - بالاعتصام والالتجاء والاستجارة بخالق الناس ومالكهم ومعبودهم من شر الشيطان الجني والإنسي ، الذي يلقي حديث السوء في النفس ، ويوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان . (٣) والظاهر أن المراد بالاستعاذة من شر الوسواس من حيث هو وسواس ومآله إلى الاستعاذة من شر وسوسته ، وقيل : المراد الاستعاذة من جميع شروره ، ولذا قيل : من شر الوسواس ولم يقل من شر وسوسة الوسواس. قيل : وعليه يكون القول

---

(١) انظر صحيفة الدعوة الإسلامية المصرية رقم العدد (٣٨٢) لشهر صفر عام ١٣٩٧هـ ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) سورة سبأ / ٢٠ .

(٣) انظر صفوة التفاسير ، جـ ٣٠ ، ص ١٦٥ - ١٦٧ .

بأن شره يلحق البدن كما يلحق النفس ، أظهر منه على الظاهر ، وعُدَّ من شره أنه كما في صحيح البخاري وغيره : يعقد على قافية رأس العبد إذا هو نام ثلاث عقد . (١) مراده بذلك منعه من اليقظة . وفي عد هذا من الشر البدني خفاء ، وبعضهم عد منه التخبط ، إذ الحق عند أهل السنة أنه قد يكون من مسه . (٢)

فإبليس ـ عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ـ حريص على إغواء بني آدم بكل وسيلة وسبيل ، وقد ذكر تعالى :(قال إنك من المنظرين ، قال:فبما أغويتني لأقعدن لهم صرٰطك المستقيم ،ثم لاتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمٰنهم وعن شمآئلهم ولا تجد أكثرهم شٰكرين ،قال:اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين". (٣)

فمن تبع إبليس فقد غوى وصار من جنده واستحق النار ،قال تعالى : فكبكبوا فيها هم والغاون ، وجنود إبليس أجمعون ، قالوا وهم فيها يختصمون، تالله إن كنا لفي ضلٰل مبين ، إذ نسويكم برب العٰلمين، وما أضلنا إلا المجرمون، فما لنا من شٰفعين ، ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ، إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين" (٤)

ومهما يكن دور إبليس عظيما في إفساد الناس وإضلالهم ، فإنه لن يؤثر إلا على أهل الغواية والضلال ، أما عباد الرحمن فإنهم في حرز وحماية ووقاية من شره ، قال تعالى : قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في

---

(١) رواه الجماعة إلا الترمذي ، جامع الأصول ، في أحاديث الرسول، جـ ٦ ، ص ٦٩ .

(٢) روح المعاني، جـ ٣٠ ، ص ٣٨٦ .

(٣) سورة الأعراف / ١٥ - ١٨ .

(٤) سورة الشعراء / ٩٤ - ١٠٣ .

الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ،قال هذا صراط علي مستقيم ،إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من إتبعك من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم.(١)

وأصل الشر طاعة النفس والشيطان ،وجعلهما شريكين للرب،وأن يعدلا به ،ونفس الإنسان تفعل الشر بأمر الشيطان .(٢)

هذا وإن كيفيات صدور الشر عن الشياطين متنوعة متعددة ،ذكر القرآن كثيرا منها ،مثل :-

١- الاستحواذ ، فالإنسان إذا أطاع الشيطان فإنه يستولي عليه ويملكه ، من حاز الحمار العانة: إذا جمعها وساقها غالبا لها ،ومنه : كان أحوذيا نسيج وحده ،فالإنسان إذا أطاع الشيطان فإنه يستولي عليه ويملكه(٣) ،قال تعالى : استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . . .» (٤) .

٢- التسويل والإملاء ،ذلك أنه يزين الخطايا للإنسان ويسهل له الوقوع فيها ،ويمد له في الأمل ،ويعده بطول العمر(٥) ،قال تعالى : إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم » (٦) .

---

(١) سورة الحجر / ٣٩ - ٤٤.

(٢) انظر الحسنة والسيئة ،ص ١١٤ - ١١٥ .

(٣) انظر الكشاف ، جـ ٤ ، ص ٧٨ .

(٤) سورة المجادلة / ١٩.

(٥) انظر فتح القدير ،جـ ٥ ،ص ٣٩ .

(٦) سورة محمد - صلى الله عليه وسلم / ٢٥.

٣- النزغ ، وهو النخس ، أي : الحمل بالوسوسة على خلاف ما أمر الله به وشرعه ، والنزغ والنسغ : الغرز والنخس ، كأنه ينخس الناس حين يغريهم بالمعاصي ، أو هو إعتراء الغضب ،[1] قال تعالى : وإما ينزغنك من الشيطٰن نزغ فاستعذ بالله[2] إنه سميع عليم ".[3]

٤- التخبط والمس ، قال تعالى : الذين يأكلون الربٰو لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطٰن من المس . . . . "[4]

والخبط هو : الضرب بغير استواء ، وهو الصرع ، والمس : هو الجنون[5]

وقال تعالى : إن الذين اتقوا إذا مسهم طٰئف من الشيطٰن تذكروا".[6]

والطائف قيل : هو الغضب ، وكل ما طاف بالإنسان من نزغ الشيطان

---

(١) انظر الكشاف جـ ٢ ، ص ١٣٩ .

(٢) حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا ؟ قال : أجاهده . قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده . قال : إن هذا يطول أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك العبور ، ماذا تصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدي ، قال : هذا يطول عليك ، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك .
فهذا مثل يضرب للاستعاذة - والله " له المثل الأعلى في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم " سورة الروم / ٢٧ . انظر صفوة التفاسير ، جـ ١ ، ص ٤٩٠ .

(٣) سورة الأعراف / ٢٠٠ . وفي سورة فصلت / ٣٦ ، آخر الآية " إنه هو السميع العليم " .

(٤) سورة البقرة / ٢٧٥ .

(٥) انظر فتح القدير جـ١ ، ص ٢٩٥ .

(٦) سورة الأعراف / ٢٠١ .

ووسوسته . [١] ويقول تعالى حكاية عن أيوب عليه السلام -: ... نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب . [٢] فقد أصيب بسبب الشيطان بتعب ومشقة ، وألم شديد في بدنه . [٣]

٥- التزيين والصد عن سبيل الله ، فهو حريص على تحسين الشرك والكفر والمعاصي للإنسان ثم يمنع الإنسان بسبب الضلال عن طريق الحق والصواب [٤] . قال تعالى : وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل . [٥] وقال سبحانه : ولا يصدنكم الشيطان ، إنه لكم عدو مبين . [٦] .

٦- الأز ، وهو التهييج وشدة الإزعاج ، فالشيطان يغري بالمعاصي ، ويهيج لها بالوسواس والتسويلات ، والأز والهز والاستفزاز بمعنى متقارب [٧] قال تعالى : ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا . [٨] وقال سبحانه : كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران . [٩]

٧- تزيين المحرمات كالخمر والميسر : قال تعالى : إنما الخمر والميسر

---

(١) مصحف الشروق المفسر الميسر ، ص ١٩٤ .

(٢) سورة ص / ٤١ .

(٣) انظر صفوة التفاسير ، جـ ٣ ، ص ٦٠ .

(٤) أنظر صفوة التفاسير ، جـ ٢ ، ص ٤٠٧ .

(٥) سورة النمل / ٢٤ .

(٦) سورة الزخرف / ٦٢ .

(٧) انظر الكشاف ، جـ ٢ ، ص ٥٢٤ .

(٨) سورة مريم / ٨٣ .

(٩) سورة الأنعام / ٧١ .

والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"[١] فقد وصفت الخمر وماتلاها بالرجس ، ووصف الرجس بأنه كائن من عمل الشيطان ، بسبب تحسينه لذلك وتزيينه له. [٢] .

٨- الأمر بالسوء والفحشاء والمنكر ، فأمر الشيطان عبارة عن هذه الخواطر التي نجدها من أنفسنا ، فقال بعضهم : إنها حروف وأصوات خفية، وقال الفلاسفة : إنها تصورات الحروف والأصوات وتخيلاتها على مثال الصور المنطبعة في المرايا . [٣] قال تعالى : إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على اللهمالاتعلمون " [٤] وقال عز وجل:"ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر " [٥] .

٩- الوعد بالفقر ، قال تعالى : الشيطان يعدكم الفقر . . . . " [٦] وهو التخويف من الفقر إذا أراد الإنسان أن يتصدق أو ينفق في وجوه الخير ، ويغري بالبخل ومنع الزكاة . [٧]

١٠- الكيد ، قال تعالى: . . . إن كيد الشيطان كان ضعيفا " . [٨]

والكيد هو الخداع والمكر بالغير. [٩] أو هو السعي في فساد الحال

---

(١) سورة المائدة / ٩٠ .

(٢) انظر فتح القدير ، جـ ٢ ، ص ٧٣ .

(٣) انظر التفسير الكبير ، جـ ٥ ، ص ٤ .

(٤) سورة البقرة / ١٦٩ .

(٥) سورة النور / ٢١ .

(٦) سورة البقرة / ٢٦٨ .

(٧) انظر صفوة التفاسير / جـ ١ ، ص ١٧٠ .

(٨) سورة النساء / ٧٦ .

(٩) المصباح المنير ، ص ٥٤٥ .

على جهة الاحتيال عليه . (١)

١١- الإنساء : قال تعالى : .... وإما ينسينك الشيطن ،فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظلمين . (٢) والمعنى : لايشغلنك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم . (٣)

١٢- الإلقاء ،قال الله تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ،ألقى الشيطن في أمنيته ..... (٤) أي : ألقى الشيطان فيما يشتهيه ويتمناه بعض الوساوس التي توجب اشتغاله بالدنيا،فعن الأغر المزني - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إنه ليغان على قلبي ،وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة " . رواه مسلم. (٥) وبمعنى آخر : وما أُرسل الله من رسول ولا نبي فحدث نفسه بشيء ،وتمنى لأمته الهداية والإيمان ، إلا ألقى الشيطان الوساوس والعقبات في طريقه ،بتزيين الكفر لقومه ، وإلقاء مخالفة أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - في نفوسهم . (٦)

١٣- الاستزلال : قال تعالى : إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطن ببعض ماكسبوا . (٧) والمعنى دعاهم إلى

---

(١) التفسير الكبير ،جـ ١٠ ، ص ١٨٩ .

(٢) سورة الأنعام/ ٦٨ . وانظرالآيات في سورة الكهف / ٦٣ ،وسورة يوسف / ٤٢ ، وسورة المجادلة / ١٩ . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٧٠٠ .

(٣) انظر الكشاف ،جـ ٢ ، ص ٢٦ .

(٤) سورة الحج / ٥٢ .

(٥) رياض الصالحين ،باب الاستغفار،رقم الحديث ١٨٦٧ ،ص ٧١٤ .

(٦) انظر صفوة التفاسير ،جـ ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٧) سورة آل عمران / ١٥٥ . وانظر الآية من سورة البقرة / ٣٦ .

الزلة بذنوب تقدمت لهم . (١)

١٤- الإضلال : قال تعالى : ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . (٢)
أي : ويريد الشيطان بما زين لهم أن يحرفهم عن الحق والهدى . (٣)
وكذلك من اتخذ الشيطان وليا فإنه يغويه ويسوقه إلى عذاب جهنم (٤)،
كما قال تعالى : ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع
كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يظله ويهديه إلى عذاب
السعير . (٥) .

١٥- الوعد والتمنية : فالشيطان يعد أولياءه بالعز والسعادة ، ويمنيهم
بالأكاذيب والأباطيل ، وهذه الوعود ماهي إلا باطل وضلال ، قال
تعالى : يعدهم ويمنيهم ، ومايعدهم الشيطان إلا غرورا . (٦) قال
ابن عرفه : الغرور : ماله ظاهر محبوب ، وباطن مكروه ، فهو مزين
الظاهر ، فاسد الباطن . (٧)

١٦- وهناك كيفيات أخرى لصدور الشر عن الشياطين ، ربما لايمكن حصرها
منها : الاتباع - بتخفيف التاء - وهو جعل الإنسان من أتباعه . (٨)

---

(١) انظر مصحف الشروق المفسر الميسر ، ص ٧٦ .
(٢) سورة النساء / ٦٠ .
(٣) صفوة التفاسير ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ .
(٤) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ .
(٥) سورة الحج / ٣ - ٤ .
(٦) سورة النساء / ١٢٠ . وانظر سورة الإسراء / ٦٤ .
(٧) انظر صفوة التفاسير ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ .
(٨) انظر مصحف الشروق المفسر ، ص ١٩٠ .

ومنها : الوسوسة ،قال تعالى ،فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماوري عنهما من سوأتهما . . .» (١) يقال : وسوس إذا تكلم كلاما خفيا يكرره(٢) وقد سبق الحديث عنها . ومنها التخويف لأوليائه ،قال تعالى : إنما ذالكم الشيطان يخوف أولياءه . . . .» (٣) أي : يخوفكم أولياءه وهم الكفار لترهبوهم بقصد تثبيط العزائم . (٤) وقد وردت كلمة " رجز " ويفهم منها : وسوسة الشيطان وتخويفه ،(٥) كما في قوله تعالى : ويذهب عنكم رجز الشيطان» (٦) ومنها : الاستهواء ،كما في قوله تعالى : كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران » (٧) أي : كالذي اختطفته الشياطين وأضلته ، وسارت به في المفاوز والمهالك ،فألقته في هوة سحيقة . (٨) ومنها : الهمز والأز ومعناهما : النخس قال تعالى : وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين » (٩) أي : أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها ،كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي . (١٠) ومنها : الخذلان فهو يضل الإنسان ويغريه ، ثم يتبرأ منه وقت البلاء فلا ينقذه ولا ينصره . (١١)

---

(١) سورة الأعراف / ٢٠ ،وانظر سورة طه / ١٢٠ .
(٢) الكشاف ،جـ ٢ ،ص ٧١ .
(٣) سورة آل عمران / ١٧٥ .
(٤) انظر صفوة التفاسير/ جـ ١ ،ص ٢٤٥ .
(٥) المصدر السابق ،جـ ١ ص ٤٩٦ .
(٦) سورة الأنفال / ١١ .
(٧) سورة الأنعام / ٧١ .
(٨) صفوة التفاسير ،جـ ١ ص ٣٩٨ .
(٩) سورة المؤمنون / ٩٧ .
(١٠) انظر الكشاف / جـ ٣ ، ص ٤٢ .
(١١) انظر صفوة التفاسير ، جـ ٢ ص ٣٦١ .

قال تعالى : وكان الشيطن للإنسـن خذولا » (١) ومنها : الإيحــاء ، قال تعالى : وإن الشـيطين ليوحون إلىٰ أوليآئهم ليجـٰدلوكم . . . . » (٢) والمعنى : يوسوسون لهم بالوساوس المخالفة للحق ، المباينة للصواب ، قاصدين بذلك أن يجادلكم هؤلاء الأولياء بما يوسوسون لهم . (٣) حيث قال المشركون عندما نزل تحريم أكل الميتة: كيف يباح أكل ماقتل الإنسـان ، ولايباح ماقتل الله ؟ . (٤)

وأخيرا : الفتنــة ، قال تعالى : يابني آدم لايفتننكم الشيطن ، كما أخرج أبويكم من الجنة » (٥) أي : لايخدعنكم ، فيبدي سوءاتكم للنــاس، بطاعتكم إياه عند اختباره لكم ، كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختبــاره إياهما ، فأطاعاه وعصيا ربهما ، فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدعـه من الجنة . فالفتنة هي : الاختبار والابتلاء . (٦)

روى مسلم عن جابر - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليـه وسلم - يقول ، يبعث الشيطان سراياه ، فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنــده منزلة أعظمهم فتنــة » (٧)

---

(١) سورة الفرقان / ٢٩ . وانظر سورة الحشر /١٦ .

(٢) سورة الأنعام / ١٢١ .

(٣) فتح القدير ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ، جـ ٧ ، ص ٧٤ .

(٥) سورة الأعراف / ٢٧ .

(٦) انظر جامع البيان ، جـ ٨ ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٧) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، ص ١٢٦٧ .

وخلاصة هذا الفصل :

أن الله تعالى خالق هذا الكون وكل مافيه ، وكل مايقع فيه ، ومن ضمن ذلك أعمال العباد ، وآثار المخلوقات ، التي منها ماهو خير وماهو شر ، ولذلك يمكن أن يصدر الشر عن أي مخلوق معروف أو غير معروف ، وقد يكون في الدنيا أو في الآخرة ، أو في الدنيا والآخرة ، والإنسان في أصل فطرته خير ، ولكن قد يطرأ عليه مايغير هذه الفطرة فيتحول إلى مخلوق شرير ، أو تصدر عنه شرور معينة كالسحر والحسد ، أو بعض الأعمال السيئة الأخرى . أما إبليس فقد كان في أصله من الجن ولم يكن شريرا ، وإنما صار شريرا بعد خروجه عن أمر الله تعالى ، وهو والشياطين من ذريته لايصدر عنهم إلا ماهو شر أو مايوصل إلى الشر ، كما أن صدوره عنهم يكون بكيفيات متعددة بينها القرآن الكريم في كثير من آياته بالتفصيل .

الفصل الرابع

مصدر الشر كما تبينه السنة النبوية

ويضم ثلاثة أقسام :

ا - شرور المخلوقات عامة .

ب - الإنسان والشر .

جـ - الشياطين والشر .

تمهيـــد :

سوف أقتصر في هذا الفصل على بعض الأحاديث الشريفة التي يلاحظ المتأمل فيها إيماء إلى مصدر الشر ، وذلك بإيجاز شديد ، حيث أن بعض هذه الشواهد قد سبق أن تناولتها في الفصلين الأول والثاني ، وقد يلاحظ هنا تكرار لنصوص سبقت ، ولا أجد في ذلك مانعا في مثل هذه الدراسة لأن إيراد النص في كل مقام هو لأجل غرض مغاير لمعناه الأول ، وقد يلاحظ المتتبع لموضوعات البحث إيجازا في بعض المواضع ، نظرا لأن نصوصه محدودة ، وجزئياته متشابكة ، مما يضطرنا إلى بحث كل جزئية على حدة ، مهما كان حجمها لأن الغرض التنبيه إلى مصادر الشر والإشارة إليها مهما كانت . والتقسيم الموضوعي هنا شبيه بالتقسيمات السابقة ، وأولها :

ا - شـــرور المخلوقـــات عامة :

فقد أشارت نصوص كثيرة من السنة ،إلى صدور الشر عن مخلوقـــات كثيرة ، مطلقة ومقيدة ، مادية ومعنوية ، ينبغي للإنسان أن يتعرف عليها ويحذرها ، ويستعيذ بالله من شرورها ، ويسأله خيرها إن كانت من ذوات الأضداد ، فهنـاك :

أولا : شـــرور مطلقـــة :

فقد ذُكرت مصادر شرور لم تحدد نوعيتها ،ولاكمية أوكيفية شرورهـا ، خذ مثلا قوله - صلى الله عليه وسلم - : من نزل منزلا ، ثم قـــال : أعوذ بكلمات الله التـامات، من شر ماخلق ،لم يضره شيء ، حـــتى يرتحل من منزله ذلك . (١) فهذا عام في كل مايستعاذ منه . (٢)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه : اللهم رب السمـوات ، ورب الأرض ، ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزّل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذي شر ، أنت آخذ بناصيته . . . (٣) فقد عم الرسول - صلى الله عليه وسلم- بالاستعاذة كل مايمكـــن أن يصدر منه الشر ،مما يُعرف من ذوات الشرور ، ومما لا يُعلم.

---

(١) حديث حسن صحيح غريب ، جامع الترمذي ، كتاب الدعوات ، رقم الحديث ٣٤٣٧ ، جـ٥ ، ص ٤٩٦ .

(٢) التفسير الكبير ،جـ ٣٢ ، ص ١٩٥ .

(٣) سنن أبي داود ،كتاب الأدب ، رقم الحديث ٥٠٥١ ،جـ٤ ، ص ٣١٢ . وفي رواية للترمذي : أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخـــذ بناصيتـــه . . . . (جامع الترمذي ،جـ ٥ ، ص ٥١٨) .

ومن جوامع دعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مارواه أبو أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال : دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدعاء كثير، لم نحفظ منه شيئا ، قلنا : يارسول الله ، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئا ، فقال : ألا أدلكم على مايجمع ذلك كله ، تقول : اللهم إنا نسألك من خير ماسألك منه نبيك محمد ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد .... (١)

ومن الشرور المطلقة التي يدعوا المسلم أن يقيه الله منها : ماكتب وقدر عليه في حياته ، فعن الحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : علمني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلمات أقولهم في الوتر: ... وقني شر ماقضيت، إنك تقضي ولايقضى عليك ..... (٢)

---

(١) حديث حسن غريب، جامع الترمذي ، رقم الحديث ٣٥٢١ ، جـ ٥، ص ٥٣٨ .

(٢) مختصر سنن أبي داود ، رقم الحديث ١٣٧٨ ، جـ ٢ ، ص ١٢٥.

ثانيا : شــرور زمانيـــة :

فوقوع الشرور والآفات والمؤذيات لابد أن يكون فيإطـار زمان ومكان معين ، في أي فترة زمنية من الليل أو النهار ، وفي أي نقطة علــى ظهر هذه الأرض أوغيرها من الكون الفسيح . . فعن أبي مــالك الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وســلم - قال : إذا أصبح أحدكم فليقل : أصبحنا وأصبح الملك للــه رب العالمين ،اللهم إني أسألك خير هذا اليوم : فتحه ،ونصــــره ، ونوره ، وبركته ، وهداه ، وأعوذ بك من شر مافيه ، وشر مابعده ، ثــم إذا أمسى فليقل مثل ذلك ». (١) .

ففي هذا الأثر، تفصيل في أنواع الخير، وإجمال في جانب الشــر الذى نسب إلى مافي هذا اليوم وفيما بعده ، من عوالم وأشـــياء ، فكأن هذا العنصر الزماني إطار كبير لمايقع من هذه الأشياء مـــن شرور . ومثل اليوم : الليلة ، فقد ورد في حديث آخر :. . . . . . أسألك خير مافي هذه الليلة ،وخير مابعدها ، وأعوذ بك من شر هـــذه الليلة ، وشر مابعدها . . . » (٢) وقد عبر عنهما - صلى الله عليــه وسلم - في حديث آخر بقوله : اللهم إني أعوذ بك من شر مايلــج في الليل ،وشر مايلج في النهار. .» والمراد : مايتصل بالناس مـــن الشياطين وغيرهم في الليل أو في النهار» (٣) .

---

(١) المصدر السابق ،رقم الحديث ٥٠٩٢ ،جـ ٧ ،ص ٣٤١ . ويقول فيــه أبوداود في المكان المشار إليه : في إسناد هذا الحديث محمـــد بن إسماعيل بن عيــاش وأبوه ،وكلاهما فيه مقال .

(٢) حديث حسن صحيح ،جامع الترمذي ،رقم الحديث ٣٣٩٠ ،جـ٥ ،ص٤٦٥ .

(٣) أخرجه أبن أبي شيبه في مصنفه من حديثعلي ،انظر تحفة الذاكرين ، ص ١٦٣ .

ومثلهما الشهر - أيضا - يقول رافع بن خديج - رضي الله عنه - : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا رأى الهلال، قال : هلال خير ورشد ، ثم قال : اللهم إني أسألك من خير هذا الشهر وأعوذ بك من شره ، ثلاث مرات» . (١)

---

(١) قال في " مجمع الزوائد " : وإسناده حسن ، أخرجه الطبراني في الكبير ، انظر تحفة الذاكرين ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

ثالثا : شـــرور مكانيـــة :

ومن الشرور المرتبطة بظروف معينة ، ما ورد عنـه ـ صـلى اللـــه عليه وسلم ـ فيما رواه صهيب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلـــى الله عليه وسلم ـ لم يـر قريـة يريد دخولها ،إلا قال حين يراهـــا : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وماأقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وماذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية ، . . . . ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشـــر مافيها " . (١) فسؤال خير القرية والتعوذ من شرها ، هو باعتبار مايحدث فيها من الخير والشر، وأما هي نفسها فلا خير لهـــــا ولا شـــر ،وهذا مجاز معروف . (٢)

ومثلها الأرض،فقد تكون مصدرا للشـر ، أو حاوية أو حاملة لماهـــو شرير ،فعن ابن عمر ـ رضي الله عنـه ـ قـال : كان رسول اللـــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا سافر فأقبل عليه الليل ، قال : يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ،وشر ماخلق فيك ،وشر مايـــدب عليـــك ، . . . . " (٣)

ومن الأماكن التي تلابسها الشرور:" السوق " فعن بريدة ـ رضـــي

---

(١) رواه النسائي وابن حبان والطبراني ،وقال في مجمع الزوائد :ورجالـه رجال الصحيح ، غير عطاء بن مروان وابنه وكلاهما ثقة . آنظـــر تحفة الذاكرين ، ص ١٥٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٣) أخرجه أبو داود وغيره ،جامع الأصول ، في أحاديث الرسول رقـــم الحديث ٢٢٩١ ، جـ ٤ ، ص ٢٩٢ .

الله عنه ـ قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دخل السوق ، قال : بسم الله ، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير مافيها ، وأعوذ بك من شرها ، وشر مافيها ، . . . . " [١] وهذه الشرور المتخوف منها ، إما أيمان فاجرة ، أو تنفيق للسلع المعروضة للبيع ، أو حصول التغابن ، ومن ثم الخسارة وذهاب المال . [٢]

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ، والطبراني بلفظ :كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا خرج إلى السوق ،قال : اللهم اني أسألك . . . الحديث ، تحفة الذاكرين ، ص ١٧٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ، والمكان نفسه .

رابعا : مخلوقات أخرى :

فمنها الدجال ، تعوذ النبي - صلى الله عليه وسلم - من شره كما في حديث عائشة ، قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار .... ومن شر فتنة المسيح الدجال.... (١) وقد فصّل الرسول - صلى الله عليه وسلم - شر هذه الفتنة فيما رواه جابر ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم ، وله أربعون يوما ، يسيحها في الأرض .... يَرِد كل ماء ومَنْهل ، إلا المدينة ومكه ، حرمهما الله - تعالى - عليه ، وقامت الملائكة بأبوابهما ، ومعه جبال من خبز ، والناس في جهد إلا من تبعه ، ومعه نهران - أنا أعلم بهما منه - نهر يقول : الجنة ، ونهر يقول : النار ، فمن أَدْخل الذي يسميه الجنة فهو النار ، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة. ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ، ومعه فتنة عظيمة : يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ، ويقتل نفسا ثم يحييها فيما يرى الناس ، لا يسلط على غيرها من الناس ، ويقول : يأيها الناس: هل يفعل مثل هذا إلا الرب - عز وجل - ؟ فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام ، فيأتيهم فيحاصرهم ، فيشتد حصارهم ، ويجهدهم جهدا شديدا ..... (٢)

---

(١) حديث حسن صحيح ، جامع الترمذي ، رقم الحديث ٣٤٩٥ ، جـ ٥ ، ص ٥٢٥ .

(٢) رواه أحمد بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح ، الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد .. نقلا عن مجمع الزوائد ، جـ ٢٤ ، ص ٨٥ - ٨٦ .

وعطاء الله للإنسان من أنواع الخيرات أو منعه لها ، قد يكون في تلك الأشياء في إعطائها أو منعها شر للإنسان ، كما قال - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه رفاعة بن رافع : ". . . اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا ، ومن شر ما منعتنا . . . " [١]

وهناك جملة أشياء يخشى الإنسان مما فيها ، مما يؤذي ويضر المرء في دينه أو نفسه أو أهله أو ماله ، منها : الغنى والفقر : كما في حديث عائشة المتقدم [٢] وفيه : "اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار . . . . ومن شر فتنة الغنى ، ومن شر فتنة الفقر . . . " [٣]

ومنها ما ينزل من السماء من مخلوقات حية أو جامدة ، وفي هذا العصر كثرت الأشياء الطائرة والسابحة في هذا الفضاء ، من صنع الإنسان واختراعاته [٤] ، وحتى من آثار غيره ، كما يعرف هذه الأيام بـ " الأطباق الطائرة " [٥] . فيروي حنيش التميمي تعليم جبريل - عليه السلام - الدعاء للرسول - صلى الله عليه وسلم - والذي منه :

---

(١) رواه النسائي وابن حبان وصححه، والحاكم في المستدرك ، انظر تحفة الذاكرين ، ص ١٦٩ .

(٢) ص ١٠٩ من هذا البحث وفيه : "وأعوذ بك من شر فتنة الغنى والفقر".

(٣) جامع الترمذي، جـ ٥ ، ص ٥٢٥ .

(٤) فمثلا : سقطت طائرة عسكرية سويسرية من طراز " هانتر " في أحد الحقول في غرب سويسرا ، مما أدى إلى مقتل طاقم الطائرة وعدد من الأطفال الذين كانوا يقطفون الثمار في الحقل . فالشاهد هنا في مقتل هؤلاء الأطفال من جراء سقوط هذا الجسم الصناعي الطائر . (جريدة الشرق الأوسط السعودية ، ص ٤ العدد ١٣٦٦ في ٦/١١/١٤٠٢هـ) .

(٥) انظر كتاب : عالم الجن والشياطين ، ص ١٢٢ .

أعوذ بكلمات الله التامة من شر ماخلق وذرأ وبرأ ، ومن شر مايـنزل من السماء ، ومن شر مايعرج فيها ...... "(١)

ومنها: الريح والسحاب فعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا عصفت الريح قال : اللهـم إني أسألك خيرها ، وخير مافيها ، وخير ماأرسلت به ، وأعوذ بـك من شرها وشر مافيها ، وشر ماأرسلت به " (٢) وعنها أيضا - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا رأى ناشئا (٣) في أفـق السماء ترك العمل ، وإن كان في صلاة خفف ، ثم يقول : اللهـم إني أعوذ بك من شرها ..... " (٤)

ومنها: الوجع والألم ، كما في حديث عثمان بن أبي العاص الثقفـي أنه شكا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجعا يجده فـي جسده منذ أسلم ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضـع يدك على الذي تألم من جسدك ، وقل : بسم الله ، ثلاثا ، وقـل : سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر " . (٥)

ومنها: الرؤيا ، ففي حديث أبي سعيد أنه سمع رسول الله - صلـى الله عليه وسلم - يقول : إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هـي

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى ، قال المنذري : ولكل منهما إسناد جيـد محتج به ، انظر تحفة الذاكرين ، ص ٨٩ .

(٢) جامع الأصول ، رقم الحديث ٢٣٣٠ ، جـ ٤ ، ص٣٢١ .

(٣) الناشئ : السحابة التي أرتفعت . (القاموس المحيط ، جـ ١ ، ص ٣٠ .)

(٤) رواه أبو داود وغيره بسند صحيح ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٢٠ .

(٥) مختصر صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٤٧ ، ص ٣٨١ .

من الله ، فليحمد الله عليها ،وليحدث بما رأى ،وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان ،فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد ، فإنها لا تضره » . (١) ومنها : الدابة والثوب ، فكما أنهما للستر والتجمل والركوب، فربما كان فيهما شرورا خفية لا تعلم إلا حين وقوعها ،أو لا يحترزمنها كما ينبغي ،فقد روى أبو داود وغيره عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إذا اشترى أحدكم الغلام أو الجارية أو الدابة فليأخذ بناصيتها ،وليقل: اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه ،وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه ،وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه ،وليقل مثل ذلك » (٢) ومعنى ما جبلته عليه ، أي : ما خلقته عليه وطبعته على فعله وحببته إليه . (٢)

وأما الثياب : فقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذا استجد ثوبا ، قال: اللهم لك الحمد ، أنت كسوتني هذا - ويسميه باسمه ، إما قميصا ، وإما عمامة ، أو رداء - نسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » (٣) . فخير اللباس ظاهر ، وشره محتمل من عدة أمور، فقد يسبب لصاحبه أذى ماديا أو معنويا ، فقد يؤذي البدن بصورة من الصور ،كأن يتسبب في زيادة حرارة

---

(١) حديث صحيح غريب ، جامع الترمذي ،رقم الحديث ٣٤٥٣، ج٥، ص ٥٠٥ .

(٢) تحفة الذاكرين ، ص ١٨٢ .

(٣) حديث حسن ،أخرجه الترمذي وأبو داود ،جامع الأصول ،رقم الحديث ٢٣٠٥ ، ج٤ ، ص ٣٠٤ .

أو برودة أو تنشأ عنه حَكة أو تعثر أو يجلب بعض الحشرات . . الخ
وقد يلفت النظر إما باشمئزاز أو إعجاب .

ب- الإنسان والشر :

سبق وأن مر بنا في بيان القرآن لمصادر الشر، أن الإنسان خيّر أصلا وفطرة، ولكنه بتأثير العديد من العوامل قد يتحول إلى مخلوق شرير، من جراء انحراف فطرته، وفساد فكره وسلوكه، بشكل عام، أو بشكل مخصوص ببعض الأمور - وعند ذاك يصير مصدرا لشرور كثيرة. وفيما يلي أنواع منها كما ورد في السنة :

١- الأعداء : فمعروف أن العداوة شيء نسبي، إلا أن ميزان الحق والباطل هو صاحب الحكم الصحيح، أو الأقرب للصواب، على من يصدق عليه الوصف بأنه (عدو) كالمشرك أو الكافر المحارب، هو العدو الحقيقي في مقابل المسلم. في هذه الحال يصبح مصدرا لشر غير محدود، مادي أو معنوي، فقد يفتن الإنسان عن دينه أو يفسد خلقه كما هو ظاهر من " الغزو الفكري " في هذا العصر، وربما يهاجم فيفتك ويدمر ويقتل ويأسر وينهب .... الخ، وربما يشوه السمعة ويقلب الحقائق إلى غير ذلك. فعلى المسلم أن يتخذ من الأسباب الروحية والفكرية والمادية أقواها، في مواجهة العدو، قال الله عز وجل : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...."(١) فالضعف المادي مثلا يؤدي إلى غلبة العدو ومن ثم إفساده لحياة المسلمين وأخلاقهم وعقائدهم وتصوراتهم ومناهج تربيتهم .. وهذا ما غفلت أو تغافلت عنه الحركات الصوفية في مناهجها، فصار المسلمون إلى هذه الحال من الضياع والفساد وخاصة في الذوق والوجدان

---

(١) سورة الأنفال / ٦٠ .

الذي تدعي الصوفية رعايته والحرص عليه . (١) وعند ما يسير المسلمون في طريقهم ينشدون العزة والقوة والرفعة ويخافون من عدو فعليهم أن يدعوا بما كان يدعو به الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذا خاف قوما ، حيث كان يقول : اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » (٢) .

٢- شر النفس : فقد علم النبي - صلى الله عليه وسلم - حصينا أبا عمران - رضي الله عنهما - كلمتين يدعو بهما : اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي » (٣) وعن أبي مالك قال : قالوا يارسول الله ، حدثنا بكلمة نقولها إذا أصبحنا وأمسينا واضطجعنا فأمرهم أن يقولوا : ...... فانا نعوذ بك من شر أنفسنا ... » (٤) وفي أحاديث أخر تفصيل لمصادر الشر من النفس ، فعن شَكَل بن حُميد - رضي الله عنه - قال : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : يارسول الله ، علمني تعوذا أتعوذ به ، فأخذ بكفي ، وقال : قل : اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ، ومن شر بصري ، ومن شر لساني ، ومن شر قلبي ، ومن شر مَنِي ، يعني الفرج (٥)

---

(١) انظر هذه هي الصوفية ، ص ١٦٩ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، رقم الحديث ١٥٣٧ ، جـ ٢ ، ص ٨٩ .

(٣) رواه الترمذي ، وفيه عنعنة الحسن ، ومع ذلك حسنه الحافظ في في " أمالي الأذكار" انظر رياض الصالحين ، ص ٥٦٠ .

(٤) سنن أبي داود ، رقم الحديث ٥٠٨٣ ، جـ ٤ ، ص ٣٢٢ .

(٥) رواه الترمذي ، وفي النسخ المطبوعة من جامعه : ومن شر منيي » انظر جامع الأصول ، رقم الحديث ٢٤١٣ ، جـ ٤ ، ص ٣٦٨ .

ويقول - صلى الله عليه وسلم - : من وقاه الله شر ما بين لحييه ، وشر ما بين رجليه ، دخل الجنة [١] .

ومن الكيفيات التي يصدر بواسطتها شر النفس أن يكون الإنسان ذا وجهين - مثلا - قال - صلى الله عليه وسلم - : . . . وتجدون شر الناس ذا الوجهين ، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » [٢]

ومنها : أعمال الإنسان السيئة ، أو أعماله مطلقا : كما في حديث " سيد الاستغفار " الذي فيه : أعوذ بك من شر ما صنعت » [٣]

ومنها : الإمساك والبذل : فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » رواه مسلم. [٤]

فمعناه : إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه ، وإن أمسكته فهو شر لك ، لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه ، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه ، وفوت مصلحة نفسه في آخرته ، وهذا كله شر . [٥]

ومنها: الفحش، كما في حديث عائشة ، الذي يقول فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، من تركه

---

(١) حديث حسن غريب ، جامع الترمذي ، رقم الحديث ٢٤٠٩ ، جـ ٤، ص ٦٠٦ .

(٢) متفق عليه ، رياض الصالحين ، رقم الحديث ١٥٣٨ ، ص ٥٨٦ .

(٣) انظر صحيح البخاري ، جـ ٨ ، ص ٨٣ .

(٤) صحيح مسلم ، جـ ٢ ، ص ٧١٨ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ، جـ ٧ ، ص ١٢٧ .

الناس اتقاء شره » . حيث قال هذا تعقيبا على قوله : ياعائشة ، متى عهدتني فحاشا ؟ » [١] وفي رواية : إن الله لايحب الفاحش المتفحش » [٢] وفي ثالثة : إن من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم » [٢]

ومنها : أن يكون الإنسان بطانة غير صالحة لأمير أو قائد ، فيروي أبو سعيد الخدري قوله - صلى الله عليه وسلم - : مابعث الله من نبي ، ولا أستخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم الله تعالى » [٣] . والبطانة هم الدخلاء ، وهوقول أبي عبيدة ، قال ذلك في قول الله تعالى : لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا » [٤] البطانة : الدخلاء ، والخبال: الشر .

وقد استشكل هذا التقسيم بالنسبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه وإن جاز عقلا ، أن يكون فيمن يداخله من يكون من أهل الشر لكنه لا يتصور منه أن يصغي إليه ، ولا يعمل بقوله ، لوجود العصمة ، وأجيب عن ذلك بأن في بقية الحديث الإشارة إلى سلامة النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذلك بقوله : فالمعصوم من عصم الله تعالى " فلا يلزم من وجود من يشير على النبي - صلى الله عليه وسلم - بالشر أن يقبل منه .

---

(١) انظر صحيح البخاري ، جـ ٨ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) انظر سنن أبي داود ، جـ ٤ ، ص ٢٥١ .

(٣) صحيح البخاري ، جـ ٩ ، ص ٩٥ . ومسند الإمام أحمد ، جـ ١ ، ص ٣٩٧ .

(٤) سورة آل عمران / ١١٨ .

وقيل:المراد بالبطانتين في حق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الملك والشيطان ، وإليه الإشارة بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير" . (١)

ومنها : المرأة عندما يتزوجها الرجل ،فربما كانت ذات تربية سيئة ، أو طباع شاذة فتصبح مصدر أذى لزوجها ،فيروي عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إذا تزوج أحدكم امرأة ،أو اشترى خادما ، فليقل : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه . . .".(٢)

وعندما يكثر الأشرار من الناس،إما بالكثرة الكمية ، أو الكثرة الكيفية ، فإن ذلك مؤذن بإحداق الشر بهم ، واقترابه منهم ، كما في حديث زينب ،الذي مر بنا في فصل سابق ـ قالت : أستيقظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النوم محمرا وجهه ، يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد أقترب . . . . قيل : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبث." (٣) ومصداق هذا الحديث واقع المسلمين اليوم ، لما كثر الفساق والمنحرفون عقيديا أو أخلاقيا أو فكريا أو سلوكيا ، وسيطروا على أكثر قيادات المسلمين ،استحكمت الشرور في مجتمعاتهم ، واجتمع الأعداء وتسلطوا عليهم تضييقا وإفسادا ونهبا وتدميرا ، ولا مخرج لهم إلا بعودة الصالحين إلى دورهم الذي أراده الله ورسوله لهم في قيادة المجتمع الإنساني .

---

(١) انظر فتح الباري ، جـ ١٣ ، ص ١٩٠ .

(٢) رواه أبو داود وغيره وصححه النووي ،انظر تحفة الذاكرين ، ص ١٧١ .

(٣) انظر صحيح البخاري ،جـ ٩ ، ص ٦٠ .

جـ - الشياطين والشر :

تقدم الكلام في فصل سابق عن أصل الشياطين وعلاقتهم بالشر ، تقرر أن أصلهم وهو أبليس أو (الشيطان الأكبر) [١] لم يكن في أصل خلقته شريرا ، ولكنه أختار طريق الشر ، فصار شيطانا ، وهو وأتباعه وأعوانه من الجن والإنس شياطين . . .

والبحث هنا مقتصر على شياطين الجن الذين يؤثرون على الإنسان وهو مضطر إلى مواجهتهم ، وكذلك علاقتهم بالحيوانات والكائنات الأخرى . .

١- كيفيات صدور الشر عنهم في معركتهم مع الإنسان :

فقد وردت أحاديث كثيرة تشير إلى عديد من هذه الكيفيات ، والتي ربما يصعب حصرها ، ويمكن تصنيفها إلى نوعين :

ا - الشياطين والبشر :

في مراحل تكوين الجنين الأولى بين أمه وأبيه ، يبدأ اهتمام الشيطان [٢] به ومحاولة التأثير عليه في هذا الوقت المبكر جدا . .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان مارزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك ، لم يضره الشيطان أبدا » [٣] ففي هذا الحديث دليل على مشروعية التسمية والدعاء بذلك عند إرادة الجماع . وأما

---

(١) انظر كتاب : إبليس ، ص ٤٧ .

(٢) كلمة : الشيطان هنا ، علم جنسي ، وليس علما شخصيا . (انظر أوضح المسالك ، ص ٦٩ - ٧٠ ، والقواعد الأساسية للغة العربية ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) صحيح البخاري ، جـ ٨ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

ضرر الشيطان فقد يكون الإغراء والاضلال بالكفر، أو الإيقاع في كبائر الذنوب، أو إبعاده عن التوبه من المعاصي، أو الصرع، أو غيره. (١) أما في نهاية الحياة وعند الموت فيخشى من استيلاء الشيطان على الإنسان عند مفارقته الدنيا، فيضله ويحول بينه وبين التوبه، أو يعوقه عن إصلاح شأنه، والخروج من مظلمة لأحد من الناس، أو يؤيسه من رحمة الله، أو يتكره الموت، ويتأسف على حياة الدنيا، فلايرضى بما قضاه الله - تعالى - من الفناء والنقلة إلى الدار الآخرة، فيختم له بسوء، ويلقى الله وهو ساخط عليه. وقد رُوى في بعض الآثار: أن الشيطان لايكون في حال أشد على ابن آدم منه في حال الموت، يقول لأعوانه - لعنه الله: دونكم هذا، فإن فاتكم اليوم لم تلحقوه. (٢)

يقول - صلى الله عليه وسلم -: اللهم إني أعوذ بك من الهرم .... وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عن الموت ..... (٣).

أما في أثناء حياة الإنسان فشرور الشيطان كثيرة: فهو مصدر شر وأمر بالشرك الأكبر ومادونه، يقول - صلى الله عليه وسلم -: .... أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه... (٤) قال: الخطابي: رويت كلمة: شركة " على وجهين: أحدهما. بكسر الشين وسكون الراء، والمعنى: مايدعو إليه الشيطان ويوسوس به من الإشراك بالله - تعالى - والثاني: بفتح الشين والراء، ويريد:

---

(١) انظر تحفة الذاكرين، ص ١٧٢.

(٢) انظر معالم السنن، المطبوع مع مختصرسنن أبي داود، جـ٢، ص ١٦١.

(٣) جامع الأصول، رقم الحديث ٢٣٩٦، جـ ٤، ص ٣٦١.

(٤) حديث صحيح، جامع الترمذي، رقم الحديث ٣٣٩٢، جـ ٥، ص ٤٦٧ وسنن أبي داود، جـ ٤، ص ٣٢٢.

حبائل الشيطان ومصائده . (١)

وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم ويقذف في قلبه الشر ، إذا وجد ثغرة مهملة في نفس الإنسان ، فعن أم المؤمنين صفية بنت حيي - رضي الله عنها - قالت : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - معتكفا . فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ، ثم قمت لأنقلب . فقام معي ليقلبني (٢) وكان مسكنها في دار أسامه بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي - صلى الله عليه وسلم - أسرعا ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي . فقالا سبحان الله يارسول الله ! قال : إن الشيطان يجري (٣) من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا" أو قال " شيئا " . رواه مسلم (٤) وفي رواية معمر " سوءا " أو قال شيئا" وعند مسلم وأبي داود وأحمد من حديث معمر " شرا " (٣) وجريان الشيطان من ابن آدم مجرى الدم ، قيل : هو على ظاهره ، فإن الله عز وجل - قد جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان ومجاري دمه . وقيل : هو استعارة لكثرة إغرائه ووسوسته ، فكأنه لايفارق الإنسان كما لايفارق دمه . (٥) والنبي - صلى الله عليه وسلم - هنا لم ينسبهما إلى أنهما يظنان به سوءا ، لماتقرر عنده من

---

(١) انظر تحفة الذاكرين ، ص ٦٣ .

(٢) أى ليرجعني إلى منزلي (فتح الباري ، جـ ٤ ، ص ٢٧٨) .

(٣) وفي بعض الروايات : يبلغ (المصدر السابق) .

(٤) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، ص ١٧١٢ .

(٥) انظر هامش مختصر سنن أبي داود ، جـ ٧ ، ص ٢٨٣ .

صدق إيمانهما ،ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك لأنهما غير معصومين ، فقد يفضي بهما إلى الهلاك فبادر إلى إعلامهما حسما للمادة ،وتعليما لمن بعدهما إذا وقع له مثل ذلك ، كما قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : فإن ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع والكبائر غير جائزة عليهم ، فمن ظن شيئا من نحو هذا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - كفر .(١)

والشيطان له همز ونفخ ونفث، فالهمز هو : المؤتة - بضم الميم وسكون الواو، وفتح الفاء، وهي الجنون ، والنفخ : هو الكبر،والنفث: الشعر، وسمي الكبر نفخا : لأنه من وسواس الشيطان للمرء فيعضم نفسه ، ويحقر الناس في عينه ، حتى يدخله الزهو، وهمزات الشياطين قد تكون أيضا - الأفكار التي تحضرها بقلب الانسان .(٢) فقد أخرج أبو داود وابن حبان أن جبير بن مطعم - رضي الله عنهما - رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - يصلي صلاة ، فقال : الله أكبر كبيرا . . . . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من نفخة ونفثه وهمزه " .(٣)

والشيطان يدفع المرء إلى الغلو والتجاوز ، وبذلك يصبح كأنه وكيل عنه في عمل السوء ،يقول عبد الله بن الشِّخِّير : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : السيد : الله - تبارك وتعالى - قلنا : وأفضلنا

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٤ ، ص ١٥٦ ، وفتح الباري جـ ٤ ، ص ٢٧٨ .

(٢) انظر تحفة الذاكرين ، ص ١٢٧ .

(٣) المصدر السابق ، والمكان نفسه .

فضلا ، وأعظمنا طولا ، فقال «قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » . (١) فمعنى . بقولكم : أي : بقول أهل دينكم وملتكم ، وادعوني نبيا ورسولا ، كما سماني الله - عز وجل - في كتابه . وبعض قولكم : أي دعوا بعض قولكم وأتركوه ، ومعنى " لايستجرينكم " لايتخذ نكم جريّا ، والجري : الوكيل ، ويقال : الأجير - أيضا . (٢) والشيطان لايكف عن إفساد فكر الإنسان وتصوراته ونواياه فقد ورد في مصنف بن أبي شيبة : مامن آدمي إلا لقلبه بيتان : في أحدهما الملك ، وفي الآخر الشيطان ، فإذا ذكر الله خنس ، وإذا لم يذكر الله وضع الشيطان منقاره في قلبه ووسوس له » .(٣) فالذكر والصلة بالله تعالى هي التي تنقذ الإنسان من عبث الشيطان ومكره . والغضب في غير ذات الله تعالى من نزغ الشيطان ، ومما يحمل عليه ، مع موافقة هوى النفس وطبعها المركب فيها ، (٤) فقد استب رجلان عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فغضب أحدهما غضبا شديدا ، حتى خيل إلى - معاذ - أن أنفه يتمزع (٥) من شدة غضبه ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد من الغضب . فقال : ماهي يارسول الله ؟ قال : يقول : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان

---

(١) سنن أبي داود ، رقم الحديث ٤٨٠٦ ، جـ ٤ ، ص ٢٥٤ .

(٢) معالم السنن ، المطبوع مع مختصر سنن أبي داود ، جـ ٧ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣) انظر تحفة الذاكرين ، ص ١٤ .

(٤) انظر هامش مختصر سنن أبي داود ، جـ ٧ ، ص ١٦٥ .

(٥) يتمزع غيظا : يتقطع (القاموس المحيط ، جـ ٣ ، ص ٨٤) .

الرجيم، قال : فجعل معاذ يأمره، فأبى ومحك [1] ، وجعل يزداد غضبا" . [2]

والشيطان يحاول دائما إفساد صلاة المسلم واشغاله عنها وخاصة بالتفكير والنوم فإنه ـ كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته ،فيقول : أذكر كذا ،أذكر كذا ، حتى ينفتل [3] ، فلعله أن لايفعل ، ويأتيه وهو في مضجعه ،فلايزال ينومه حتى ينام [4] .

والشيطان يحب أن يرى الإنسان متثائبا ، لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه ، والتثاؤب إنما يحدث من الامتلاء ، وينشأ عنه التكاسل ، وذلك بواسطة الشيطان. [5] قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب ،فإذا تثاءب أحدكم فليرده مااستطاع، ولايقل هاه ، هاه ، فإنما ذلكم من الشيطان يضحك منه " . [6]

والشياطين مصد شر غير محدد ، وخاصة في ساعة العشاء الأولى ،

---

(١) من رجل محكان : أي لجوج، عسر الخلق (القاموس المحيط، جـ٣ص٣١٨)

(٢) انظر سنن أبي داود ،رقم الحديث ٤٧٨٠، ٤٧٨٤ ،جـ٤ ،ص ٢٤٩ .

(٣) من انفتل : أي انصرف من صلاته (انظر القاموس المحيط، جـ٤ ،ص ٢٨)

(٤) أخرجه الترمذي والنسائي ،انظر جامع الأصول ، رقم الحديث ٢٤١٨ جـ ٤ ، ص ٣٧٣ .

(٥) انظر هامش مختصر سنن أبي داود ، جـ ٧ ، ص ٣٠٣ .

(٦) سنن أبي داود ، رقم الحديث ٥٠٢٨ ، جـ ٤ ، ص ٣٠٦ .

وذلك للأطفال فقد روى جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إذا كان جنح الليل ، فكفوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم ، وأغلق بابك واذكر اسم الله . . . . . (١) وذلك لأن حركة الشياطين بالليل أمكن منها بالنهار ، فالظلام أجمع لقوى الشياطين ، ولأن الصبيان ربما تكون معهم النجاسة ، وليس في إمكانهم الذكر الذي يستعصمون به منهم. (٢)

أما الكبار فقد أمدهم الله - تعالى - بما يستطيعون به - بإذن الله - أن يحموا أنفسهم من أذى الشياطين وشرهم ، يقول - صلى الله عليه وسلم - : من قال - يعني إذا خرج من بيته : بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له : كفيت ، ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان » (٣) وعن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة . . . كان له حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي . . . . . (٤)

وعن عمارة السائي قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) انظر تحفة الذاكرين ، ص ٨٠ .

(٢) المصدر السابق ، والمكان نفسه .

(٣) حديث حسن صحيح غريب ، جامع الترمذي ، رقم الحديث ٣٤٢٦ ، جـ ٥ ، ص ٤٩٠ . انظر سنن أبي داود ، جـ ٤ ، ص ٣٢٥ .

(٤) حديث حسن صحيح ، جامع الترمذي ، رقم الحديث ٣٤٦٨ ، جـ ٥ ، ص ٥١٤ . وانظر الحديث رقم ٣٤٧٤ ، جـ ٥ ، ص ٥١٥ . وسنن أبي داود رقم الحديث ٥٠٧٧ ، جـ ٤ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

من قال : لا إله إلا الله . . . . بعث الله له مَسْلَحَة يحفظونه من الشيطان حتى يصبح . . . . « (١)

ب - الشياطين والمخلوقات الأخرى :

لقد أعطى الله بعض الحيوانات قدرات خاصة ، ليست للإنسان، منها:أنها تستطيع اكتشاف ورؤية الشياطين دون أن يراها الإنسان ولكن هذه الحيوانات تصدر أصواتا معينة ، أخبرنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنها لاتحصل إلا عند رؤيتها للشياطين فينتبه الإنسان لذلك ويحترز من شرورها بالجوء إلى الله - تعالى - يقول - صلى الله عليه وسلم - : إذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله ، فإنها رأت ملكا ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطانا » . (٢) وعن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل ، فتعوذوا بالله ، فإنهن يرين مالاترون » (٣) فدلت هذه الأحاديث وأمثالها على أن الحمر والكلاب يمكنها رؤية الشياطين ، فإذا رأتها وخاصة في الليل ،أصدرت هذه الأصوات القبيحة ، فالحمار لايصيح ولومات من ثقل مايحمل ،أو من القتل . (٤) فدل ذلك على أن الشياطين تؤثر عليه فينهق من غير مادا ع إلى

---

(١) حديث حسن غريب ، جامع الترمذي ،رقم الحديث ٣٥٣٤ ،جـ ٥ ص ٥٤٤ .

(٢) سنن أبي داود ، رقم الحديث ٥١٠٣ ، جـ ٤ ، ص ٣٢٧ .

(٣) سنن أبي داود ،رقم الحديث ٥١٠٣ ، جـ ٤ ، ص ٣٢٧ .

(٤) انظر التفسير الكبير ، جـ ٢٥ ، ص ١٥٢ .

رفع الصوت . أما الفأر فإن الشيطان ربما استخدمه في إيقاع الأذى والإفساد في البيوت وغيرها ، كما يروي ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة [١] ، فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الخمرة [٢] التي كان قاعدا عليها ،فأحرقت منها مثل موضع الدرهم، فقال : إذا نمتم فأطفئوا سرجكم ، فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم » . [٢] وفي رواية البخاري من حديث جابر: فإن الفويسقة ربما جرت الفتيلة ، فأحرقت أهل البيت » . [٣] وفي رواية مسلم : فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم » [٣] أما الهوام ، وهي : الحيات ، وكل ذي سم يقتل ، فربما كانت شيطانا متمثلا في صورة حية ، ويتضح ذلك بإنذارها ثلاثة أيام ، إذا رؤيت في البيت ،أو يكتفى بإنذارها ثلاث مرات، ولكن لا تُقتل إلا بعد ثلاثة أيام ، فقد روى أبو السائب في قصة الصحابي الذي

---

(١) أي : فتيلة السراج ،وهي الذبالة. (انظر المصباح المنير،ص ٤٦٢)

(٢) الخمرة: على وزن غرفة ، حصير صغيرة ،قدر مايسجد عليه. (المصباح المنير ، ص ١٨٢) .

(٢) سنن أبي داود ،رقم الحديث ٥٢٤٧ ، جـ ٤ ، ص ٣٦٣ .

(٣) قال الطبري : في هذه الأحاديث: الإبانة عن أن من الحق على من أراد المبيت في بيت ليس فيه غيره ،وفيه نار أو مصباح ،أن لا يبيت حتى يطفئه ،أو يحرزه بما يأمن به إحراقه وضره. وكذلك إن كان في البيت جماعة ،فالحق عليهم إذا أرادوا النوم: أن لا ينام آخرهم حتى يفعل ماذكرت،لأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك . فإن فرط في ذلك مفرط فلحقه ضرر ،كان لوصية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخالفا ،ولأمره تاركا . (هامش مختصر سنن أبي داود،جـ٨ ،ص١٠٣)

قتل الحية - روى قوله - صلى الله عليه وسلم - إذا رأيتم أحدا منهم فحذروه ثلاث مرات، ثم إن بدا لكم بعد أن تقتلوه، فاقتلوه بعد الثلاث » . وفي رواية ، قال : فليؤذنه ثلاثا ، فإن بدا له فليقتله، فإنه شيطان » . وفي رواية : فآذنوها ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه ،فإنما هو شيطان » . (١)

خلاصة الفصل :

بعد استعراض النماذج الواردة في هذا الفصل من الحديث النبوى ، يتبين أن الشرور لها مصادر عديدة ، فقد تكون في المخلوقات المعروفة أو غير المعروفة ، الحية أو الجامدة ، المرئية وغير المرئية .

والإنسان نفسه قد يصدر منه الشر في صور كثيرة ، مادية وغير مادية ، تعود بالضرر والأذى على من حوله ، وخاصة على أمثاله من البشر، وقد تعود على نفسه بذاتها .

أما الشياطين ، فهم مصدر شر كثير ، يأتي في مقدمته الإضلال والإغراء بالشرك والكفر والفسوق ، والفساد بشتى أنواعه ، ولصدور الشر عنهم كيفيات وأحوال متعددة ، بما لديهم من قدرات وإمكانات يتميزون على البشر ، ابتلاء من الله للناس ، ومن هذه الكيفيات التسويل والتزيين والتنويم والوسوسة وغيرها .

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي ،انظر مختصر سنن أبي داود ،رقم الحديث ٥٠٩٦ - ٥٠٩٨ ، جـ ٨ ،ص ١٠٨ - ١٠٩ .

الباب الثاني

السلف والمعتزلة ورأيهما في مفهوم الشر ومصدره

ويشتمل على فصلين :

أ - مفهوم الشر عند السلف والمعتزلة .

ب - مصدر الشر بين السلف والمعتزلة .

الفصـــل الأول

مفهوم الشر عند السلف والمعتزلـــة

ويضم الأقسام الآتيـــة :

أ - مفهوم الشر عند المعتزلـــــة .

ب - موقف السلف من قضية الـــتحسين والتقبيح .

جـ - موقف السلف من آراء الأشاعرة والمعتزلة حول التحسين والتقبيح .

د - مفهوم الشر عند الســـف .

تمهيـــــد :

يتناول هذا الفصل مفهوم الشر عند كل من المعتزلة والسلف ، ونـــود أن نشير في البداية إلى أن مفهوم الشر عند المعتزلة يرتبط ارتباطا وثيقـــا بآرائهـــم حول العدل الإلهي ، وما يتصل به من القول بالتحسين والتقبيح العقليين ، بينما ترتبط القضية عند السلف بأصل القدر ومفهومه ، ولا يعـــني هذا أن السلف رفضـــوا فكرة التحســـين والتقبيـــح ، بل نجـــد - فـــي الواقـــع - أن السلف اضطروا إلى الخوض في هذه المسألة حينما أثارهـــا المعتزلـة ، وأعلنوا آراءهم المحددة فيها .

مفهوم الشر عند المعتزلة :

التعبير بالشر يقرن بالضرر والفساد وماإليهما في نظر المعتزلة ، فهذا القاضي عبد الجبار أحد أعلام المعتزلة (١) يعقد فصلا خاصا من أجل " بيان حقيقة الضرر والشر والفساد وما يتصل بذلك " (٢) .

ويحدد مفهوم الشر عندهم بقوله : " إن الأولى في حقيقته أنه : كل ألم وغم ، أو ما يؤدي إليهما،من غير أن يعقبا نفعا يوفي عليه " (٢) .

ويبدو أن المعتزلة غير متفقين على هذا التعريف ، ومما يدل على ذلك،أن لبعض مفكريهم آراء خاصة ، أمثال أبي هاشم (٣) ، حيث يرى : أن الضرر لا يكون إلا قبيحا " (٤) .

---

(١) هو عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الهمذاني الأسد أبادي ، ولد قريبا من سنة ٣٢٥ هـ ، عاصر دولة بني بويه ، وهو شافعي المذهب معتزلي العقيدة ، له دراية حول الفقه والتفسير والحديث والمام واسع بالعقائد والفلسفة اليونانية ،له كتاب" تثبيت دلائل سيرة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم" والمغني ، والمحيط" توفي سنة ٤١٥ هـ (انظر الأعلام ،جـ ٤ ،ص ٤٧) .

(٢) المغني ،في أبواب التوحيد والعدل،جـ ١٤،ص ٤١ .

(٣) هو : عبد السلام بن محمد الجُبائي ،قدم مدينة السلام سنة ٣١٤ هـ وكان ذكيا ، حسن الفهم ، ثاقب الفطنة ، صانعا للكلام ، له كتاب" الجامع الكبير" و" الإنسان" و" الاجتهاد" وغيره ، توفي سنة ٣٢١ هـ . (وفيات الأعيان جـ ١ ، ص ٢٩٢) .

(٤) المغني،جـ ١٤،ص ٤١ .

ويظهر أن ما قصد إليه القاضي في آخر عبارته المتقدمة بقوله :
" من غير أن يعقبا نفعا يوفي عليه "

أن الأمر يُعَدُّ شرا إذا أحدث ألما وَغَمًّا للإنسان من غير أن يكون في ذلك منفعة مقابل هذا الألم والغم ، تعود على الإنسان ، فإذا كانت هناك منفعة فلا يطلق على الألم والغم شرا في نظر القاضي ومن وافقه .

وقد خاض المعتزلة في مسألة المنفعة العائدة على الإنسان ، أو ما عبروا عنه " بالعوض " وذهبوا إلى أن الألم إن وقع جزاء على فعل سيء من الإنسان فليس له عوض ، وإن كان الألم من مكلف آخر ، فيؤخذ من حسناته وتعطى المجني عليه ، وإن لم يكن له حسنات فيجب أن يصرف المؤلم عن هذا الإنسان أو يعوضه الله من عنده بما يوازي إيلامه . . وهم يختلفون في تفاصيل هذه المسألة - فتقول طائفة بجواز العوض في الدنيا ، وقال غيرهم بأنه في الآخرة .. ومنهم من قال بدوام لذة العوض وآخرون بانقطاعها . . كما يرى بعضهم أن العوض يحبط بالذنوب وخالفهم آخرون ، كما ترى طائفة إمكان إيصال العوض قبل الألم ، ومنعته أخرى ، فالتي أجازته ترددت في جواز أن يؤلم ليعوض ، أم أن ابتداء الألم مخالف للحكمة ؟ وإذا منع ذلك فهل يؤلم ليعوض عوضا زائدا ليكون لطفا له ولغيره ؟ آراء متعددة . .

وأما تعويض البهائم ففيه عدة إشكالات دفعت بعضهم إلى إنكار لحوق الألم البهائم والصبيان ، لئلا يلزم بالقول بدخولها الجنة ، وخلق

العقل فيها (١) .

وإذا تجاوزنا مسألة التعويض،وعدنا إلى ما نحن بصدده ، وجدنا أن المعتزلة يرادفون بين معاني الضرر والفساد والشر - تقريبا - فلذلك تدخل المعاصي في مفهوم الشر عندهم ، لأنها تؤدي إلى العقاب .

فكل الأشياء التي ينتج عنها الشر أو يحصل عندها أو يسببها فهي شر من حيث ذلك فقط أي إذا لم يعقبها نفع . فالقضية نسبية ، وعلى هذا صحت لدى المعتزلة صفة " ضار " و" نافع " بالنسبة للّه تعالى ، لان هذا الوصف يشمل الحسن والقبيح وذلك حين يَعْقُب الضرّ نَفْعٌ ، وينفون صدور الضرر القبيح عنه - تعالى - فالأمراض هي فعل الله - عندهم - ولكنها لا تعد ضررا ، حيث يعقبها النفع العظيم ، وهكذا الطاعات التي تؤدي بمشقة ومتاعب وآلام .

ولهذا لا يعتبر الضرر شرا وفسادا إلا بقيد القبح كما هو عند أبي هاشم . وهو الذي يعدُّ صاحبه شريرا ، وبأنه من الاشرار ، ويدل على الذم ، وهذا لا يتوجه إلى الله - تعالى - أبدا ، وإن بدا لنا أنه يفعل الأشياء المؤلمة . .

وأما العقاب عندهم فإنه كذلك لا يوصف بأنه شر وفساد ، ولا بأنه خير ونعمة . . فهو يمكن عندهم أن يخرج عن القسمين ، ويعللون

---

(١) انظر المواقف في علم الكلام ص ٣٣٠ .

ذلك بأن كونه ضررا حسنا ، فحسنه يمنع من أن يوصف بأنه شر وفساد ..
وكونه ضررا محضا ، يمنع من وصفه بأنه خير ولذلك يقولون " ... في
الآفة إذا لحقت الأبدان والأموال والزروع بأن وصفها بأنها شر
وفساد : مجاز " (١) .

فالقبيح إذا كان ضررا فهو شر ، وعندما يكون نفعا فهو ليس
بشر (٢) .

كما أن الخير والشر في نظرهم قد خلقا على نوعين ، أحد
هذين النوعين هو الشر ، وربما يطلقون على الأمراض والشدائد أنها
شر من قبيل التوسع اللغوي . وقد وصف الله - عز وجل - عذاب النار
بأنه شر مجازا ، وهو في الحقيقة عدل وحكمة (٣) ، ولا يمكن أن
يكون من قبيل الشر (٤) .

فالله العادل لا يظلم أحدا بإيذاء أو ضرر أو ألم .... الخ ، وإذا
حدث هذا لحكمة عامة فإن الله يقيم العدل ، فيعوض الإنسان عن هذه
الآلام والشرور .

---

(١) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، جـ ١٤ ، ص ٤١ .
(٢) انظر المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٩ .
(٣) في قوله تعالى : قل أفأنبئكم بشر من ذلكم : النار وعدها الله الذين كفروا ..." الحج آية : ٧٢ .
(٤) انظر المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٣٢٢ .

ونستخلص مما تقدم أن مفهوم الشر عند المعتزلة مرتبط أشد الارتباط بقضية العدل التي هي الأصل الثاني من أصولهم الخمسة وهو العدل بالإضافة إلى علاقته بمباحث أخرى تتفرع عن هذا الأصل ، كان لها نصيب كبير من اهتمام المعتزلة وأبحاثهم ومناظراتهم. فقد فسر الشر بأنه كل ألم وغم وما يؤدي إليهما .

فالألم هو : معاناة الشيء مما يحل بالإنسان من أنواع المصائب في نفسه أو ولده أو ماله أو ما شاكل ذلك. والغم إما أن يكون حزنا على شيء قد مضى عندما يتذكره ، أو هما من شيء مستقبل يتوقع حصوله . ولكنهم قيدوا هذا الألم والغم بأن لا يعتبر شرا إلا بشرط أن لا يعقب نفعا يوفي عليه . مثل : تناول الدواء المرّ ومعاناة شربه لا تعدُّ شرا ، نظرا لما يترتب على ذلك من الشفاء والعافية - بإذن الله - وهذه هي مسألة التعويض ، والتي سبقت الإشارة إليها .

كما يعدّون كل ضرر يلحق بالإنسان أو بما يحب هو من الشرور المجازية أو الحقيقة ، ومن ذلك المعاصي ، لأنها تلحق الضرر بدين الإنسان وآخرته ، وفي قمة المضار الدنيوية كل ما يهلك أو يؤدي إلى الهلاك ، بالشرط السابق ، وهو عدم التعويض . مع أنه ليس كل الشدائد والأمراض ضررا قبيحا ، وإنما يقال لها شرّا مجازا توسعا ، وأما عذاب النار فإنه شر مجازا ،

والعقاب - كذلك - ليس شرّا دائما ، والآفات اللاحقة للأبدان والزروع وغيرها يطلق عليها شر وفساد مجازا - كذلك - وقد يجتمع في مسمى الشر الأضداد ، كالغنى والفقر من حيث أن الفقر يؤذي الإنسان ، ويضيق عليه في معيشته ، وقد يضره في بدنه ، وأما الغنى فلأنه يدفع الإنسان في الغالب إلى الشح والمنع ، أو الإسراف والتبذير. كما يرى المعتزلة أن الخير لا يضاد الشر ، وأن الشيء الواحد قد يقع على وجه يكون خيرا ، وكان يصح وقوعه على خلافه فيكون شرا ، إذا أريد بالخير والشر : اللذة والألم ، أو أريد به : الحسن والقبيح ، وأن الشر في الحقيقة هو الضرر القبيح ، والخير هو النفع الحسن ، وأن الألم لا يوصف بأنه شر لكونه ألما ، ولا النفع يوصف بأنه خير لكونه نفعا ، وأن الخير والشر لا يتضادان على جملة ، ولا على محل ، ولا على الفاعل ، وهما يقعان من الفاعل باختياره ، فلا يمتنع في حال واحدة أن يفعل الخير بإحدى يديه والشر بالأخرى (١) .

التحسين والتقبيح عند المعتزلة :

رأينا فيما سبق كيف حاول المعتزلة تحديد مفهوم الشر ، وتوصل الكثيرون منهم إلى القول بأن الشر : هو كل ما أحدث ألما أو غما من غير أن يعقب ذلك عوضا أو نفعا ، وفسروا ذلك كله في ضوء العدل الإلهي. وقاد هم البحث في هذه القضية الأخيرة إلى محاولة استكشاف ما في الأشياء الخيرة من حسن ، والشريرة من قبح .

وقد ذهب المفكر المعتزلي " القاضي عبد الجبار إلى القول : بأن الظلم قبيح ، وإنما قبح لكونه ظلما ، بدليل أنّا متى عرفناه ظلما

---

(١) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، جـ ٥ ، ص ٤٥ .

عرفنا قبحه ، وإن لم نعرف أمراً آخر،ومتى لم نعرف كونه ظلما لم نعرف قبحه ، وإن عرفنا ما عرفنا ، فبان : أن الظلم إنما قبح لوقوعه على وجه وهو كونه ظلما ، لأن هذا العلم بالقبح فرع على العلم بوجه القبح إما على جملة أو تفصيل ، فيجب متى وقع على ذلك الوجه أن يكون قبيحا ، سواء وقع من الله - تعالى - أو من العباد لأن الحال فيه كالحال في الحركة ، وإيجابها كون الجسم متحركا (١) .

ففي رأي القاضي عبد الجبار ومن ذهب مذهبه من المعتزلة:أن القبيح يقبح لوقوعه على وجه معين ، بصرف النظر عن فاعله أو مصدره ،فالظلم قبيح من أي فاعل فعله .

والمعتزلة قد لا يتفقون على مثل هذا الرأي ، كما يختلفون أيضا - مع غيرهم من المذاهب - فأبو القاسم البلخي (٢) يرى : أن القبيح إنما يقبح لوقوعه بصفته وعينه (٣) . كما يذهب إلى هذا الرأي بعض من يسميهم المعتزلة بـ " المجبرة " (٣) والذين تبنوا - أيضا - آراء مختلفة (٤) .

---

(١) شرح الأصول الخمسة ،ص ٣١٠ .

(٢) هو أبو القاسم ، عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي ،من معتزلة بغداد ، ومن الطبقة الثامنة ، ولد ببلخ ، وتوفي سنة ٣١٩ أو ٣٢٢هـ (وفيات الأعيان ،جـ ١ ، ص ٢٥٢) .

(٣) شرح الأصول الخمسة ،ص ٣١٠ .

(٤) من الجبر ،وهو إسناد فعل العبد إلى الله ، وعدّها الايجي الفرقة السادسة من الفرق الإسلامية الكبرى ،ومنها متوسطة : تثبت للعبد كسبا كالأشعرية ، وخالصة : لا تثبت له شيئا كالجَهْمِيَّة . وهم يسمون " قَدَرِيّة" والمعتزلة يسمون أهل السنة والإثبات " مجبرة" وكذلك غير المعتزلة من القدرية . (انظر المواقف للايجي ،ص ٤٢٨ ، ورسالة كتاب السنة والرد على الجهمية والزنادقة ص ٨٦) .

ويرد القاضي ومن وافقه علي أبي القاسم بقولهم : إن الفعل الواحد يجوز أن يقع قبيحا مرة ، بأن يقع على وجه مسببا ، وأخرى بأن يقع على خلاف ذلك الوجه (١) .

ويضربون لذلك مثلا بدخول الدار ، فمع أنه شيء واحد إلا أنه لا يمتنع أن يقبح مرة ، عندما يكون الدخول بلا إذن ، ويحسن مرة أخرى عندما يوجد الإذن ، فَيَبْطُل بذلك رأي أبي القاسم (١) .

وهم يناقشون حجج خصومهم خاصة المجبرة ، والأشاعرة ، ويردون عليها ومن أمثلة ذلك : ما يُعْتَرَض به عليهم من قبل الأشاعرة ، لأنهم أكثر من جادلهم ونقض آراءهم : لماذا لا يكون القبيح قبيحا من حيث النهي عنه ، ولكوننا مربوبين محدثين ؟ .

ويتولى فيلسوف المعتزلة القاضي عبد الجبار مهمة مناقشة مثل هذا الاعتراض بسيل من الحجج - بغض النظر عن مدى قوتها ، منها :

١ - أن الأمر لو كان كذلك لوجب إذا نهى الله عن العدل والإنصاف أن يكون قبيحا ، ومتى أمر بالظلم والكذب أن يكون حسنا ، لأن العلة فيهما واحدة ، والمعلوم خلاف ذلك ! .

٢ - ومنها أنه لو حسن الفعل للأمر وقبح للنهي لكان يجب - كما لا يقبح من الله - تعالى - فعل لفقد النهي - أن لا يحسن منه فعل لفقد الأمر.

---

(١) شرح الأصول الخمسة ،ص ٣١٠ .

٣ - لو كان الفعل يحسن ويقبح لمجرد الأمر والنهي لوجب فيمن لا يعرف النهي والناهي أن لا يعرف قبح الظلم والكذب ، لأن العلم بالقبح يتفرع على العلم بوجه القبح إما على جملة أو تفصيل . . ومعلوم أن الملحدة يعرفون قبح الظلم وإن لم يعرفوا النهي والناهي .

٤ - إذا قيل إن الملحدة لا يعرفون قبح الظلم وإنما يعتقدونه . فيرد عليه بأنه لو أمكن ذلك لأمكن أن يقال : إنهم لا يفرقون بين السواد والبياض ، وقد عرف خلاف هذا .

٥ - ولو كان تعلق الحسن والقبح بالأمر والنهي لوجب إذا أمر أحدنا بالكذب والظلم أن يكون حسنا ، وإذا نهي عن العدل والإنصاف أن يكون قبيحا . . . وأن لا يفترق الحال بين أن يكون من قبلنا وبين أن يكون من قبل الله - تعالى - لأن العلل في إيجابها الحكم لا تختلف بحسب اختلاف العاملين ، فالحركة لما كانت علّية في كون الذات متحركة لم تفترق الحال بين أن تكون من قبل الله - تعالى - وبين أن تكون من قبل غيره . وكذلك في هذه المسألة ، وقد عرف خلاف هذا .

٦ - ولو كان مناط الحسن والقبح هو الأمر والنهي لوجب في الشيء الواحد أن يكون حسنا قبيحا دفعة واحدة تبعا للأمر والنهي عنه ، - مثلا - كأن يؤمر به بعضهم وينهى عنه الآخرون - والمعلوم خلاف هذا .

٧ - ورد القاضي رأي من سماهم بـ " المجبرة " القائلين بأن مرد التحسين والتقبيح هو كوننا مربوبين مملوكين محدثين بأنه لو كان الأمر هكذا ، كان الكلام على هذا : أن حالنا مع الظلم والكذب وغيرهما من القبائح كحالنا مع العدل والإنصاف ، فيجب أن يكون العدل قبيحا لكوننا مملوكين مربوبين محدثين ، والمعلوم خلافه .

وأيضا لو كان الأمر كذلك لوجب فيمن لا يعرف كوننا مملوكين مربوبين محدثين أن لا يعرف قبح الظلم والكذب ، ومعلوم أن هؤلاء الدهرية يعرفون قبح الظلم وإن لم يعرفوا كوننا مملوكين محدثين (١) . .

هذه صورة من جدل المعتزلة لمخالفيهم في مسألة التحسين والتقبيح ، والتي يدور النزاع فيها حول إمكانية معرفة حسن الشيء وقبحه بالعقل ، أم أنها لا تكون إلا بالأمر والنهي " الشرع " فنجد أن المعتزلة يقولون " ما يُدرك جهة حسنه أو قبحه بالعقل ينقسم إلى الأقسام الخمسة ، لأنه إن اشتمل تركه على مفسدة فواجب ، أو على فعله فحرام ، وإلا فإن اشتمل فعله على مصلحة فمندوب أو على تركه فمكروه وإلا فمباح . وأما ما لا يدرك جهته بالعقل فلا يحكم فيه بحكم خاص تفصيلي في فعل فعلٍ . وأما على سبيل الإجمال فقيل : بالحظر ، والإباحة ، والتوقف (٢) . ولكل من هذه المواقف الثلاثة أدلتها (٣) . ولا يعنينا الآن مناقشة وجهة نظر المعتزلة في قضية التحسين والتقبيح ، بقدر ما يهمنا عرضها والتعرف عليها .

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ،ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٢) المواقف في علم الكلام ، ص ٣٢٧ .

(٣) فدليل الحظر : أنه تصرف في ملك الغير بلا إذنه ، ودليل الإباحة : أنه تصرف لا يضر المالك فيباح ، ودليل التوقف عدم الحكم أو العلم. انظر المصدر السابق ،ص ٣٢٨ .

وعند ما يعترض مخالفوهم على تعريفهم للقبيح بأنه : إذا وقع على وجه ، متى وقع على ذلك الوجه قبح من أي فاعل كان . . . عند ما يرد عليهم المخالفون : بأن هذا لا يصح ، لأن الإماته بالهدم والغرق وغيره يحسن من الله - تعالى - ويقبح منا ، وكذلك فإيلام الأطفال والبهائم يحسن منه ويقبح منا . . . فعلى هذا يبطل التعريف المذكور . . نرى المعتزلة يردون على ذلك بقولهم : إنما يحسن من الله تعالى الإماتة والإيلام لعِلَّةٍ ، وتلك العلة مفقودة في حقنا وهي من جهة الله تعالى تتضمن الاعتبار واللطف ، ويضمن الله في مقابلها من الأعواض ما يوفي عليها ، حتى لو خير أحدنا بين الألم مع تلك الأعواض وبين الصحة ، لاختار الألم ليصل إلى تلك الأعواض . . والبشر لا يعرفون موقع المصلحة فلا يصح من جهتهم اللطف والمصلحة ، ولا يملكون الأعواض (١) . على أنه ينبغي هنا أن نذكر أن اعتمادهم على مسألتي التعويض والمصلحة واللطف في مثل هذه المسائل ، لا ينفي خلافهم فيما بينهم في تحديد ماهية اللطف والعوض ، ومتى يصح وجودهما ، وهو ما سبقت الإشارة إليه ، خاصة قضية التعويض.

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ، ص ٣١٢ - ٣١٣.

جـ ـ **موقف السلف من قضية التحسين والتقبيح :**

قبل أن نبين رأي السلف حول هذه القضية تجدر الإشارة إلى رأي الأشاعرة لأنهم يمثلون الرأي المقابل للمعتزلة من جهة ، ولأنهم من جهة أخرى أكثر من تصدى للمعتزلة وجادلهم ونقض آراءهم ففي مقابل رأي أهل الاعتزال في هذه المسألة ـ الذي سبق الحديث عنه ـ نجد رأي الأشاعرة الذي يتحدث عنه القاضي الأيجي فيقول : القبيح ما نهي عنه شرعا ، والحسن بخلافه ، ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها ، وليس ذلك عائدا إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه الشرع ، بل الشرع هو المثبت له والمبين ، ولو عكس القضية فحسن ما قبحه ، وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعا . وانقلب الأمر (١) .

وبعد أن عرض بإيجاز خاطف لرأي المعتزلة عاد إلى القول : ولا بد أولا من تحرير محل النزاع فنقول : الحسن والقبح يقال لمعان ثلاثة :

الأول : صفة الكمال والنقص ، يقال : العلم حسن والجهل قبيح ولا نزاع أن مدركه العقل .

الثاني : ملاءمة الغرض ومنافرته ، وقد يعبر عنهما بالمصلحة والمفسدة ، وذلك أيضا عقلي ، ويختلف بالاعتبار ، فإن قتل زيد مصلحة لأعدائه ومفسدة لأوليائه .

الثالث : تعلق المدح والثواب ، أو الذم والعقاب ، وهذا هو محل النزاع ،فهو عندنا شرعي وعند المعتزلة عقلي (٢) . فالخلاف

---

(١) المواقف في علم الكلام ص ٣٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

الجوهري عند مسألة الإيجاب أو التحريم وجريان الأحكام الثلاثة الأخرى ، واستحقاق المدح والثواب أو الذم والعقاب ، والذي يؤكده الأشاعرة وأهل السنة أنه مناط بنصوص الشرع لأن " الواجبات كلها بالسمع ، والمعارف كلها بالعقل ، فالعقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا يقضي ولا يوجب ، والسمع لا يعرف - أي لا يوجد المعرفة - بل يوجب (١) .

ففي المسائل الوضعية ليس العقل هو الأول والأخير ، والخير والشر ليسا مطلقين ، ولا يستطيع العقل أن يكتشف هذا الخير أو الشر خلال التجربة . فخدمة الآخرين في أوقات حاجتهم إلى المساعدة - إلزام وعدمه - قضية عقلية - بلا شك - لكنها لا تقبل بالإيجاب لدى كل العقول وفي كل المناسبات ، كذلك " لا ينبغي أن يقتل الإنسان أخاه الإنسان " قضية عقلية إلا أننا نعلم أن قتل الإنسان لأخيه الإنسان أمر مباح في ظروف خاصة . . . فيظهر من هذا أن العقل ليس سلطة مطلقة يستطيع الإنسان أن يهتدي بها ويستفتيها في كل المسائل التي تعن له (٢) .

أما أهل السنة من غير الأشاعرة فلهم رأي يتوسط بين رأي المعتزلة ورأي الأشاعرة ، وهؤلاء هم الفقهاء وجمهور المسلمين ، وقولهم : إن الله حرم المحرمات فحرمت ، وأوجب الواجبات ، فوجبت ، فمعنا شيئان : إيجاب وتحريم ، وذلك كلام الله وخطابه ، والثاني وجوب وحرمة ، وذلك صفة للفعل ، والله تعالى عليم حكيم ، علم بما تضمنته الأحكام من المصالح ،

---

(١) انظر ، الملل والنحل ، المطبوع مع الفصل ، جـ ١ ص ١٢٢ .

(٢) انظر علم الكلام ومدارسه ، ص ٢٨٨ .

فأمر ونهى لعلمه بما في الأمر والنهي ، والمأمور والمحظور من مصالح العباد ومفاسدهم ، وهو أثبت حكم العقل ، وأما صفته فقد تكون ثابتة بدون خطاب (١) .

فأهل السنة من غير الأشاعرة يضيفون إلى رأيهم أن الأمر والنهي مع أنه لا يعلم إلا بالشرع إلا أنه معلل - أيضا - فالعقل يسعى إلى اكتشاف الحكمة واستنباط العلة ، فهم يثبتون لله ما أثبته لنفسه ، وشهدت به الفطرة والعقول من الحكمة في خلقه وأمره ، فكل ما خلقه وأمر به فله فيه حكمة بالغة ، وآية قاهرة ، لأجلها خلقه وأمر به ، ولكنهم - أيضا - يقولون ، إن الله في خلقه وأمره له حكمة ليست مماثلة للمخلوق ، ولا مشابهة له ، بل الفرق بين الحكمتين كالفرق بين الفعلين ، وكالفرق بين الوصفين والذاتين ، فليس كمثله شيء في وصفه ولا في فعله ، ولا في حكمة مطلوبة له من فعله ، لا يشاركه فيها غيره ، ولأجلها حسن منه ذلك ، وقبح من المخلوقين لانتفاء تلك الحكمة في حقهم ، كما يحسن منه - تعالى - مدح نفسه والثناء عليها وإن قبح من أكثر المخلوقين ذلك (٢) .

فالذي يظهر الآن مما تقدم أن السلف متفقون مع الأشاعرة في استمداد الأحكام من الشرع ، إلا أنهم يعتقدون أن هذه الأحكام وراءها حكم عظيمة، فليست مجرد أوامر ونواهي فحسب ، ولكن ربما تظهر لنا هذه الحكم ، أو يظهر لنا جانب منها أو لا يظهر لنا شيء منها ، وفي مثل هذه

---

(١) الفتاوى ، جـ ٨ ، ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية ، جـ ١ ص ٣٣٢ .

الحال لا يمكن نفي الحكمة بحجة عدم علمها لأنّ عدم العلم بالشيء ليس علما بالعدم . كما تقول القاعدة الأصولية . فالحكمة وراء الأمر والنهي ثابتة بكل حال ، علمناها أو علمنا شيئا منها ، أو خفيت علينا .

وفي إطار إثبات الحكمة من الشرائع فإن السلف وجدوا أن النصوص ميزت بين ثلاثة أنواع من الأفعال ، من جهة الحسن والقبح . . .

الأول : أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة ، ولو لم يرد الشرع بذلك ، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، والظلم يشتمل على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن وقبيح ، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك ، إلا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن ، لكن لا يلزم من هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة .

الثاني : أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا ، وإذا نهى عن شيء صار قبيحا ، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع .

الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد : هل يطيعه أم يعصيه ، ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه ، فلما أسلما وتله للجبين ، حصل المقصود ، ففداه بالذبح ، وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى ، لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة ، فلما أجاب الأعمى إليها قال الملك : أمسك عليك مالك ، فإنما ابتليتم ، فرُضي عنك ، وسُخط على صاحبيك (١) .

فالحكمة منشؤها من الأمر نفسه لا من ذات المأمور به (٢) .

---

(١) متفق عليه ، من رواية أبي هريرة ، رياض الصالحين ، ص ٤٣ .
(٢) الفتاوى ، حـ ٨ ، ص ٤٣٤ وما بعدها .

د - **موقف السلف من آراء الأشاعرة والمعتزلة حول التحسين والتقبيح :**

لقد تباينت آراء المعتزلة والأشاعرة حول قضية التحسين والتقبيح ، وفيما يلي بيان لرأي كل منهما مع محاولة مناقشته . .

١ - المعتزلة ذهبوا إلى أن للأفعال قيمة ذاتية لازمة لها ، وقد غلا بعضهم فقالوا : إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ، ولو لم يُبْعث فيهم رسولٌ . .

وهذا الرأي الأخير مردود ، لأنه خلاف النص ،قال تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " (١) . وقال تعالى : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (٢)" وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " ما أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل مبشرين ومنذرين " (٣) أما قول المعتزلة بأن للأفعال قيمة ذاتية لازمة لها فانه يحتاج إلى دليل وإثبات ، فلابد أن يؤيد بأحد دليلين على الأقل :

١ - أحدهما : الاستدلال الاستقرائي ، ولكن لا يمكن تطبيق هذا على جميع الأمور الجزئية ، وخاصة بعض الجزئيات الخاصة بصلة الفرد بالله تعالى .

---

(١) سورة الإسراء / ١٥ .

(٢) سورة النساء / ١٦٥.

(٣) صحيح البخاري ،جـ ٩ ، ص ١٥١ ، مختصر صحيح مسلم ، ص ١٥٢ . وانظر الفتاوى ، جـ ٨ ، ص ٤٣٥.

والثاني : هو الاستدلال الاستنباطي ، ونحن نعجز عن طريق هذا الاستدلال عن تفسير جميع الأفعال تفسيرا عقليا موضوعيا ، ولكن لا يعني هذا أننا نعجز عن قياسها بمعيار آخر ، بل إن الشيء الواحد المعين ، يمكن أن يقاس بمعايير مختلفة متى كانت له خواص مختلفة ، والأفعال الإنسانية لها خواص متعددة : عقلية علمية موضوعية ، ونفسية ، وإنسانية ، وسماوية إلهية .

٢ ـ أما الأشاعرة فقد ذهبوا إلى أن قيمة الأفعال شرعية فقط ، وأن ذلك مأخوذ من الوحي ، وقد أضعف هذا الرأي ابن تيمية ، ورد على أصحابه وعلى المعتزلة بقوله :

وهؤلاء مع أنهم مخالفون بالضرورة لكتاب الله ، ودينه وشرائعه ، فهم مخالفون ـ أيضا ـ لضرورة الحس والذوق ، وضرورة العقل والقياس ، فإن أحدهم لابد أن يلتذ بشيء ، ويتألم بشيء ، فيميز بين ما يؤكل ويشرب ، وما لا يؤكل ولا يشرب ، وبين ما يؤذيه من الحر والبرد ، وما ليس كذلك ، وهذا التمييز بين ما ينفعه ويضره هو الحقيقة الشرعية الدينية .

ومن ظن أن البشر ينتهي إلى حد يستوى عنده الأمران دائما ، فقد افترى ، وخالف ضرورة الحس ، ولكن قد يعرض للإنسان في بعض الأوقات عارض كالسكر والإغماء ونحو ذلك ، مما يشغل عن الإحساس ببعض الأمور

---

(١) انظر الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، ص ٣١٩ .

فأما أن يسقط إحساسه بالكلية مع وجود الحياة ، فهذا ممتنع ، فإن النائم لم يفقد إحساس نفسه ، بل يرى في منامه ما يسوؤه تارة ، وما يسره أخرى (١) .

وهو يذكر لنا ملخص رأيه في هذه المسألة قائلا : وفي هذا المقام تكلم الناس في أن الأفعال هل يعرف حسنها وقبيحها بالعقل؟ أم ليس لها حسن ولا قبيح يعرف بالعقل ؟ . . . وهم قد اتفقوا على أن كون الفعل يلائم الفاعل أو ينافره يعلم بالعقل ، وهو أن يكون الفعل سببا لما يحبه الفاعل و يلتذ به ، وسببا لما يبغضه ويؤذيه ، وهذا القدر يعلم بالعقل تارة ، وبالشرع أخرى ، وبهما جميعا تارة أخرى ، لكن معرفة ذلك على وجه التفصيل ، ومعرفة الغاية التي تكون عاقبة الأفعال : من السعادة والشقاوة في الدار الآخرة ، لا تعرف إلا بالشرع . فما أخبرت به الرسل من تفاصيل اليوم الآخر ، وأقرت به من تفاصيل الشرائع ، لا يعلمه الناس بعقولهم ، كما أن ما أخبرت به الرسل من تفصيل أسماء الله وصفاته لا يعلمه الناس بعقولهم وإن كانوا قد يعلمون بعقولهم جملا من ذلك .

وهذا التفصيل الذي يحصل به الإيمان ، وجاء به الكتاب هو مادل عليه قوله تعالى : وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا" (٢) وقوله تعالى : " قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي ، وإن اهتديت فيما يوحيّ إليّ ربيّ إنه سميع قريب (٣) " وقوله تعالى : " قل إنما أنذركم بالوحيّ (٤) .

---

(١) الفتاوى ، جـ ٣، ص ١١٧ .
(٢) سورة الشورى / ٥٢ .
(٣) سورة سبأ / ٥٠ .
(٤) سورة الأنبياء / ٤٥ .

ولكن توهمت طائفة أن للحسن والقبح معنى غير هذا ، وأنه يعلم بالعقل ، وقابلتهم طائفة أخرى ، ظنت أن ما جاء به الشرع من الحسن والقبح ،يخرج عن هذا ، فكلا الطائفتين اللتين أثبتتا الحسن والقبح العقليين أوالشرعيين ، وأخرجتاه عن هذا القسم غلطت (١) وابن تيمية يبين علاقة هذه المسألة الوثيقة بقضية الصفات وموقف هاتين الطائفتين منها فيقول ، ثم إن كلتا الطائفتين لما كانتا تنكران أن يوصف الله بالمحبة والرضا ، والسخط والفرح ، ونحو ذلك مما جاءت به النصوص الإلهية ،ودلت عليه الشواهد العقلية ، تنازعوا بعد اتفاقهم على أن الله لا يفعل ما هو منه قبيح ، هل ذلك ممتنع لذاته ، وأنه لا يتصور قدرته على ما هو قبيح ، وأنه سبحانه منزه عن ذلك ،لا يقبله لمجرد القبح العقلي الذي أثبتوه ؟ على قولين .

والقولان في الانحراف من جنس القولين المتقدمين ، أولئك لم يفرقوا في خلقه وأمره بين الهدى والضلال ، والطاعة والمعصية ، والأبرار والفجار ، وأهل الجنة وأهل النار ، والرحمة والعذاب ، فلا جعلوه محمودا على ما فعله من العدل أو ما تركه من الظلم ،ولا ما فعله من الإحسان والنعمة ، وما تركه من التعذيب والنقمة :

والآخرون نزهوه بناء على القبح العقلي الذي أثبتوه ، ولا حقيقة له ، وسووه بخلقه فيما يحسن ويقبح ، وشبهوه بعباده فيما يأمر به وينهى عنه (٢) .

---

(١) الفتاوى ، جـ ٣ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٦ .

ويرد الإمام ابن القيم أصل هذه المسألة إلى أمرين :

الأول : هل الفعل نفسه مشتمل على صفة اقتضت حسنه وقبحه ، بحيث ينشأ الحسن والقبح منه ، فيكون الفعل منشأ لهما أم لا ؟ .

والثاني : هل الثواب المرتب على حسن الفعل ، والعقاب المرتب على قبحه ثابت - بل واقع - بالعقل ، أم لا يقع إلا بالشرع ؟ (١) .

ويحلل موقف كل من الأشاعرة والمعتزلة إزاء هذه القضية ، فيذكر أن المعتزلة ذهبوا إلى القول بتلازم هذين الأصلين ، فتمكن الأشاعرة من جدالهم ونقض آرائهم نتيجة لهذا الخلط منهم ، ولكن الأشاعرة وقعوا في خطأ مقابل لذلك وهو نفي الأصلين ، مما جعل المعتزلة يستطيلون عليهم .

ثم يوجز رأي السلف بأنه : لا تلازم بين هذين الأصلين ، وأن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة ، كما أنها نافعة وضارة ، والفرق بينهما كالفرق بين مناظر الأشياء ، والمأكولات ، والروائح ، لكن لا يترتب على هذا الحسن والقبح ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي - وقبل ورودهما لا يكون قبيحا موجبا للعقاب مع قبحه في نفسه ، بل هو في غاية القبح ، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل ، فالسجود للشيطان والأوثان والكذب والزنا ، والظلم والفواحش كلها قبيحة في ذاتها والعقاب عليها مشروط بالشرع والنهي عنها زادها قبحا إلى قبحها .

---

(١) مدارج السالكين ، جـ١، ص ٢٣١ .

وهذا قول كثير من الفقهاء، وذكره سعيد بن علي الزنجاني من الشافعية ، وأبو الخطاب محمد من الحنابلة وذكره الحنفية ، وحكوه عن أبي حنيفة نصا . ومما يدل من القرآن على عدم تلازم الأمرين قوله تعالى : ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم ، فيقولوا : ربنا لولآ أرسلت إلينا رسولا ؟ فنتبع ءايٰتك ونكون من المؤمنين (١) . فهذه الآية تدل على أن ما قدمت أيديهم سبب لنزول المصيبة لهم ، ولولا قبحه لم يكن سببا ، لكن امتنع إصابة المصيبة لانتفاء شرطها ، وهو عدم مجيء الرسول إليهم .

والأدلة على قبح الفعل وحسنه في نفسه كثيرة جدا كقوله تعالى : وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها ءاباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله مالا تعلمون " الآيات (٢) فأخبر - سبحانه - أن فعلهم فاحشة (٣) قبل نهيه عنه . وأمر باجتنابه بأخذ الزينة ، ثم أخبر - تعالى - أنه لا يأمر بما هو فاحشة في العقول والفِطَر ، ولو كان إنما علم كونه فاحشة بالنهي ، وأنه لا معنى لكونه فاحشة إلا تعلق النهي به لصار المعنى : إن الله لا يأمر بما ينهى عنه ، وهذا غير مقبول في كلام أي واحد من الناس ، فضلا عن كلام الله - تعالى - فثبت بهذا الدليل وغيره أن العقول تستفحش بعض الأفعال ، وتستسيغ أخرى .

---

(١) سورة القصص / ٤٧ .

(٢) سورة الأعراف / ٢٨ وما بعدها

(٣) الفاحشة : الفعلة المتناهية في القبح ، كطواف المشركين بالبيت عراة . (صفوة التفاسير ، جـ ١، ص ٤٤١) .

ومثله قوله تعالى : أم نجعل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ؟ أم نجعل المتقين كالفجار ؟" (١) فالاستفهام هنا إنكاري ، فدل على أن هذا قبيح في نفسه ، منكر تنكره العقول والفطر ، فأنكره - تعالى - إنكار منبه للعقل والفطرة على قبحه،وأنه لا يليق بالله نسبته اليه (٢) .

فواضح بعد هذا أن موقف السلف يختلف عن موقف كل من الأشاعرة والمعتزلة حيث أن المعتزلة أفرطوا وأثبتوا صفة - على الأقل - في الفعل هي منشأ الحسن والقبح ، ورتبوا على ذلك الأصل الثاني وهو الثواب والعقاب وجريان الأحكام الخمسة حتى قبل السمع ، وأما الأشاعرة فقد وقفوا معهم على طرفي نقيض،ونفوا الأصلين جميعا ، ولعل منشأ ذلك النفي هو الاعتقاد بأنهما متلازمين ،ولا تلازم بينهما - كما توصل إلى ذلك غيرهم من السلف ، فلا مانع من وجود صفة في الفعل تقتضي حسنه وقبحه - كما تقول المعتزلة ، لكن لا يترتب على ذلك ثواب ولا عقاب - قطعا - قبل ورود السمع .

---

(١) سورة ص / ٢٨ .

(٢) انظر مدارج السالكين جـ ١ ، ص ٢٣١ وما بعدها .

ب - مفهوم الشر عند السلف :

بما أن مفهوم الشر يدخل ضمن مسألة القدر فإنه من المناسب أن نعرّج على بعض أقوالهم في ذلك مما يعين على تحديد مفهوم الشر عندهم ، ويلاحظ أن السلف لا يحبذون الخوض في مثل هذه المسائل بصفة عامة ، لأنّ مثل هذه المسألة قضية واضحة - في نظرهم - من خلال نصوص القرآن والسنة ، إذ أنهم فهموا إطلاقات القرآن والسنة للشر على أبعاده المادية والمعنوية مما يصيب الإنسان وغيره في الدنيا والآخرة ، ومن ثم نجد أن ما يورده علماء السلف بصدد ذلك متمشيا مع هذا التصور . . . خذ مثلا ما يقوله الطحاوي (١) في عقيدته : والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، حلوه ومره من الله تعالى (٢) .

ويقول شارحها محمد أبن أبي العز الحنفي (٣) : إن هذه الخصال هي أصول الدين وبها أجاب النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبرائيل

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي - نسبة إلى قرية بصعيد مصر - الإمام المحدث الفقيه الحافظ ، ولد سنة ٢٣٩ هـ تتلمذ على أكثر من ٣٠٠ شيخ ، له عدة كتب منها :
١ - مشكل الآثار - ٢ - أحكام القرآن -٣- النوادر الفقهية
٤ - الشروط . توفي سنة ٣٢١ هـ (انظر لسان الميزان جـ ١ ، ص٢٧٤-٢٨٢) .

(٢) شرح الطحاوية ، ص ٤٠٧ . وانظر كتاب السنة مع الرد على الجهمية للإمام أحمد ، ص ٦٨ .

(٣) هو العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، الأذرعي الصالحي الدمشقي ، ولد سنة ٧٣١هـ ، ولي قضاء دمشق ثم قضاء مصر من سنة ٧٧٩هـ ، توفي بدمشق عام ٧٩٢ هـ (انظر شذرات الذهب ، جـ ٦ ، ص ٣٢٦).

المشهور المتفق على صحته حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم على صورة رجل أعرابي وسأله عن الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " (١) وقال تعالى : " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا " (٢) وقال تعالى : " إن تصبهم حسنه يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ،قل كل من عند الله ، فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا " (٣) وقوله تعالى : " ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك " (٤) . والمراد بالحسنة هنا : النعمة ، وبالسيئة : البلية في أصح الأقوال ، وقد قيل : الحسنة الطاعة ،والسيئة : المعصية وقيل : الحسنة : ما أصابه يوم بدر ،والسيئة : ما أصابه يوم أحد ، والقول الأول شامل لمعنى القول الثالث ، والمعنى الثاني ليس مرادا دون الأول قطعا (٥) .

ومن الواضح في الفكر السلفي أن الأمر لم يقف عند القضية المبسطة لمفهوم الشر وما يدور حوله ، بل أثيرت مشكلات متعددة تتعلق بطبيعة الشر ، وما يشاهد في العالم من شرور ، والحكمة من وراء ذلك ، مما دفع مفكري السلف إلى مناقشتها وتحليلها وبيان وجه الحق فيها ،وإن كان السلف يتحاشون التعمق في مناقشة أمور القدر ومن ضمنها مسألة الشر ،

---

(١) صحيح البخاري ، جـ ١،ص ١٩ ،وصحيح مسلم ،جـ ١ ،ص ٣٧ .
(٢) سورة التوبة / ٥٢ .
(٣) سورة النساء/ ٧٨ .
(٤) سورة النساء/ ٧٩ .
(٥) شرح الطحاوية ،ص ٤٠٧ وما بعدها .

كما يروى عن ابن عمر مرفوعا : القدر سر الله " (١) وكما أخرج الطبراني في الجامع الكبير عن الحارث قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟ قال : طريق مظلم لا تسلكه ! قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟ قال : بحر عميق لا تَلِجْهُ ؟ قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟ قال : سِرُّ الله ، خَفِيَ عليك فلا تُفَتِّشه . . " (٢) . وحديث: إذا ذكر القدر فأمسكوا" (٣)

فظاهر أن البساطة في العقيدة هو منهج الكتاب والسنة والذي يحرص عليه السلف ، وإنما خوض الآخرين من المتكلمين في ذلك هو الذي أجبرهم على أن يدلوا بالرأي المستند إلى الدليل . يقول شارح الطحاوية : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الاستفتاح : والخير كله بيديك ، والشر ليس إليك " (٤) أي فإنك لا تخلق شرا محضا ، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة ، هو باعتبارها خير ، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس ، فهذا شر جزئي إضافي ، فأما " شر كلي، و "شر مطلق " فالرب تعالى منزه عنه ، وهذا هو الشر الذي ليس إليه ، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردا قط . . . . وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة ، بل لله من الرحمة والحكمة مالا يقدر قدره إلا الله تعالى ، وليس إذا وقع في المخلوقات وهو شر جزئي بالإضافة يكون شرا كليا عاما ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، كما عزاه مؤلف لوامع الأنوار البهية ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٢) أنظر لوامع الأنوار البهية ، جـ ١ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٣) حديث صحيح ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

(٤) مختصر صحيح مسلم ، ص ٨٠ .

بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرا ، أو مصلحة للعباد كالمطر العام ، وكإرسال رسول عام . . . وهذا ما يقتضي أنه لا يجوز أن يؤيد كذابا عليه بالمعجزات التي أيد بها الصادقين ، فإن هذا شر عام للناس، يضلهم فيفسد عليهم دينهم ودنياهم وأخراهم ، وليس هذا كالملك الظالم، والعدو ، فإن الملك الظالم لابد أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظلمه ، وقد قيل : ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام" وإذا قدر كثرة ظلمة ، فذلك خير في الدين كالمصائب تكون كفارة لذنوبهم ويثابون على الصبر عليه ، ويرجعون فيه إلى الله ، ويستغفرونه ويتوبون إليه" (١) . وكذلك ما يسلط عليهم من العدو ، ولهذا قد يمكن الله كثيرا من الملوك الظالمين مدة ، وأما التنبئون الكذابون فلا يطيل تمكينهم ، بل لابد أن يهلكهم ، لأن فسادهم عام في الدين والدنيا والآخرة ، قال تعالى : ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ،ثم لقطعنا منه الوتين" (٢) .

ويرتبط بمفهوم الشر عند السلف قضية الحكمة من وجود الشرور المشاهدة في هذا العالم ، والتي أثيرت سابقا من قبل بعض الدوائر المتأثرة بالتصورات الفارسية القديمة التي خصصت إلها للخير وإلها للشر ،وصورت وجود الشر بأنه نتيجة للصراع بين هذين الإلهين ،أو أن أحدهما يصدر عنه الشر فقط ، كما

---

(١) لكن من هو الإمام الذي يمكن أن يوصف بالظلم . . إنه ليس كل من ادعى الإمامة والزعامة ، ولكنه الإمام الشرعي الذي بيعته شرعية فإذا ظلم بعض الرعية ، لم يزل إماما ولكنه ظالم . . فعليهم أن يقاوموا ظلمة بكلمة الحق ، والأمر والنهي ، ولو أدى ذلك إلى أن يستشهد فرد أو جماعة منهم .

(٢) سورة الحاقة / ٤٤ - ٤٦ .

(٣) شرح الطحاوية ،ص ٤١٢ .

أن الآخر يصدر عنه الخير فقط (١) .

وقد حدد السلف في إجاباتهم بأنه : ليس هناك " شر مطلق " بل ما يوجد من ذلك فإنما هو " شر نسبي " لله الحكمة البالغة في إيجاده .

ومن أمثلة ما يجيب به السلف على ما يرد إليهم من تساؤلات تدفعهم إلى التحليل والمناقشة والتفصيل ، من أمثلة ذلك : الإجابة عن مثل هذا التساؤل الذي يقول : رسالة الإسلام كلها خير ، ولكن هناك أناس كذبوها فتضرروا في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معا ، فما هو الجواب عن هذا الإشكال ؟

فيرى أئمة السلف أن مثل هؤلاء قد نفعهم الإسلام بحسب الإمكان ، حيث قلل شرهم وأضعفه ، ومن قتل منهم فإنه مات قبل أن تتضاعف عليه الأوزار ، لأن من أهم ما يعني به رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - تحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، بحسب الإمكان . ويمكن الإجابة من وجه آخر وهو : أن ما حصل من الضرر لهؤلاء أو غيرهم ، إنما هو أمر ضئيل بجانب النفع الكبير ، والحكم للغالب ، كما هو الحال من تضرر بعض الناس بالمطر ، ومع ذلك فلا يقاس نفعه الكثير بهذه المضرة الجانبية ، ولا يقلل من حب الناس له وفرحهم به .

وهذا الجواب الأخير لا يختص به السلف وحدهم ، وإنما يجيب به غيرهم من أهل الكلام والفقه ، وفقهاء من الأحناف ، والكرامية والصوفية وكثيرين من أصحاب الفلسفة ، وهم يعتقدون أن جميع ما يحدثه الله من الضرر فلا بد فيه من حكمة ، وهو لا يكون شرا مطلقا ، وإن كان كذلك بالنسبة لمن تضرر به ، وليس من أسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر وإنما يذكر ذلك في مخلوقاته سبحانه ، قال تعالى : إن بطش ربك لشديد ، إنه هو يبدئ

---

(١) انظر الملل والنحل بهامش الفصل ، جـ ٢ ، ص ٨٠ وما بعدها .

ويعيد ، وهو الغفور الودود " (١) فبين سبحانه أن بطشه شديد ، وأنه هو الغفور الودود (٢) . فالناس ما بين مؤمن وكافر . . . وكل ما ينزل بهما من السراء والضراء فهو نعمة . . . فإن كان مما يجلب النعيم واللذة فالأمر واضح ، وإن كان مما يسوء ويؤلم فهو عظة للكافر ، وتعرية لنفسه من العوامل التي تحجب عنها الحقيقة من الإيمان بالله وبأركان الإيمان الخمسة الأخرى . . . وإن كان مؤمنا فهو تكفير لخطاياه أو رفع لدرجاته . . أما أقسام الموجودات فهي ثلاثة :

١ - ما كان خيرا من كل وجه .

٢ - ما كان شرا من كل وجه .

٣ - ما كان خيرا من وجه وشرا من وجه .

فالقسم الأول مختص بالعالم العلوي ، فهو بريء من كل شر .

وأما القسم الثاني وهو ما كان شرا من كل وجه فهذا هو الشر المحض الحقيقي من كل وجه ، وهو العدم المحض ، وهو لا يدخل في الوجود لأنه ليس شيئا ، ولو دخل في الوجود لم يكن شرا محضا .

بقي القسم الثالث وهو ما كان خيرا من وجه وشرا من وجه ، وهذا يكون منه الشر النسبي الإضافي من وجه دون وجه . . . وهو - أي هذا القسم يتفرع إلى ثلاثة فروع :

---

(١) سورة البروج / ١٢ - ١٤ .

(٢) انظر الفتاوى ، جـ ٨ ، ص ٩٢ - ٩٤ .

١ - الذي خيره راجح على شره ، وعكسه .

٢ - ما استوى خيره وشره .

٣ - ما ليس فيه خير ولا شر .

فالذي شر من كل وجه ، أو شره راجح على خيره ،أو مستو خيره وشره ، أو ليس فيه خير ولا شر ، فكل هذه الاحتمالات غير داخلة في الوجود . . فالذي لا خير فيه ولا شر فيه لا يدخل في الوجود ، لأنه عبث - تعالى الله عنه - وإذا امتنع وجود ذلك فإن ما الشر في إيجاده أغلب من الخير أولى بالامتناع ، وكذلك ما استوى خيره وشره ، فضلا عن أن الشر المحض الذي لا خير فيه ليس له حقيقة ، بل هو العدم المحض كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

فلم يبق -إذن - من الموجودات إلا ما الخير فيه أغلب من الشر ، فعناصر هذا العالم السفلي ممتزج شرها بخيرها . . وشرها نسبي إضافي من وجه دون وجه . وهو منقسم إلى قسمين : أمور عدمية وأخرى وجودية فالأول منهما :

أ - إما أن تكون عدما لأمور ضرورية للشيء في وجوده . كالإحساس والحركة والنفس للحيوان .

ب - أو ضرورية له في دوام وجوده وبقائه . كقوة التغذية والنمو للحيوان المتغذي النامي .

جـ - أو عدما لأمور ضرورية له في كماله . كصحته وسمعه وبصره .

د - أو عدما لأمور غير ضرورية له في وجوده ولا بقائه ولاكماله . وإن كان وجودها خير من عدمها . كمعرفة المعلومات المفصلة في شتى العلوم ، التي يكون العلم بها خير من الجهل ، مع أنها ليست ضرورية له .

أما الشرور الوجودية فهي :

أ - وجود كل ما يضاد الحياة والبقاء والكمال ، كالأمراض وأسبابها .

ب - الموانع الوجودية التي تمنع حصول الخير ووصوله إلى مواطنه ، كالأخلاط المادية الرديئة التي تفسد التغذية ، وكالشبهات أو الشهوات التي تحجب عن الخير .

ومن الأقسام العدمية ما يترتب عليه شرور وجودية ، فعدم ما هو ضروري للشيء في وجوده ، أو بقائه أو كماله ، تتسبب عنه شرور متنوعة ، كعدم العلم والعدل ، وعدم الصحة والاعتدال ، يلزم من عدمها الجهل والظلم والألم والضرر . وهي شرور وجودية . ويبقى شيء آخر ، متصل بالأقسام السابقة ، وهو عدم الأمور المستغنى عنها ، كعدم الغنى والثراء الواسع ، وعدم المعارف التي لا يضر الجهل بها ، ولكن ذلك ليس شرا في الحقيقة ولا هو سبب في الشر . فالغنى والعلم - مثلا - ليسا سببا للشر ، ووجود الشر مصاحبا لهما أحيانا ، إنما هو من عدم صفة تقتضي الخير ، كعدم العفة أو الحكمة . فالخير في الموجودات داخل بالذات لا بالعَرَض والشر بالعكس منه (١) .

---

(١) انظر شفاء العليل ، ص ٣٨٢ وما بعدها ، والفتاوى ، جـ ٨ ، ص ٢٠٩ وما بعدها .

ولعل من المناسب هنا أن أشير إلى وجود توافق بين ما ذهب إليه هذا المفكر السلفي "ابن القيم" وبين ما سبق أن رآه الرئيس ابن سينا (١) فيما نقله لنا الشهرستاني في "الملل والنحل" تلخيصا لعامة آرائه المبثوثة في كتبه حيث يرى : أن الشر لا ذات له ، بل هو إما عدم جوهر أوعدم صلاح حال الجوهر (٢) .

وأن الشر بالذات هو العدم : أي عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته .

وأما الشر بالعرض فهو : المعدم والحابس للكمال عن مستحقه .

كما يذهب إلى تقسيم دخول الشر في الوجود إلى أربعة أقسام :

١ - شر مطلق لا خير فيه .

٢ - شر غالب على الخير.

٣ - شر متساو مع الخير.

٤ - شر يغلب عليه الخير.

ويذكر أن الأقسام الثلاثة الأولى غير داخلة في الوجود ... وإنما يدخل في الوجود القسم الرابع فقط ، لأن عدم وجوده أعظم شرا من وجوده ولئلا يفوت الخير الكلي لوجود الشر الجزئي (٣) .

---

(١) هو الحسين بن عبد الله بن سينا (أبو علي) أصله من بلخ ، ولد عام ٣٧٠ هـ وتوفي عام ٤٢٨ هـ في همذان ، له قريبا من ١٠٠ كتاب منها "القانون" و"الإشارات" .. (انظر الأعلام ، جـ ٢ ، ص ٢٦١) .

(٢) الملل والنحل بهامش الفصل ، جـ ٣ ، ص ١٣٣ .

(٣) انظر الهداية ص ٢٨٥ - ٢٨٨ . والإشارات والتنبيهات ، القسم الثالث ، ص ١٠٦ . وانظر الملل والنحل ، بهامش الفصل ، جـ ٣، ص ١٥٤ - ١٥٦ . وانظر القضاء والقدر بين الفلسفة والدين ، ص ١٤٩ وما بعدها .

وخلاصة القول في هذا الفصـــل :

أننا قد رأينا خلال هذه الجولة في مفهوم الشر أن عامة المعتزلــة يرون : أن الشر هو : الضرر الذي يمكن وصفه بأنه قبيح ، أو هو الأذى أو الضرر الذي لا يعقبه نفع ولا عوض ، لذلك فليس كل ضرر شرا ، وإنما كل شر فهو ضرر . . ومفهوم الشر يدخل عندهم تحت مفهوم التحسين والتقبيح ، الذي يعود إلى أصلهم الثاني من أصولهم الخمسة وهو " العدل " ومــن خلال ذلك يرون أن الأفعال والأشياء تحمل صفة - على الأقل - هي منشأ الحسن والقبح ، يدركها العقل ، ويحكم على الأفعال والأشياء مــن خلالها بالحسن أو القبح ، ومن ثم تجري الأحكام الفقهية الخمسة عليها ولو لم يرد النص الشرعي .

ولقد قابلهم الأشاعرة ، فنفوا هذين الأصلين وهما :

١ - وجود الصفة المحسنة أو المقبحة في الأفعال والأشياء .

٢ - جريان الأحكام الفقهية الخمسة على أساس من إدراك العقل لها .

أما أهل السنة من غير الأشاعرة فقد قالوا بعدم تلازم هذيــن الأصلين لا نفيا ولا إثباتا ، فأثبتوا الأصل الأول وهو وجود تلك الصفــة المحسنة أو المقبحة ، ورفضوا الأصل الثاني وبهذا استطاعوا الخروج بالقضية من هذا المد والجزر ، وأصبح رأيهم وسطا ، يحس المرء عندما يلم بــه ويعرف أبعاده أنه الأقرب للحق والصواب .

الفصـــل الثانـــي

مصـــدر الشـــر بـين الســـلف والمعتزلـة

ويضـم ثلاثـة أقســـام :

أ - هل ينسب الشر إلى الله - تعالى ؟ .

ب - الإنسان ودوره في أفعالــــــــه .

جـ - الشيطـان وإبليـــس بوصفهما مصدرين للشرّ .

هل ينسب الشر إلى الله تعالـى ؟ .

تمهيـــــد :

" مصدر الشر" هو الجانب العملي لمسألة الشر التي نحن بصدد هـــا ، والتي اختلف الناس في تفسيرها بناء على الأصول الفكرية والعقيدية التي يرجعون إليها ، وهي - كما علمنا - فرع لأصل الإيمان السادس : الإيمان بالقـــدر " فمدار حياة " البشر الواقعية وغيرهم في هذه الحياة على هذا الأمر ، لأنـــه يحدد لهم حقيقة ما يجري من الأفراد والجماعات ، وما يجرى عليهم من أحداث ، وبقدر ما تكون نظرة المرء إلى هذه القضية نظرة مستقيمة على المنهج الإلهي بقدر ما يكون تقديره وتفسيره واستنتاجه وفروضه وترتيباته أقرب إلى الحق والصـــواب، وأسلم في العاقبة والمصير .

رأي المعتزلـــة :

وللإجابة على السؤال المطروح عنوانا لهذا القسم فإن المعتزلة يعرّفـون الشر - كما تقدم - بأنه : كل ضرر قبيح . وتعود المسألة عندهم إلى قضيـــــة " التحسين والتقبيح التي ترتبط بأصلهم الثاني " العدل " كما سبق - أن أشرنا ، فلذلك يرون أن الله - تعالى - لا يفعل الشر ولا يريده ولا يحبه لأن " من الشر منه أولى بالذم من الشر " (١) فالشر مذموم ومكروه ، فالذي يقع منه الشر يكـــون مذموما - كذلك - بل يكون أكثر ذما لأنه ربما صدر عنه متكررا وكثيرا ، وليس هناك مجال للمفاضلة بين ذات الشر ومصدر الشر ، وإنما هي فرضية منطقية لبيان تنزه الرب عن فعل الشر - حسب رأيهم ، فإن أصل " العدل " معناه أن اللــــه -

---

(١) المغني ، في أبواب التوحيد والعدل ، جـ ٨ (المخلوق) ص ٢٤٨ .

تعالى : عدل حكيم ،فهو ـ تعالى : لا يفعل القبيح ولا يختاره ولا يُخِل بما هو واجب عليه ، وأن أفعاله كلها حسنة " (١) فمن خالف هذا فهو جبري عند المعتزلة (١)، فالله عالم بقبح القبيح ، ومستغن عنه ، عالم باستغنائه عنه ، ومن كان هذه حاله لا يختار القبيح بوجه من الوجوه (٢) " بل إن المعتزلة ليتعمقون في هذه القضية كثيرا عندما يتساءلون : هل يوصف ـ تعالى ـ بالقدرة على ما لو فعله كان قبيحا ؟ فقد دار جدل طويل ، وخلاف واسع بين مفكري المعتزلة حول هذه القضية . .

فبعد أن اتفقوا ـ كما يظهر ـ على أنه تعالى لا يفعل القبيح ، توصلوا إلى هذا السؤال مبالغة في تقرير أصل " العدل " لديهم ، ثم اختلفوا في الإجابة عليه :

فذهب القاضي عبد الجبار ومن وافقه إلى أن الله ـ تعالى ـ موصوف بالقدرة على ما لو فعله كان قبيحا من الظلم والكذب ، ولكنه ـ تعالى ـ لايفعله لعلمه بقبحه ، واستغنائه عن فعله (٣) .

بينما يذهب أبو أسحاق النظّام (٤) ، وأبو علي الأسواري (٥) والجاحظ (٦) ،

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٠١ .
(٢) المصدر السابق ،ص ٣٠٢ .
(٣) المغني ، جـ ٦ / ١ (التعديل والتجوير) ص ١٢٨ .
(٤) هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري ، من أئمة المعتزلة ، تنسب له فرقة منهم تسمى " النظامية " توفي سنة ٢٣١ هـ . (انظر الأعلام ، جـ ١ ،ص ٣٦) .
(٥) هو أبو علي صالح الأسواري ، كان من أصحاب أبي الهذيل وأعلمهم ، وتبع النظام في بعض آرائه ، وهو من الطبقة السابعة (انظر فضل الاعتزال ، وطبقات المعتزلة،ص ٢٨١) .
(٦) هو أبو عثمان / عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري ، له مقالة في أصول الدين ، تلميذ أبي أسحاق النظام ، له كتاب " الحيوان" و " البيان والتبيين " توفي بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ وعمره ٩٠ عاما . (انظر وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٤٧٠ - ٤٧٥) .

إلى أن وصفه ـ تعالى ـ بالقدرة على الظلم والكذب وترك الأصلح : محال ، وإن كان يقدر من أمثال الأصلح والحسن على مالا نهاية له (١) .

وقد استندوا في هذا الرأي إلى حجة منطقية هي أقرب إلى العالم المشاهد ، حيث قالوا : إن وصفه ـ تعالى بالقدرة على الظلم والكذب ونحو ذلك ، يوجب النقص والحاجة ، وهذا يستحيل عليه تعالى ، فما أوجب من ذلك من فعل الظلم يجب استحالته ، ولغير هؤلاء من متكلمي المعتزلة أراء متفرقة أخرى : لا أهمية لها .

ويرد الأولون على أبي إسحاق وأتباعه : بأنه يلزمهم على هذا القول أن يكون أضعف القادرين أقوى من الله ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ ويمثلون بطفل لا يستطيع حمل " كيلوات " قليلة يستطيع أن يدفع إنسانا كبيرا واقفا على حافة جبل فيتدهور، وإن لم يستحق الرجل ذلك ، فكون الله ـ تعالى ـ غيرقادر على مثل هذا الفعل لأنه قبيح:قول ظاهر الفساد والبطلان (٢) .

وإن قالوا : إنه لو كان الله تعالى قادرا على القبيح لوجب أن يوقعه ، أو : لوجب صحة أن يوقعه ، أو ما دام قادرا على فعل القبيح فما الذي أمنكم من أن يوقعه ، أو ما هو دليلكم من السمع ، فيجيب أصحاب الرأي الأول بقولهم:

لا يجب في كل من قدر على الشر أن يوقعه ، لا محالة ، فعدم إقامته ـ تعالى ـ للقيامة الآن لا يقدح في قدرته ـ مثلا ـ ، وأما الصحة فإن أريد بها وجوب قدرته ـ تعالى ـ على فعله ، فهذا هو الرأي المعتمد ، وإن أرادوا بها :

---

(١) المغني ،جـ٦ /١ (التعديل والتجوير) ص ١٢٧ .

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

وجوب إيقاعه ، فجوابه ما ذكر من عدم إيجاب إيقاع الشر على كل من قدر عليه.

وأما الأدلة من السمع فمنها قوله تعالى :

" وما ربك بظلام للعبيد " (١)

فلا يحسن أن يمتدح نفسه - تعالى - بنفي الظلم عن نفسه ، وهو غير قادر عليه (٢) .

والمعتزلة يحتجون - أيضا - على عدم فعله - تعالى - للشر بحجج أخرى ، مثل قولهم ، يلزم على القول بأنه إذا كان - تعالى - قد فعل الشر كله أن يكون شريرا ، لأن الشرير من كثر الشر منه ، وأن من كثر منه الظلم يقال ، إنه شرير ، وان كان هو الفاعل لكل شر فهو بهذه التسمية أحق (٣) - تعالى الله وتقدس - .

ومن معالجة القاضي " عبد الجبار " لهذه القضية ، ورده على من أضاف السيئة والشر إلى الله - سبحانه - معتمدا على مثل قوله تعالى :

" ونبلوكم بالشر والخير فتنة " (٤)

" وبلوناهم بالحسنات والسيئات " (٥)

والإيمان : خير وحسنة ، والكفر ، شر وفتنة وسيئة ، فيجب أن يبتلي - تعالى - بهما ، ولا يتصور ابتلاء الله للإنسان بالحسنات والسيئات ، والخير والشر ، وهو لم يخلق شيئا من ذلك ، فصح بهذا أنه خالق لأعمال العباد ، فيرفض القاضي هذا الاحتجاج، ويبين أن المراد بذلك نعم الدنيا وشدائدها ، ولهذا قال : وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون " (٦) عن معاصيه إلى طاعته ، وأراد بقوله : ونبلوكم بالشر والخير فتنة " (١) . بالنعم ، والشدائد محنة "لننظر كيف

---

(١) سورة فصلت /٤٦ . (٢) انظر شرح الأصول الخمسة ،ص ٣١٥-٣١٦ .

(٣) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ، جـ ٨ (المخلوق) ص ٢٥٥ .

(٤) سورة الأنبياء/ ٣٥ . (٥) سورة الأعراف/ ١٦٨ .

(٦) سورة الأعراف/ ١٢١ .

تعلمون " وهو كقوله تعالى : وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله " (١) وهو مثل قوله : وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه" (٢) لأنهم كانوا إذا أصابهم قحط وشدة تطيروا بموسى ، كما يتشاءم الإنسان بغيره عند محنة ومصيبة ، ولو كان الأمر كما قالوا ، لارتفع الأمر والنهي لأنه تعالى إذا كان يبتلي بالكفر والإيمان كما يبتلي بالأمراض والشدائد فيجب أن لا يكون للأمر والنهي معنى (٣) . .

والمعتزلة على الجملة لا يمانعون في القول بأن الله تعالى هو خالق الخير والشر ، بشرط أن لا يكون من النوع القبيح ، لأن من الشر ما هو " ضرب قبيح" عند هم ويحد دونه بأنه : كل ضرر أو ألم وغم ، وما يؤدي إليهما ، من غير أن يعقب نفعا أو عوضا (٤) يوفي عليه . فمثل هذا النوع لا يضاف إليه تعالى (٥) .

أما ما يصيب الناس من الظروف الصعبة المادية أو المعنوية ، ومنها الأزمات الصحية ، فإن المعتزلة لا يرون بأسا في إطلاق كلمة " شر " على ذلك ، وإنما يرجعون ذلك إلى الاستخدام اللغوي للكلمة وأنه من قبيل " التوسع " في استعمال الألفاظ ، ولا يعني ذلك أن هذه الأمور شرا حقيقيا، وربما " يقال في الشدائد والأمراض : إنها شر توسعا " (٦) وكذلك وصف عذاب

---

(١) سورة النساء / ٧٨ .

(٢) سورة الأعراف / ١٣١ .

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، جـ ٨ (المخلوق) ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٤ ، ٥) المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢٢٢ .

(٦) انظر المغني ، جـ ١٤ (الأصلح) ص ٤١ - ٤٢ .

النار لأنه في حقيقته عدل وحكمة " أما أن يكون شرا فلا " (١) . ومن المحاذير التي يرتبونها على القول : بأن في أفعال الله شرور،أيجاب إطلاق وصف " شرير " - تعالى الله عن ذلك - لأن هذا وصف لمن كثر منه الشر . . أما إطلاق القول بأنه تعالى يفعل الضر والنفع فجائز ، لأنه لا يلزم من كلمة الضرر ، أن يكون ذلك قبيحا حتى يكون شرا حسب التعريف المعتزلي للشر ، وأن المراد فعل جنس النفع والضرة . . . أما فعل الفساد فالمعتزلة ينفون ذلك ، لأن كلمة فساد وشر مترادفتان - تقريبا - في المعنى لدى المعتزلة إذ الفساد عندهم : " عبارة عن القبيح من المضار ، وإنما يقال : إن المطر أفسد الزرع ، وأفسد المرض بدن فلان مجازا " (١) ودليلهم على مجازية التعبير به : أن من صدر عنه ذلك الأمر المشار إليه بالفساد لايمكن أن يطلق عليه وصف " مفسد " ولا أنه من " المفسدين " وهذا يماثل ما تقدم في كلمة " شر " وأن فاعل هذا الشر المجازي لا يقال : إنه من الأشرار .

وليس من باب الفساد الحقيقي ما يشاهد في هذه الحياة مما يبدو للوهلة الأولى أنه فساد ، كالمحن التي تنزل بالمؤمنين ، وموت الصالحين ، وبقاء الأشرار ، فهذا وما شاكله ليس فسادا ولكنه " صلاح واستصلاح " (١) .

أما قضية خلق الكفر والإيمان : فترى المعتزلة أنه لا يمكن أن يقال : إن الله خلق الإيمان لدى المؤمن والكفر لدى الكافر ، إنما يمكن أن يقال : إن الله جعل الإيمان دنيا للمؤمنين ، بمعنى : أن الله أمر به وزينه

---

(١) المصدر السابق ، جـ ٨ (المخلوق) ، ص ٣٢٣ .

للمؤمنين : قال تعالى : ولكن اللهَ حَبَّبَ إليكم الإيمَٰنَ وَزَيَّنَهُ في قلوبِكُم" (١) كما يصح أن يقال : " إن الكافر فعل الكفر ، فصار دينا له ، ولا يقال : جعله دينا لنفسه لأنّ فيه إيهاما لايجوز" (٢) . وإضافة ذلك إلى الله عندهم بمعنى : البيان والحكمة . أما فعل الكافر للكفر فإنه لا يحتمل إلا معنى واحدا وهو اختيار الكفر لا خلقه في نفسه ، لأنّ الكفر ليس شيئا قائما بذاته يمكن جعله مقدورا للنفس ، ثم إيجاده ، ولكنه عدم الإيمان فقط . ولا يمكن أن يضاف إلى الله - تعالى - في نظرهم - بمعنى " الخلق " وإنما يمكن أن يضاف إليه - عز وجل - بمعنى " التسمية " أو " الحكم " بشرط ألاّ يوهم ذلك معنى الجبر والقسر (٣) . ولقد امتدّ بحث المعتزلة لهذه المسألة إلى أفق آخر ، وذلك تساءلوا : هل يقال : إن الله - سبحانه - قَوَّى الكافِرَ على الكفر ، أم لا ؟ .

فقال أكثرهم : لا يجوز أن يقال : إن الله قَوَّى أحدًا على الكفر وأَقْدَرَهُ عليه .

وقال " عباد " (٤) وهو أحد مفكريهم ، إن الله قوى الكافر على الكفر ، وأقدره عليه .

وعلى العموم فلقد تميز موقف المعتزلة تجاه القضايا الآنفة الذكر بعدة أمور يلاحظها الناظر في فكرهم من خلال معالجاتهم لهذه المسائل ، لعل من أهمها النقاط الثلاث الآتية :

---

(١) سورة الحجرات / ٧ .
(٢) المغنى ، جـ ٨ ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .
(٣) انظر الفصل ، جـ ٣ ، ص ٤٩ .
(٤) عباد بن سليمان الضميري ، من الطبقة السابعة من المعتزلة ، ومن أصحاب هشام الفوطي توفي عام ٢٥٠ هـ (انظر لسان الميزان جـ ٣ ، ص ٢٢٩)

(أ) - يلاحظ أنهم وَحَّدوا بين الإرادة الكونية القدرية وبين الأمر الشرعي الديني " لأنَّ الأمر لا يكون أمرا إلا بالإرادة ، وكذلك الخبر " (١)

فكل مأمور به فهو مراد - في نظرهم ، وبالمقابل : فكل مراد لابد أن يكون مأمورا به ، وأن الإرادة تتضمن معنى المحبة والرضى ، فكل مراد لله لابد أن يكون محبوبا له . . ومن براهينهم المنطقية على ذلك أن الحال" لا يخلو ، إما أن يكون (الأمر) راجعا إلى ذات الخبر وصفاته ، وذلك لا يجوز ، وإلا كان لا يجوز أن يقع مرة فيكون خبرا ، ويقع مرة أخرى فلا يكون كذلك ، لأنَّ هذا هو الواجب في الصفة التي تستحقها الذات لنفسها ولما هو عليه في نفسه " (٢) ويضربون لذلك مثلا من الواقع المشاهد كلون السواد - مثلا - لما كان مستحقا لوصف السواد لذاته " لم يجز أن يوجد مرة فيكون سوادا ، وأخرى فلا يكون سوادا " (٢)

فالله تعالى مُريد حقيقة ، ولكنه ليس مريدا لذاته ، فليست الإرادة - عندهم - من الصفات الذاتية ، ولا يجوز أن تكون كذلك " لأنه لو كان - تعالى - مريدا لنفسه لاستحال أن يكره شيئا ألبتة" (٣) وبجانب نفي الإرادة الذاتية فهناك نفي الإرادة المرتبطة بالحكمة ، فالإرادة لابد أن تكون مخلوقة لأنه " لا يصح أن يقال : إنه - تعالى - يريد مرادا دون غيره ، إلا بأن يوصف - تعالى - بأنه مريد بإرادة محدثة ، لأنها هي التي تختص بأن يتعلق بشيء دون غيره ، وعلى وجه دون غيره " (٤) وهذا مما يخالفهم فيه الأشاعرة الذين يعتقدون

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، ص ٤٣٦ .
(٢) المصدر السابق ، والمكان نفسه . (٣) المغني ، جـ ٦ (الإرادة) ص ١٣١ .
(٤) المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٣٤ .

، كما يعتقد السلف أن الإرادة الإلهية صفة ذاتية للرب سبحانه ، وإذا كان المعتزلة جمعوا بين نوعي الإرادة الكونية والدينية ، فإن الأشاعرة لم يفرقوا كذلك بين الإرادة والخلق ، وهي قديمة وليست بمحدثة فالله مريد بذاته (١) .

وقد ربط أبو الحسن الأشعري (٢) بين العلم والإرادة وبين الإرادة والخلق . بالنسبة لله تعالى (٣) .

والباقلاني (٤) وهو الإمام الثاني للأشاعرة لا فرق عنده بين الإرادة والمشيئة والاختيار ، والرضى والمحبة ، والاعتبار في ذلك كله بالمآل لا بالحال (٥) .

ولنأخذ مثلا ـ من تفسير المعتزلة لبعض الآيات على أساس مما ذكر ، من القول ؛ بالإرادة المحدثة ، والمندمجة مع الأمر ، فقد استدل الجبائي " أبو علي " بقوله تعالى : ولو شآء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا " (٦) على أنه لا يصح أن يقال : لو شاء

---

(١) العقيدة النظامية ،ص ١٧ .

(٢) هو الإمام علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعرى ، ولد في البصرة عام ٢٦٠ هـ . له كتاب " الفصول " و " الموجز " و " اللمع " توفي في بغداد عام ٣٢٤ هـ (انظر وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٢٨٤- ٢٨٦) .

(٣) الإبانة ، ص ٦٩ ، وص ٧٠ .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن القاسم ، سكن بغداد ، وله تصانيف كثيرة مشهورة في علم الكلام وغيره ، توفي سنة ٤٠٣ هـ (انظر وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠) .

(٥) الإنصاف ،ص ٤٤ .

(٦) سورة يونس / ٩٩ .

أن يؤمن الكفار لآمنوا ، فذلك مستحيل هنا ، وإنما يقال ذلك إذا صح أن يشاء ذلك منهم ، وأن لا يشاءه ، والآية مدح لله - تعالى - ولو لم تكن هذه الإرادة محدثة مقدورة له ، يصح أن يفعلها ، وأن لا يفعلها ، لم يكن ذلك مدحا لله - تعالى - بل تكون إلى الذم - والعياذ بالله - أقرب ، لأنه عندما يقال : لو كان هذا الرجل صحيح الرجلين لمشى . وهو لا يمكنه تصحيح رجليه والمشي " فإن ذلك يعد من باب النقص . (١) .

ب - الأشياء التي لم يأمر الله بها ليست مرادة له،كا لكفر والمعاصي ، وإنما تقع بغير إرادته ولا محبته " لأن الإرادة فعل من الأفعال ، ومتى تعلقت بالقبيح فتجب لا محالة ، وكونه - تعالى - عدلا يقتضى أن تنفى عنه هذه الإرادة " (٢) وهذا عندهم لا يستلزم نقصا ولا عجزا بالنسبة لله - سبحانه .

جـ - تعلق الإرادة بفعل العبد يكون على سبيل الاختيار ، وليس الاضطرار ، لأنه " لا يصح إثبات الصانع إلا بعد كون العبد محدثا لتصرفه ، مختارا لأفعاله ، ولو حدث من جهة غيرنا فينا لأدى ذلك إلى انتفاء الأحكام الفقهية ، وبطلان المعارف العقلية ، واضمحلال الأصول الشرعية (٣) ومن هنا جاز أن يفعل العبد ما لم يأمر الله به ، وصح أن يفعل ما أراده الله منه (٤) .

---

(١) المغني ، جـ٦ / ٢ ، ص ١٤٣ .
(٢) شرح الأصول الخمسة ، ص ٤٣١ .
(٣) انظر المحيط بالتكليف ، ص ٣٦٦ .
(٤) المصدر السابق ،ص ٣٠٠ ، والمغني ، جـ٦ / ٢ ،ص ١٢٤ و ٢٥٧ و ٢٦٣ .

رأي السلف :

أما السلف وموقفهم من هذه المسألة فقد سبق أن مر بنا مفهومهم للشر،وأنه كل ما يؤذي الإنسان ويضره في حاضره ومستقبله بكل الأبعاد المادية أو المعنوية (١) ، ولنأخذ لموقفهم مثلا من عبد القادر الجيلاني (٢) الذي يقول : نازعت"أقدار الحق بالحق للحق" (٣) وعندما سئل ابن تيمية عن تفسير هذا قال : ان" جميع الحوادث كائنة بقضاء الله وقدره ، وقد أمرنا الله ـ سبحانه ـ أن نزيل الشر بالخير بحسب الإمكان ، ونزيل الكفر بالإيمان ، والبدعة بالسنة ، والمعصية بالطاعة ، من أنفسنا ومن عندنا ، فكل من كفر أو فسق أو عصى فعليه أن يتوب ، وإن كان ذلك بقدر الله ، وعليه أن يأمر غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر بحسب الإمكان ، يجاهد في سبيل الله ، وإن كان ما يعطله من المنكر والكفر والفسوق والعصيان بقدر الله " (٣) . والسلف يفرقون بين محبة الله ورضاه ، وغضبه ، وسخطه ، وبين إرادته ، وأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته ، ومجمعون على أنه لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وأن الكفار يبيّتون مالا يرضى من القول (٤) .

فإرادة الله وعلمه أزليان ، وقد وجد الكفر والعصيان في ملك الله وسلطانه ، والله تعالى قد أمر عباده بالطاعة والإيمان ، فلو لم يكن ذلك مرادا لله ، وجب أن يكون أكثر ما أراد الله أن يكون لم يكن ، وأكثر ما شاء الله أن لا يكون كان ، لأنّ الكفر أكثر من الإيمان " وما أكثر الناس ولو حرصت

---

(١) ص ١٥٤ من هذا البحث .

(٢) هو ابو صالح عبد القادر بن موسى بن عبد الله ينتهي نسبه الى الحسن بن علي ، له كتاب" الغنية " و" الفتح الرباني " مؤسس الطريقة القادرية بمصر ، توفي عام ٥٦١ هـ (انظر الأعلام ، جـ ٤ ، ص ١٧١) .

(٣) الفتاوى ، جـ ٨ ، ص ٥٤٧ .

(٤) المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١١٥-١١٦ . وراجع الآية رقم ١٠٨ في

بمؤمنين " (١) وهذا خلاف ما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان ، ومالايشاؤه لا يكون (٢) .

ولا يلزم من إرادة الله للسفاهة من الكفر والمعاصي أن يكون - تعالى- موصوفا بذلك -عز وجل - كما لا يمكن أن يوصف بأنه " مطيع" إذا أراد الطاعة (٣) ومن الأدلة على إرادة الله - تعالى - الأزلية : أن الحي إذا كان غير مريد لشيء أصلا ، وجب أن يكون موصوفا بضد من أضداد الإرادات ، كالسهو والكراهية والإباء والآفات ، كما وجب أن يكون الحي إذا كان غير عالم بشيء أصلا ، موصوفا بضد من أضداد العلوم ، من الآفات كالجهل والسهو والغفلة أو الموت ، فلما استحال أن يكون الله - تعالى - لم يزل موصوفا بضد الإرادة لأن هذا يوجب أن لا يريد شيء على وجه من الوجوه ، وذلك أن ضد الإرادة ، إذا كان الباري - تعالي - لم يزل موصوفا به يوجب أزليته ، ومحال عدم الأزلي ، كما هو محال حدوثه ، فإذا استحال عدمه وجب أن لا يريد الباري شيئا ويقصد فعله ، على وجه من الوجوه ، وذلك فاسد ، وإذا فسد هذا صح وثبت أنه - عز وجل - لم يزل مريدا (٤) .

فهذه الإرادة الربانية شاملة لجميع المحدثات ، بما فيها أعمال الناس، وبما في هذه الأعمال من شرور ومعاصي يكرهها الله ، لأنه لو" كان في العالم ما لايريده الله - تعالى - لكان ما يكره كونه ، ولو كان ما يكره كونه ، لكان ما يأبى كونه ، وهذا يوجب أن المعاصي كانت ، شاء الله أم أبى ، وهذا صفة الضعيف المقهور - وتعالى -ربنا عن ذلك علوا كبيرا " (٥) .

---

(١) سورة يوسف / ١٠٣ (٢) انظر الإبانة ، ص ١٦٣ .
(٣) المصدر السابق ،ص ١٧٥ .
(٤) انظر اللمع ،في الرد على أهل الزيغ والبدع ، ص ١٨ .
(٥) المصدر السابق ،ص ٢٥ .

أما ما يبدو من التعارض بين بعض مفاهيم الآيات بهذا الخصوص، فيفسرونها بما يرونه مؤديا للمعنى العام والخاص ، كما في قوله تعالى : قل كل من عند الله " (١) وقوله تعالى : إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله ، فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (١) " وفي قوله " فمن نفسك " في الآية التي تليها " ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك " (٢) فقوله تعالى : كل من عند الله " أي الخصب والجدب والنصر والهزيمة ، كلها من عند الله .وقوله : فمن نفسك " أي ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك ، كما قال تعالى : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم " (٣) . ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قرأ : وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وأنا كتبتها عليك " (٤) .

ولا منافاة بين أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه مع أن الجميع مقدر ، فإن المعصية الثانية قد تكون من عقوبة الأولى فتكون من سيئات الجزاء ، مع أنها من سيئات العمل . والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، لأنه قال تعالى : كل من عند الله " . فجعل الحسنات من عند الله كما جعل السيئات من عند الله ، وقوله بعد هذا : ما أصابك من حسنة " و" من سيئة " مثل قوله : إن تصبهم حسنة " و" إن تصبهم سيئة " وفرّق سبحانه بين الحسنات التي هي النعم

---

(١) سورة النساء / ٧٨ (٢) سورة النساء / ٧٩ .

(٣) سورة الشورى / ٣٠ .

(٤) فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، جـ١ ، ص ٤٩٠ .

وبين السيئات التي هي المصائب ، فجعل هذه من الله وهذه من نفس الإنسان ، لأن الحسنة مضافة إلى الله ، إذ هو أحسن بها من كل وجه ، فما من وجه من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه ، وأما السيئة فهو إنما يخلقها لحكمة ، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه ، فإنه الرب ، لا يفعل سيئة قط بل فعله كله حسن وخير ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الاستفتاح " الخير كله بيديك ، والشر ليس إليك " (١) أي : فإنك لا تخلق شرا محضا ، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة ، هو باعتبارها خير ، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي ، فأما شر كلي أو شر مطلق ، فالرب - سبحانه وتعالى - منزه عنه ، وهذا هو الشر الذي ليس إليه ، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردا قط ، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات كقوله تعالى : الله خلق كل شيء (٢) " وقوله : كل من عند الله " (٣) واما أن يضاف إلى السبب كقوله تعالى : من شر ما خلق " (٤) وإما أن يحذف فاعله كقول الجن : وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا " (٥) وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة ، بل لله من الرحمة والحكمة مالا يقدّر قدره إلا الله تعالى ، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة يكون شرا كليا عاما ، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرا أو مصلحة للعباد كالمطر العام وكإرسال رسول عام (٦) . . .

---

(١) مختصر صحيح مسلم ،ص ٨٠ .
(٢) سورة الرعد / ١٨ .
(٣) سورة النساء / ٧٨ .
(٤) سورة الفلق / ٢ .
(٥) سورة الجن / ١٠ .
(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١١ - ٤١٢ .

والرب تعالى حكيم رحيم ، أحسن كل شيء خلقه ، وهو أرحم الراحمين ، والخير بيديه ، والشر ليس إليه ، لا يفعل إلا خيرا ، وما خلقه من ألم لبعض الحيوان ، ومن أعماله المذمومه ،فله فيه حكمة عظيمة ، ونعمة جسيمة كان هذا حقا ، وهو مدح للرب ، وأما إذا قيل ، يخلق الشر الذي لا خير فيه ، ولا منفعة لأحد ، ولا له فيه حكمة ولا رحمة ، ويعذب الناس بلا ذنب ، لم يكن مدحا له ، بل بالعكس ، والله سبحانه وتعالى ، يستحق الحمد والحب والرضا لذاته ولإحسانه ، هذا حَمْدُ شُكْرٍ ، وذاك حَمْدٌ مطلقا (١) .

فالسلف كما هو ظاهر مما تقدم ينفون نسبة الشر إلى الله " فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه ، بل كل ما نسب إليه فهو خير . . . وخلقه وفعله ، وقضاؤه وقدره خير كله . . . وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك ، فإن منها : القدوس ، السلام ، العزيز ، الجبار ، المتكبر . فالقدوس : المنزه عن كل شر ونقص وعيب . . . وكذلك اسمه " العزيز " الذي له العزة التامة ، ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب ، فإن ذلك ينافي العزة التامة " (٢) .

والأشاعرة كبقية السلف يرون أن الله تعالى خالق كل ما في الوجود من خير وشر ، فالمعصية مثلا هي " فعله واختياره وإرادته " (٣) عز وجل ، فينبغي للإنسان أن يرضى بهذا الوجه " تسليما للملك إلى مالك الملك ، ورضا بما يفعله " (٣) ويورد الغزالي حديثا قدسيا في كتاب " الأربعين" هو ما يروى

---

(١) انظر الفتاوى جـ ٨ ،ص ٢٠٧ .
(٢) شفاء العليل ،ص ٢٧٧ - ٢٧٩ .
(٣) إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ٣٥٢ .

عنه - عليه الصلاة والسلام - أن الله عز وجل قال : خلقت الخير وخلقت له أهلا ، وخلقت الشر وخلقت له أهلا ، فطوبى لمن خلقته للخير ويسرته على يديه ، وويل لمن خلقته للشر ، ويسرت الشر على يديه ، وويل ثم ويل لمن قال : لم وكيف " (١) . " فالشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة ، ولكن الشر مراد مكروه ، والخير مراد مرضي به ، فمن قال : ليس الشر من الله، فهو جاهل ، وكذا من قال : إنهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو - أيضا - مقصر "(٢) وأما ابن القيم فيصرح : بأن " الشر إنما صار شرا لانقطاع نسبته وإضافته إليه - سبحانه - فلو أضيف إليه لم يكن شرا ، وهو - سبحانه - خالق الخير والشر . فالشر في بعض مخلوقاته ، لا في خلقه وفعله . وخلقه وفعله ، وقضاؤه وقدره خير كله " (٣) .

ولقد احتج الأشاعرة على ما ذهبوا إليه بقوله تعالى : وقيضنا لهم قرناء ، فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم "(٤) ووجه استدلالهم : أنه - تعالى - ذكر أنه قيض لهم أولئك القرناء ، وكان عالما بأنه متى قيض لهم أولئك القرناء فإنهم يزينوا الباطل لهم ، وكل من فعل فعلا وعلم أن ذلك الفعل يفضي إلى أثر لا محالة ، فإن فاعل ذلك الفعل لابد وأن يكون مريدا لذلك الاثر . فثبت أنه تعالى لما قيض لهم قرناء فقد أراد منهم ذلك الكفر (٥) .

---

(١) نقلا عن الاربعين في أصول الدين ،ص ١٩٩ .
(٢) إحياء علوم الدين ،جـ ٤ ص ٣٥٣ .
(٣) شفاء العليل ، ص ٣٧٧ .
(٤) سورة فصلت / ٢٥ .
(٥) التفسير الكبير ، جـ ٢٧ ، ص ١١٩ .

ونجد الرازي يعلق على قوله تعالى : ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب "(١) بأن هذا " يتناول جميع مصائب الأنفس، فيدخل فيها كفرهم ومعاصيهم ، فالآية دالة على أن جميع أعمالهم بتفاصيلها مكتوبة في اللوح المحفوظ ، ومثبتة في علم الله تعالى ، فكان الامتناع من تلك الأعمال محالا ، لأن علم الله بوجودها مناف لعدمها ، والجمع بين المتنافيين محال ، فلما حصل العلم بوجودها ، وهذا العلم ممتنع الزوال كان الجمع بين عدمها وبين علم الله بوجودها محالا "(٢) .

وفي تلك المسألة التي اختلف فيها المعتزلة وهي السؤال القائل : هل يوصف الله - تعالى - بالقدرة على ما لو فعله كان قبيحا ؟ . نجد أن الأشاعرة يردونها أصلا ، ولا يدخلون في بحثها من الأساس ، لأنه " لا يتصور الظلم من الله - تعالى - سبحانه - فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما " (٣) . وأنه تعالى قد نفى عن نفسه اللَّهوَ في قوله تعالى : لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ، إن كنا فاعلين "(٤) . ونفي اللعب لا يصح إلا بنفي الحاجة ، ونفي الحاجة لا يصح إلا بالقدرة التامة (٥) .

وتكاد تكون الفكرة هي نفسها عند غير الأشاعرة تجاه هذه المسألة . . حيث يرى المفكر السلفي ابن القيم أن من قال : إنه يجوز أن يعذب الله أولياءه ، ومن لم يعصه طرفة عين ، ويدخلهم دار الشقاء ، وأن يثيب

---

(١) سورة الحديد / ٢٢ .
(٢) التفسير الكبير ، جـ ٢٩ ، ص ٢٣٨ .
(٣) الأربعين في أصول الدين ، ص ١٧ .
(٤) سورة الأنبياء / ١٧ .
(٥) انظر التفسير الكبير ، جـ ٢٢ ، ص ١٤٨ .

أعداءه ومن لم يطعه طرفة عين ، وبعد خلهم دار النعيم ، وأن كلا الأمرين بالنسبة إليه جائز" أن من قال هذا لم يقدر الله حق قدره ، وقد جاء الخبر المحض بخلاف ذلك ، وقد أنكر -سبحانه- في كتابه على من جوز عليه ذلك غاية الإنكار ، وجعل الحكم به من أسوأ الأحكام (١) ، قال تعالى : وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ؟" (٢) .

وخلاصة القول في هذا القسم :

أن مصدر الشر هو الجانب العملي لهذه القضية التي نحن بصددها -كما تقدم- فالمعتزلة آثروا نفي خلق الله -تعالى- لأعمال العباد ، ومن ضمنها الشر ، الذي لا يفعله الله - كما يقررون - ولا يريده ولا يحبه ولا يختاره . وقد تفرعت عن ذلك لديهم عدة فروع ، كانت مدار جدل بينهم وبين خصومهم من جهة ، وبين مفكريهم أنفسهم من جهة أخرى . . .

والمعتزلة لا يمانعون في إطلاق خلق الله للشر ، ولكن بالمعنى المجازي ، ويؤكدون عدم خلق الله للكفر ، وحتى للإيمان ، وإنما يرون أن الله جعل الإيمان دينا للمؤمنين ، كما أن أكثرهم لا يقول بأن الله قَوّى الكافِرَ على الكفر . . .

---

(١) انظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ١٢٤ .

(٢) سورة ص / ٢٧ - ٢٨ .

أما الأشاعرة فلقد قارعوا المعتزلة الحجة بالحجة ، وإن كانوا لقربهم منهم ربما لم يسلموا من بعض آثارهم . فكما أن المعتزلة لم يفرقوا بين الأمر والإرادة والمحبة ، فإن الأشاعرة قد ربطوا بين العلم والإرادة ، وبين الإرادة والخلق ، مع إثباتهم صفة الإرادة الذاتية لله - سبحانه .

أما المسائل الفرعية التي أثارها المعتزلة فإن الأشاعرة وغيرهم من السلف قد أعلنوا مواقفهم منها صراحة ، وردوا ما يخالف مفاهيم النصوص الشرعية ويتعارض مع الأدلة العقلية التي تؤكد خلق الله للأشياء كلها ، وهو ما يتفق عليه السلف كلهم ، وهم الذين يفرقون بين محبة الله ورضاه وغضبه وسخطه ، وبين إرادته ومشيئته - عز وجل - وأن خلقه للأشياء الضارة والمؤلمة ، وهي مايطلق عليه "شرور" لله في ذلك حكم عظيمة ، هي من جانب الله - تعالى - خير وحكمة ، وإن كان فيها شرور لبعض المخلوقات .

ب - **الإنسان ودوره في أفعاله :**

اختلف الناس حول أفعال العباد الاختيارية : هل هي كلها من الله تعالى ، وأن العبد ليس له اختيار ولا مشيئة في ذلك ، أم أنها كلها من الإنسان وهي حاصلة بفعله ، خيرها وشرها ، وأنها لا تعلق لها بخلق الله وإرادته ، أم أنها مخلوقة لله تعالى ، وهي مع ذلك مختارة مفعولة للمرء حقيقة ، ولهذا صار الناس مطيعين وعصاة بإراداتهم وأفعالهم ، وعلى هذا انقسمت أقوال الناس إلى ثلاثة أقوال ، يمكن أن تعتمد على نصوص من القرآن :

الأول : القول بتجريد الإنسان من حرية الإرادة وحرية الفعل ، وأن إرادة الإنسان بيد الخالق يتصرف فيه كما يشاء ، كالريشة في مهب الريح ، ومن النصوص التي يبدو للوهلة الأولى أنها تؤيد ذلك قوله تعالى : قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير " (١) وقوله تعالى : إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء " (٢) وقوله تعالى : وما تشاؤن إلا أن يشاء الله" (٣) وقوله : وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له " (٤) وقوله : ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولكن الله يفعل ما يريد " (٥) .

---

(١) سورة آل عمران / ٢٦ .

(٢) سورة الأعراف / ١٥٥ .

(٣) سورة الإنسان / ٣٠ .

(٤) سورة الإسراء / ١٦ .

(٥) سورة البقرة / ٢٥٣ .

الثانـي : القول بحرية الإرادة والتصرف لدى الإنسان ، والفصل بين إرادة الله وإرادة الإنسان ، ومن النصوص التي يحتجون بها - قوله تعالى : وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر " (١) وقوله تعالى : سيقول الذين أشركوا : لو شآء الله ما أشركنا ولاءاباآؤ نا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون" (٢) وقوله تعالى : ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها " (٣) .

الثالث : القول المتوسط بين هذين الرأيين السابقين وله ما يؤيده من نصوص ، منها قوله تعالى : نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ، وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ، إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ، وما تشآؤن إلا أن يشآء الله " (٤) وأمثال هذه النصوص من الكتاب والسنة .

إن المرء عندما ينظر في هذه النصوص المتقدمة جميعا سواء تلك التي يفهم منها الجبر المطلق أو الاختيار المطلق

---

(١) سورة الكهف / ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام / ١٤٨ .

(٣) سورة آل عمران / ١٤٥ .

(٤) سورة الإنسان / ٢٨ - ٣١ .

أو التوسط بينهما ، عند ما يتأملها يظهر له أن بينها تعارضا وتصادما وغموضا ، وربما يتأكد للناظر ذلك عند ما يتقيد بمذهب معين أو من خلال زاوية ضيقة لا يمكن بواسطتها استيعاب الأدلة الشرعية والعقلية بصفة شاملة وغير متحيزة [1]. ولنأخذ كل رأي من الآراء السابقة بشيء من التفصيل . . .

الجبرية :

إن أهل الجبر " نفاة الاختيار " يرون أن العبد ـ بناء على ما فهموه وما أخذو به من النصوص ـ أنه غير مسؤل عن أفعاله ، سواء كانت حسنة أو سيئة ، وأن ما يصدر من الإنسان من خير أو شر ، لا دخل له فيه ، وإنما مرجع ذلك كله إلى الله ، ولذلك فالجزاء ـ في نظرهم ـ غير مرتب على الأعمال ، بدليل قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لن يدخل الجنة أحد بعمله ! قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل " (٢) .

ولن ندخل في مناقشة مذهبهم وأدلتهم ، ويكفي أن قولهم هذا مناف للتوحيد ، وبالإضافة إلى ذلك فهو مناف للشرائع ودعوة الرسل ، والثواب والعقاب ، لأنه لو صح القول بالجبر لما كان هناك داع للالتزام بالعقيدة والشريعة ، وبالتالي : لا وجه للثواب والعقاب (٣) .

---

(١) انظر الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، ص ٢٠٧ .

(٢) صحيح الإمام مسلم ، جـ ٤ ، ص ٢١٧٠ .

(٣) انظر شفاء العليل ، ص ١٣٩ .

القدريـــة : (١)

وهم أصحاب الاتجاه الثاني في تفسير علاقة الإنسان بافعاله حيـث يرون أن " أفعال العباد غير مخلوقة فيهم ، وأنهم هم المحدثون لها " (١) . فالشر داخل ضمن هذه الأفعال ، فمصدره منهم ، وهم المسؤلون عنه .

والمعتزلة لا يتفقون على تعريف واحد لحقيقة الفعل فمنهم من يعرفـه بأنه " ما يحصل من قادر من الحوادث " (٢) . ولكن القاضي عبد الجبـار لا يوافق على هذا التعريف ويرى أن الفعل هو " ما وجد وكان الغير قـادرا عليـه " (٣) .

كما أن لديهم فرقا بين مدلول كلمة " محدث " وبين مدلول " فعـل " فلا يلزم عند معرفة المحدَث أن يعرف محدثه ، ولكن الفعل يلزم أن يعلـم أن له فاعلا ما ، وان لم يعرف على وجه التحديد (٤) .

أما كيفية معرفة الفاعل بعينه فلها عند المعتزلة وسيلتان :

الأولـى : النظر إلى حقيقة الفاعل ، فإذا كان هذا الفعل المنسوب إليه يحصل إذا أراد حصوله ، ولا يقع إذا لم يرد أو كره حصـول ذلك الفعل ، فهذا يعتبر فاعلا بحق (٤) .

---

(١) نستخدم هنا كلمة " قدرية " ، في معناها الواسع لتشمل القدرية الأوائل كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي ، والمعتزلة الذين تأثروا بفكرهم .

(٢) شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

الثانيـــة : " أن تعلم أن هذا المقدور لا يجوز أن يكون مقدورا للقـــادر بالقدرة ، فيجب أن يكون مقدورا للقادر لذاته وهو اللـــــه تعالـــى " (١) . والمعتمد لدى المعتزلة أن أفعال العبـــاد ليست مخلوقة لله تعالى ، ولا حادثة من جهته " (٢) .

وهم يدعمون رأيهم بالكثير من الحجج ، فدخول أعمـــال العباد ضمن خلق الله لكل شيء يرون أن في هذا " إثبـــات فعل من فاعلين ، ومقدور من قادرين ، وهذا محال ، وأن الشيء لا يُقدر عليه إلا على وجه الحدوث" (٢) .

ومن حججهم " أنه لو كان تعالى محدثها وموجدهـــا - أي أفعال العباد - لصح أن يوجدها ، وإن لم يقدر العبـــد عليها " (٢) ولكن الناظر في مذهبهم يجد نوعا من المفارســـه بين علاقة الإنسان بالإنسان ، وعلاقة الإنسان بالله - تعالى - قد لا تصح في هذا الباب . . . فعندما يريد القاضي عبدالجبار أن يبين عدم حاجة الفعل إلى قدرة العبد ، أو حصول الفعـــل على بعض الصفات بتلك القدرة ، ما دام أن محدثها وموجدهـــا هو الله - تعالى - يذكر القاضي هذا المثال : وهو " أن فعـــل زيد لا يحتاج إلى قدرة عمرو ، ولما لم يحتج في وجوده إليهمـــا ،

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

(٢) المغني ، جـ ٨ ، ص ١٧٧ .

ولا في بعض صفاته ، ولا هي قدرة لزيد ، فكذلك يجب فيما يخلقه الله - تعالى - أن يصح أن يوجده على سائر صفاته مع فقد قدرة العبد " (١) .

ويمكن أن يلاحظ هنا - أن هذه المقارنة مبنية على فرضية سابقة هي : أن علاقة قدرة الله - تعالى - بقدرة الإنسان مماثلة لقدرة الإنسان بقدرة أخيه الإنسان . . مما يعيد إلى الأذهان موقف المعتزلة في أصل التوحيد الذي يعرفونه في الإصطلاح بأنه " العلم بأن الله تعالى واحد ، لا يشاركه غيره فيما يستحق نفيا واثباتا ، على الحد الذي يستحقه ، والإقرار به " (٢) . ويؤكدون ذلك بأنه تعالى " قادر لا كالقادرين ، وعالم لا كالعالمين " (٣) فلوكانوا يتصورون قدرة فعلية تليق بالله تعالى . لما كان هناك مجال للمقارنة . . ومن ثم فصل قدرة المخلوق عن قدرة الخالق - عز وجل - .

ومما يحتج به شيوخ المعتزلة على نفي خلق الله لأفعال العباد أنه يجب لو خلق الله أفعال العباد أن تكون المعاصي - التي هي الشر الحقيقي - بقضائه وقدره ، كما أن خلق السموات والأرض بقضائه وقدره ، فيجب الرضاء بذلك ، لأن المسلمين متفقون على وجوب الرضى بقضاء الله ، وأن من لم يرض به فهو كافر (٤) ..

---

(١) المصدر السابق ، والمكان نفسه .

(٢) شرح الأصول الخمسة ، ص ١٢٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

(٤) انظر المغني ، جـ ٨ ، ص ٢٤٩ .

وهم بذلك يحاولون الزام خصومهم بنفي خلق الله لأفعال الناس التي من ضمنها المعاصي ، فان أجاب الخصوم وقالوا : نرضى بالكفر ، أو قالوا : لا نرضى به ولو كان قدرا ، كفروا في الحالين . . .

وهذا من المعتزلة قياس مع الفارق ، حيث تختلف أحوال المكلفين من المخلوقين عن أحوال غيرهم من المخلوقات ، كما قال تعالى : "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الإنسان . ." (١) .

على أن المعتزلة عندما ينفون خلق الله لأفعال العباد فانهم لا يطلقون على العباد بأنهم "يخلقون" أفعالهم ، ولا يجوزون إجراء لفظ "الخلق" على الواحد منهم ، لأن الخلق في عرفهم "الفعل المطابق للمصلحة" (٢) وأفعال الناس فيها ما يوافق المصلحة ، وفيها ما يخالفها .

أما استدلال خصومهم بآيات القرآن الكريم على أن أفعال العباد موجدة من جهة الله - تعالى - فلهما جواب عام وأجوبة خاصة عن كل آية . .

فجوابهم العام هو أن القرآن وصحته مبنية على أن الله عدل حكيم لا يظهر المعجزات على أيدى الكذابين ، ومناوؤهم - أي الأشاعرة - جوزوا إظهار المعجزات على أيدى الكذابين ، بناء على رأيهم في اقتدار الله المطلق على كل ما قضى العقل بجوازه وإمكان حدوثه" (٣) . فليزمهم المعتزلة بأنه لم تسلم لهم الثقة بالقرآن ، والتصديق التام به . (٤) .

---

(١) سورة الأحزاب / ٧٢ .
(٢) شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٨٠ .
(٣) العقيدة النظامية ، ص ٣٦ .
(٤) انظر شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٨١ .

ومن جهة ثانية:أن إثبات وجود المحدث يعتمد على إثبات المحدث - في نظر المعتزلة - وخصومهم منعوا ذلك ، فكيف يستدلون بكلام من لم يعلموه بعد ؟(١)

أما المعالجة التفصيلية لأدلة المثبتين لخلق أفعال العباد من جهة الله - تعالى - فيمكن الاكتفاء بنموذج منها ، فالمثبتون يستدلون بقوله تعالى : الله خالق كل شيء ، وهو على شيء وكيل " (٢) فظاهر الآية يدل بصراحة على خلق الله كل شيء ،وأفعال العباد شيء ، فهي مخلوقة له - سبحانه - والمعتزلة يجيبون عن ذلك بأن هذا الظاهر متروك لأنه تعالى شيء ولم يخلق نفسه ، فلا يمكن التعلق بظاهر الآية ، ولأن الآية وردت مورد التمدح ، ولا مدح بأن يكون الله - تعالى - خالقا لأفعال العباد ، وفيها الكفر والالحاد والظلم ، فلا يحسن التعلق بالظاهر منها . وإذا تأول خصومهم ردوا : بأنهم يؤولون بما يوافق الدليل العقلي ، فيكون المعنى لديهم : الله خالق معظم الأشياء ، كما في قصة بلقيس : وأوتيت من كل شيء " (٣) مع أنها لم تؤت كثيرا من الأشياء (٤) .

فواضح مما تقدم أن أصحاب الاعتزال يفصلون فصلا تاما بين أفعال العباد وبين ما يخلقه الله - تعالى - ويحدثه في هذا العالم ،وينسبون هذه الأفعال إلى العبد ، ويعتبرونه محدثها الأول والأخير ، ويتصدون لآراء غيرهم من الأشاعرة أو سواهم بالنقض والتفنيد . على أن هناك مسائل متعلقة بهذا الموضوع سوف تأتي فيما بعد بإذن الله - ، كالاستطاعة ، والتوليد ، وغيرهما ، مما اشترك المعتزلة وغيرهم في تفسيرها . واتخذ كل فريق الموقف الذي يتناسب مع تصوراته وأصوله إزاءها .

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٨١ .

(٢) سورة الزمر / ٦٢ .

(٣) سورة النمل / ٢٣ .

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة ،ص ٣٨٣ .

رأي السلف :

لقد عرضت النصوص الشرعية مجتمعة حقائق كثيرة عن واقع حال الإنسان وأفعاله ، لابد للخروج برأي أقرب إلى الصحة من الجمع بينها ، بحيث لا يضطر صاحب الرأي إلى اعتساف تفسير أوتكلف تأويل لأي منها . فلننظر الآن إلى رأي السلف تجاه تلك المسألة ومدى تحقيقه لتلك القاعدة،قاعدة : الجمع بين مفاهيم النصوص ، لخروج بفكرة تعبر عنها جميعا ، والتي يؤيدها الواقع العملي ، فمثلا : لو أخذنا مخطط بناء هندسي كامل لبناية حديثة ، فسوف نجد فيه أوراقا " خرائط" متعددة ، تحمل رسوما مختلفة ، بعضها لمساقط الدور الأرضي ، وأخرى لمساقط الدور الأول وما فوقه،وثالثة للمواد الكهربائية ، ورابعة للموقع العام ، وخامسة . . . وسادسة . . الخ . فهل معنى ذلك أنها لعدة بنايات؟ أو أن واحدة منها صحيحة والبقية لا قيمة له ؟ أم الصواب أنها لبناية واحدة ، ولكن تلك الرسوم إنما هي لمرافقها المتعددة ؟ . هذا ما يتفق عليه الجميع . . . فهكذا الحال في النصوص الشرعية وتناولها لأصول العقيدة والشريعة ، ومن ضمنها مسألة القدر ، وعلاقة الإنسان بأفعاله . .

" فمذهب (السلف) أهل السنة والجماعة : أن الله - تعالى - خالق كل شيء ، وربه ومليكه ، ولا رب غيره ، ولا خالق سواه ، ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم ، والعبد مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله ، منهي عن معصية الله ومعصية رسوله ، فإن أطاع : كان ذلك نعمة ، وإن عصى كان مستحقا للذم والعقاب" (١) فلا يقدر على خلق شيء وإيجاده في

---

(١) الفتاوى ، جـ ٨ ص ٦٣ .

هذا العالم إلا الله تعالى ، فكل مخلوق فالله هو الذي خلقه ،وكل محدث فالله هو الذي أحدثه ،هكذا . . . بكل عموم وشمول لأنّ الكون ملكه وتحت تصرفه ، وتدبيره وفق مشيئته ، فلا يمكن أن يحدث شيء " يكون" في هذا العالم إلا وقد شاء الله حدوثه وكونه ، فهو العالم بكل معلوم ، وهو القادر الذي لا يعجزه شيء . . وبجانب هذه المشيئة الكونية القدرية العامةالشاملة ، هناك الإرادة والمشيئة الشرعية ، فلا تنافي بينهما ولا تناقض ولا تضارب . . وهذه الإرادة الشرعية الدينية هي المعلومة المعروفة الظاهرة المفتوحة لكل إنسان . . فطريقها العلم واليقين ، وأما الإرادة الكونية فهي وراء حجب الغيب ، مطوية عن الناس ومستورة ، لا يمكن أن يطلع عليها أحد " إلا من ارتضى من رسول " (١) . وحب الله وبغضه ، وثوابه وعقابه متعلق بإرادته الشرعية الدينية ،فهي أمر متيسر لكل إنسان ، وممكنة الفهم واليقين ، فكيف يتركها المرء ويتجاوزها إلى النوع الآخر من الإرادة التي لا مجال له فيها إلا الحدس والظن . . فالأجدر بالإنسان أن يقيم أفكاره وأفعاله وحركاته وتصرفاته على أساس من هذه الإرادة الشرعية المعلومة المتيقنة لديه .

لفظ الفعل وإطلاقه :

ومن الناحية اللفظية هناك فرق لدى السلف في المقصود بلفظ "الفعل" يستند إلى اللغة والواقع ، فهو لفظ " فيه إجمال " (٢) فيطلق ويراد به " مسمى المصدر " ويقع أحيانا " على المفعول " (٢) ومثال الأوّل : الصلاة

---

(١) سورة الجن / ٢٧ .

(٢) الفتاوى ، جـ ٨ ص ١٢١ - ١٢٢ .

والصيام ، ومثال الثاني : بناء الدار وصناعة الآلات وغيرها .

ويشابه لفظ " الفعل " لفظ " العمل " و " الصنع " ومثلهما ألفاظ " التلاوة و " القراءة " و " الكلام " و " القول " " فاذا أريد بالعمل نفس الفعل الذي هو مسمى المصدر . . . فالعمل هنا هو المعمول وقد اتحد مسمى المصدر والفعل كما في المثال الأول . . " فإذا قال القائل : " هذه التصرفات : فعل الله ، أو فعل العبد ، فإن أراد بذلك أنها فعل الله - بمعنى المصدر - فهذا باطل ، باتفاق المسلمين ، وبصريح العقل ، ولكن من قال : هي فعل الله ، وأراد بها أنها مفعولة مخلوقة لله كسائر المخلوقات فهذا حق " (١) .

وأما المثال الثاني فهو ما يحصل بالعمل كبناء الدار ، وصناعة الآلات وغيرها ، فالعمل غير المعمول ، فالعمل ينسب إلى المخلوق ، كما في قوله تعالى : يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل . . . " (٢) وقوله عز وجل " والله خلقكم وما تعملون " (٣) أي : والله خلقكم وخلق الأصنام التي تنحتونها (٤) . ومنه حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله خالق كل كل صانع وصنعته " (٥) .

---

(١) المصدر السابق ، والمكان نفسه .

(٢) سورة سبأ / ١٣ .

(٣) سورة الصافات / ٩٦ .

(٤) الفتاوى ، جـ ٨ ، ١٢١ .

(٥) رواه البخاري مرفوعا بلفظ : إن الله يصنع كل صانع وصنعته " وموقوفا على رواية حذيفة - رضي الله عنه - بلفظ : إن الله خلق كل صانع وصنعته ، إن الله خلق صاحب الحزم وصنعته ، وقال : رواه وكيع عن الأعمش . (كتاب خلق أفعال العباد ، ص ٤٦) .

ويستدل السلف من وجه آخر ، بقوله تعالى : "والله خلقكم وما تعملون" (١) بأنه إذا كان خالقا لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف " التشكيل " الذي أحدثوه فيها ، فإنها إنما صارت أوثانا بذلك التأليف ، وإلا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم ، وإذا كان خالقا للتأليف كان خالقا لأفعالهم (٢) .

فأفعال العباد مخلوقة لله كسائر المخلوقات ، ومفعولة للرب كسائر المفعولات ، ولكنها ليست فعل الرب وخلقه ، بل هي نفس فعل العبد ، فمثلا : الكذب والظلم ونحوهما من القبائح (٣) يتصف بها من كانت فعلا له ، كما يفعلها العبد وتقوم به ، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره ، فالله تعالى لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان ، والروائح والأشكال والمقادير والحركات وغير ذلك (٤) .

وقد حدث تعدد في وجهات نظر السلف بالنسبة لما هو موجود من قبل الآدميين أو غيرهم من الأفعال ـ وخاصة الأفعال القبيحة ، فمنهم من قال قال إنه " يجوز الترجيح ـ بين الأفعال ـ بمجرد تعلق الاختيار بأحد طرفي المقدور " (٥) و " أن أفعال الله ـ تعالى ـ ليست معللة بالأغراض " (٦)

---

(١) سورة الصافات / ٩٦ .
(٢) الفتاوى ، جـ ٨ ص ١٢٢ .
(٣) معنى قبح الفعل : كونه ضارا لفاعله ، وسببا لذمه وعقابه ، وجالبا لألمه وعذابه (الفتاوى ، جـ ٨ ، ص ١٢٣) .
(٤) الفتاوى ، جـ ٨ ، ص ١٢٣ .
(٥) المواقف في علم الكلام ، ص ٣١٣ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٣٢١ .

فلا يرون أنه لابد من حكمة فيما يختاره الله ، بل ربما يقع ما يختاره إذا تعلقت الإرادة بأحد طرفي المقدور . . . .

أما الجمهور : فيرون أن الله تعالى له حكمة في كل ما يخلقه في هذا العالم ، وخاصة فيما هو مستقبح وضار ومؤذ . كما أن له حكمة فيما خلقه من الأمراض والغموم ، ومن يقول لا تعلل أفعاله ـ تعالى ـ لا يعلل هذا ولا هذا (١) .

أما السيئات والشرور التي تصدر عن الإنسان ، فإن ذلك من قبل النفس، وهذا مبني على ما تقدم (٢) من أن الشرور عدم ، فإتيانها من قبل النفس إنما هو من قبل عدم ما يصلح النفس وما يكملها . . فالإنسان خلق من العدم، وما أتى من جهته من شرور فإنها بسبب عدم الكمال ، فهي منسوبة للنفس، فينبغي على الإنسان أن " لا يطمئن إلى نفسه ، ولا يسكن إليها ، فإن الشر كامن فيها ، لا يجيء إلا منها " (٣) .

وما يجري من الإنسان من كذب وظلم وكفر وما شاكل ذلك ، وما يصيبه من ألم وجوع وتعب ونحو ذلك فإن أضرار ذلك يعود على الإنسان نفسه ، ولا يعود إلى الله من ذلك شيء " وهذا معنى كونها سيئات وقبائح ، أي أنها تسوء صاحبها وتضره ، وقد تسوء ـ أيضا ـ غيره وتضره " (٤) .

---

(١) الفتاوى ، جـ ٨ ، ص ١٢٣ .
(٢) وذلك في ص ١٦١ من هذا البحث .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤١٣ .
(٤) الفتاوى ، جـ ٨ ، ص ١٢٣ .

وأما المعتزلة فيرون " أن الكافر إنما استضر بفعل نفسه ، حيث أساء الاختيار لنفسه ، ولم يختر الإيمان ، مع أنه كان يمكن اختياره على الكفر " (١) وقد اختلفت تفسيرات المعتزلة لقوله تعالى : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة " (٢) .

فقال الجبائي : المراد ونقلب أفئدتهم وأبصارهم في جهنم على لهب النار وجمرها ، لنعذبهم كما لم يؤمنوا به أول مرة في دار الدنيا (٣) . وقال الكعبي (٤) : المراد : أنا لا نفعل بهم ما نفعله بالمؤمنين من الفوائد والألطاف ، من حيث أخرجوا أنفسهم عن هذا الحد بسبب كفرهم . وقال القاضي : المراد : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم في الآيات التي ظهرت ، فلا نجدهم يؤمنون بها آخرا كما لم يؤمنوا بها أولا (٣) ويتولى الإمام الرازي مناقشة هذه الحجج فيذكر أن الوجه الذي ذكره الجبائي مدفوع ، لأنه تعالى قال : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم" ثم عطف عليه : فقال : ونذرهم في طغيانهم يعمهون " ولا شك أن قوله : ونذرهم" إنما يحصل في الدنيا ، فلو قلنا : المراد من قوله : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم" إنما يحصل في الآخرة ، كان هذا سوأ للنظم في كلام الله - تعالى - حيث قدم المؤخر ، وأخر المقدم ، من غير فائدة ،وأما الوجه الذي ذكره الكعبي فضعيف أيضا ، لأنه إنما استحق الحرمان من تلك الألطاف والفوائد بسبب إقدامه على الكفر ،

---

(١) شرح الأصول الخمسة ،ص ٥١٤.

(٢) سورة الأنعام / ١١٠.

(٣) التفسير الكبير ، جـ ١٣ ،ص ١٥٤.

(٤) هو أبو القاسم البلخي ، والذي سبق التعريف به (انظر ص ١٣٨، هامش ٢).

فهو الذي أوقع نفسه في ذلك الحرمان والخذلان فكيف تحسن إضافته إلى الله - تعالى - في قوله تعالى : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم" . وأما الوجه الثاني الذي ذكره القاضي فبعيد - أيضا - لأنّ المراد من قوله : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم" تقليب القلب من حالة إلى حالة ، ونقله من صفة إلى صفة ،وعلى ما يقوله القاضي فليس الأمر كذلك ،بل القلب باق على حالة واحدة ، إلا أنه - تعالى - أدخل التقليب والتبديل في الدلائل . فثبت أن الوجوه التي ذكروها فاسدة باطلة بالكلية (١) .

فأهل الإثبات للقدر يعتقدون أن أفعال العباد هي مخلوقات مكتسبة للعبد ، يُجزى عليها ، ويستحق عليها الذم والعقاب . فقولهم لا يختلف فيما يخلق من أعمال العباد سواء كانت ابتداء أو جزاء من جهة المسؤلية على الأعمال ،وعواقب هذه والمسؤلية (٢) .

ومخالفوا السلف يرون أن سيئة الجزاء تحسن من الله ، ولا يحسن منه الابتداء لكونه ابتداء على الإنسان بما يضره ، بناء على قاعدتهم التي تقول : لا يحسن من الله أن يضر الحيوان إلا بجرم سابق أو عوض لاحق (٣) .

كما أن للمثبتين للقدر اتجاهان :

فمنهم من لا يعلل أفعال الله تعالى ، فهؤلاء لا يفرقون بين مخلوق ومخلوق .كما تقدمت الإشارة إلى ذلك .

---

(١) المصدر السابق ، حـ ١٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) انظر الفتاوى ، جـ ٨ ، ص ١٢٤ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٤٧٨ و ٤٨٢ .

وأما جمهورهم القائلون بالحكمة فيرون : أن للّه تعالى فيما يخلقه من أذى للحيوان حكم عظيمة ، كما أن له ـ تعالى ـ حكم في غير هذا ، وهم لا يحصرون حكمته في الثواب والعوض ، لأنّ في ذلك " قياس لله تعالى على الواحد من الناس ، وتمثيل لحكمة الله وعدله ، بحكمة الواحد من الناس وعدله " (١) .

وعند ما يستشكل أحد مفهوم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم القائل : لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان له خيرا . ." (٢) الحديث . وقول السلف : بقضاء السيئات على الإنسان ، فيمكن الإجابة عن هذا من وجهين :

الأول : أن أعمال العباد لم تدخل في الحديث ، والمقصود ما يصيب الإنسان من النعم والمصائب ، ولهذا جاء فيه : إنْ أصابته سراء شكر فكان خيرا له . . ." الحديث ، فلا إشكال . . .

الثاني : إن قدر دخول السيئات ، فهو إنما يستحق العقوبة إذا لم يتب ، فإن تاب ، أبدلت حسنة ، وإن لم يتب ابتلي بمصائب تكفرها فيصبر عليها ، فيكون ذلك خيرا له . والمؤمن المطلق هو الذي لا يضره الذنب ، بل يتوب منه ، فيكون حينئذ كما جاء في الأثر : إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة ، يعمله فلا يزال يتوب منه حتى

---

(١) الفتاوى ، جـ ٨ ، ص ١٢٥ .

(٢) مختصر صحيح مسلم ، ص ٥٥٦ .

يدخل بتوبته الجنة " (١) . فالذنب يوجب ذل العبد وخضوعه ، واستغفاره ، وشعوره بفقره وفاقته إليه سبحانه (٢) ، وفي الحديث عن أبي موسى أنه صلى الله عليه وسلم قال : من سرته حسنته ، وساءته سيئته فهو المؤمن" (٣) .

القدرة والاستطاعة :

الله تعالى موصوف بالقدرة " يخلق ما يشاء ، وهو العليم القدير " (٤) والإنسان موصوف بمطلق القدرة ، لدى السلف والمعتزلة جميعا ، ما عدا الجبرية الذين لا يرون للعبد قدرة أصلا ، أتباع الجهم من صفوان .

فالمعتزلة يرون أن للعبد قدرة مستقلة عن قدرة الله ، يستطيع بها الإنسان أن يحدث ما يريد مع جواز أن لا يحدث ، بل إنهم يقولون : إن الطريقة في كون أحدنا فاعلا ، هي كالطريقة في كونه - تعالى - فاعلا عندنا ، لقدرته على الضدين كقدرتنا " (٥) .

والقدرة لدى الإنسان عندهم " سابقة للفعل ، وليست موجبة له"(٦) . ويقسمون فعل الإنسان إلى ثلاثة أنواع :

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلا ، ولابي نعيم في الحلية ، ولابن أبي الدنيا في التوبة ما يقارب معناه . (انظر المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، في تخريج ما في الإحياء من الاخبار ، المطبوع بذيل إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ص ١٤) .

(٢) انظر المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) رواه الطبراني في الكبير ، بإسناد حسن (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، جـ ٢ ص ٦١٠) .

(٤) سورة الروم / ٥٤ (٥) المحيط بالتكليف ، ص ٣٤٢ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

الأول : أن يقع هذا الفعل مع الإلجاء والإكراه .

الثاني : أن يكون الإنسان مؤثرا له ، مختارا في فعله .

الثالث : أن يقع الفعل منه سهوا .

فالنوع الثاني المذكور من الأفعال هو الذي تتعلق به الأحكام ،وفعل القادر لا يخرج عن هذه الأنواع المذكورة " إلا أن يعرض عليه منع ، فلا يصح أن يقع منه الفعل ، ويجري مجرى من ليس بقادر" (١) .

والمعتزلة يحددون ما يمكن وصفه مقدورا للإنسان بأفعال القلوب ، وهي : الإرادات ، والكراهات ، والاعتقادات ، والظن والنظر ، ولذلك تفاصيل أخرى عندهم .

أما أفعال الجوارح فهي : الأكوان والأوصاف ، والاعتمادات والأصوات ، والمماسة التي تعود إلى التأليف ، وهو نوع واحد ، والآلام ، واللذات . . فهذه هي التي يقدر عليها الناس ، وماعداها ـ من أفعال القلوب هي مما يصدر عنه ـ تعالى ،وقد يكون منها ما يقدر عليه الإنسان (٢) .

وقد تصدى لهم الأشاعرة فأثبتوا للإنسان " كسبا " داخلا تحت استطاعة يخلقها الله ـ تعالى ـ له ،فإذا وجدت هذه الاستطاعة ، وجد الكسب ، فالاستطاعة تأتي ـ عندهم ـ مع الفعل لذات الفعل . بإرادة الله ـ تعالى ـ ذلك (٣) . وقضية الكسب تعتمد على تأكيد شمول علم الله المطلق

---

(١) المصدر السابق ،ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .

(٣) اللمع ، ص ٥٦ و ٦٥ .

وقدرته - تعالى - وإرادته ، ومن ثمّ فإن كل ما في العالم مخلوق لله وفقا لهذا العلم والإرادة والقدرة الإلهية ، بما في ذلك أفعال الإنسان سواء كانت اضطرارية أم اختيارية ، خيرا أم شرا ، فخلافا لما ذهب إليه المعتزلة من أن أفعال الإنسان الاختيارية موجودة من قبل الإنسان ، أو مخلوقة له ، بضابط معين عند بعضهم (١) استنبط الأشعري فكرة " الكسب" التي حددها بأنها صدور الأفعال من المكتسب ، بسبب قدرة حادثة فيكون كسبا لمن وقع بقدرته ، (٢) وهذه القدرة ليست ملازمة له ، بدليل كونه مستطيعا مرة ومرة غير مستطيع ، وهذه الاستطاعة يستحيل تقدمها على الفعل ، لأنه لا يخلو أن يكون الفعل حادثا مع الاستطاعة في حال حدوثها أو بعدها ، فإن كان حادثا معها في حال حدوثها فقد صح أنها مع الفعل للفعل ، وإن كان حادثا بعدها مع قيام الأدلة على عدم بقائها وجب بذلك حدوث الفعل بقدرة معدومة ، ولو جاز ذلك لجاز أن يحدث العجز بعدها فيكون الفعل واقعا بقدرة معدومة ، وهذا لا يصح ، فثبت بذلك أن الفعل يحدث مع الاستطاعة في حال حدوثها (٣) .

والكسب لا يعني بحال من الأحوال أن الإنسان يخلق أفعاله ، بل إنه يختار اكتساب الفعل وفي تلك اللحظة التي يختار فيها يخلق الله له قدرة على الفعل الذي توجهت همته إليه . فالفعل - في الحقيقة - مخلوق لله تعالى بواسطة القدرة الحادثة المخلوقة في الإنسان ، والتي هي ضرورية لوجود الفعل ومخصصة له فقط ، وليس لها تأثير على ضد الفعل (٤) .

---

(١) مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .
(٢) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢١ .
(٣) انظر اللمع ، في الرد على أهل الزيغ والبدع ، ص ٥٤ - ٥٥ .
(٤) انظر الإبانة عن أصول الديانة ، ص ١٧٠ - ١٧١ و ١٩٧ .

ولا يمكن لأحد أن يرد على هذا بلزوم كون مريد الشر والسفه والفساد شريرا أو سفيها أو مفسدا ، ولا أن يلزم ذلك بالنسبة لله تعالى ، لأنه - سبحانه - قد خلق الشر ليكون شرا لغيره وليس له ، كما أنه تعالى إذا خلق الحركة لغيره لا يكون متحركا ، لكن من خلقت له الحركة سيكون متحركا بالحركة المخلوقة من الله ، ويمكن الاستدلال هنا بقصة ابني آدم ، فقد أراد أحدهما عدم قتل أخيه بقوله : لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك .... إنى أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك ..." (١) فقد أراد أن يقتله أخوه ليبوء بالإثم ، وهذا الفعل من أشد السفه ، ولم يكن بإرادته ذلك من أخيه سفيها ، فكيف إذا كان الأمر بالنسبة إلى الله - تعالى (٢) . وقد رد السلف رأي المعتزلة في خلق أفعال العباد بكون المعتزلة جعلوا العبد " مزاحما لربه في التدبير ، موقعا ما أراد ايقاعه ، شاء الرب - تعالى - على قولهم - أو كره " (٣) . وبينوا أن ما ينبغى اعتقاده أن الله قد ملّك العبد " اختيارا يصرف به القدرة ، وإذا وقع بالقدرة شيئا آل الواقع إلى حكم الله ، من حيث أنه وقع بفعل الله - تعالى - وأنه .... أحدث القُدَرَ في العبد على أقدار أحاط بها علمه ، وهيأ أسباب الفعل ، وسلب الله العلم بالتفاصيل ، وأراد من العبد أن يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة ، وخِيَرَة وإرادة ، وعلم أن الأفعال على قدر معلوم ، فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد .... والقدرة خلق الله ابتداء ، ومقدورها مضاف إليه مشيئة وعلما ، وقضاء وخلقا وبقاء ، من حيث أنه نتيجة ما انفرد بخلقه ، وهو القدرة ، ولو لم يرد وقوع مقدوره لما أقدره

---

(١) سورة المائدة / ٢٨ - ٢٩ .

(٢) انظر الإبانة ، ص ١٧٢ .

(٣) العقيدة النظامية ، ص ٥١ .

عليه ، ولما هيأ أسباب وقوعه (١) .

ويرى السلف أن " الله - تعالى - قادر على الأفعال والأعيان ، والقدرة تتعلق بالأعيان المنفصلة : قدرة الرب ، وقدرة العبد ، والنصوص تدل على أن كلا القدرتين تتعلق بالمتصل والمنفصل ، فالله تعالى قد أخبر أن العبد يقدر على أفعاله ، كقوله تعالى : فاتقوا الله ما استطعتم " (٢) وقوله عز وجل : ومن لم يستطع منكم طولا . . . " (٣) فدل على أن منا من يستطيع ذلك ، ومنا من لم يستطع ، والله قادر على عبده ، وقدرته فوق قدرته ، كما أخبر تعالى أنه : لا قوة إلا بالله " (٤) وأن " يد الله فوق أيديهم " (٥) فكل ما كان بعد عدمه فإنما يكون بمشيئة الله وقدرته ، فما شاء وجب كونه ، وهو تحت مشيئة الرب وقدرته ، وما لم يشأ امتنع كونه مع قدرته عليه (٦) .

ولقد قال بعض متأخري الأشعرية أن للقدرة الأزلية تعلقين :
أحدهما : صلوحي ، وهو التعلق الأزلي ، بمعنى : أنها صالحة - في الأزل - للإيجاد والإعدام ، على وفق تعلق الإرادة الأزلية بهما فيما لا يزال .
الثاني : التنجيزي ، وهو التعلق الحادث ، المقارن لتعلق الإرادة بالحدوث الحالي . . ، ولكن غيرهم من السلف يقولون : بأن تعلق القدرة بالممكن تعلق واحد ، له غاية محدودة الزمان ، يوجد في ذلك الزمان المخصص بالإرادة القديمة الأزلية (٧) .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٩ - ٥٠.
(٢) سورة التغابن / ١٦ .
(٣) سورة النساء / ٢٥ .
(٤) سورة الكهف / ٣٩ .
(٥) سورة الفتح / ١٠ . (٦) انظر الفتاوى ، جـ ٦ ص ٢٣٨ - ٢٤٤ .
(٧) انظر لوامع الأنوار البهية ، جـ ١ ص ١٥٣ - ١٥٤ .

وقد انتقد الكثيرون فكرة " الكسب " التي تحدث عنها الأشاعرة ، وخاصة متأخروهم ، ووصفوها بأنها " من محالات الكلام ، وأخت شقيق أحوال أبي هاشم وطفرة النظام ، والمعنى القائم بالنفس والذي يسميه القائلون به " كلاما " وأي شيء من ذلك غير معقول ولا متصور (١) .

ويعلق ابن تيمية على مسألة الكسب قائلا : فسروا الكسب بما قارن القدرة المحدثة في محلها ، ومجرد المقارنة لا يميز القدرة عن غيرها ، فإن الفعل يقارن العلم والإرادة وغير ذلك (٢) .

فالسلف من غير الأشاعرة لهم فهمهم الخاص لقضية القدرة والكسب ، الذي يتلخص في أن : كل حي يفعل فعلا ، فهو ناشيء عن قوة فيه تسوغ له الترك والفعل ، واستبدال فعل بفعل ، وذلك تحت قدرة الله ، الذي يسيّر عبده في البر والبحر ، فهو المسيّر ، وعبده السائر ، وسيره وفعله بقدرة وإرادة واختيار ، حقيقي لا مجازي ، فجميع حركات الناس واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة ، بجانب أنها مفعولة لله - سبحانه - مخلوقة له حقيقة . . . فالذي قام بالرب - عز وجل - علمه وقدرته ، ومشيئته وتكوينه ، والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم (٣) .

وهكذا يخرج السلف بقضية الكسب من الإطار الفلسفي الذي تنازع عليه المعتزلة والأشاعرة إلى الحقيقة الشرعية والواقع المنطقي العقلي . . ففيما يلصق المعتزلة هذه القضية بالإنسان تماما ، ويجعلونها من إيجاده أو خلقه ،

---

(١) شفاء العليل ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .
(٢) لوامع الأنوار البهية ، جـ ١ ص ٢٩٢ .
(٣) انظر شفاء العليل ، ص ١١٥ .

يقوم الأشاعرة بسحبها بعيدا عن دائرة الصراع الفكري ، ويعلقون فكـــرة " الكسب " بمفهومهم الذي تقدمت الأشارة اليـه ،فيأتي مفكروا السلـــف ويضعون هذه القضية في مكانها المناسب من النصوص والواقع ، وإن لـم يفصل بينهم وبين المعتزلة إلا خيط دقيق لم يوفق إليه الأشاعرة الذيـن جعلوا القضية بتفسيرهم ترتفع قليلا أو كثيرا عن ساحة النصوص والواقـع المنطقي ، الذي دعا بعض النقاد إلـى وصف فكرة الكسب بـ "المحال" وغير المعقول كما تقدم.. ولا يضير السلف اقترابهم من المعتزلة إن كانوا قد وفقوا إلى إعادة الأمور إلى نصابها . والذي أظن أنهم قد حققوه بوضوح .

وهكذا نصل إلى مسألة متعلقة بما تقدم أشد التعلق وهي مسألـة التولد ، وما دار حولها من آراء .

التولـــد :

تولّد الشيء عن غيره أي : نشأ عنه (١) هذا هو الأصل اللغـوي لهذه الكلمة ، والمعنى الكلامي لها مرتبط بذلك أشد ارتباط ، لأنـه يبحث في أحكام وحقائق الآثار المترتب بعضها على بعض ، من هو موجدها ؟ وعلى من تقع مسؤليتها ؟ وما هي نتائجها ؟ يقول ابن تيمية :

والذين يؤذون على الإيمان ، وطاعة الله ورسوله ، ويحدث لهـم بسبب ذلك حرج أو مرض أو حبس أو فراق وطن ، وذهاب مال وأهل ، أوضرب أو شتم ، أو نقص رياسة ومال ، هم في ذلك على طريقة الأنبياء وأتباعهم ،

---

(١) المصباح المنير ، ص ٦٧٢ .

كالمهاجرين الأولين يثابون على ما يؤذون به ، ويكتب لهم به عمل صالح ، كما يثاب المجاهد على ما يصيبه من الجوع والعطش والتعب ، وعلى غيظه الكفار ، وإن كانت هذه الآثار ليست عملا فعله يقوم به ، لكنها متسببة عن فعله الاختياري ، وهي التي يقال لها متولدة (١) .

وقد اختلف الناس : هل يقال : أنها فعل لفاعل السبب؟ أو لله ؟ أو لا فاعل لها ؟ والصحيح أنها مشتركة بين فاعل السبب وسائر الأسباب ، ولهذا كتب له بها عمل صالح (١) .

أما المعتزلة فقد اختلفوا في ذلك ، فمنهم من قال : لا فعل للعبد إلا ما يحل قلبه من الإرادة ، وربما أضاف بعضهم إليها الفكر ، وجعلوا ما يوجد في جوارحه وأبعاضه وأطرافه ليس بفعل له من الحركات ونحوها . وهذا رأي الجاحظ وثمامة (٢) بن أشرس" أما ثمامة فجعل ما عدا الإرادة حدثا لا محدث له . والجاحظ : جعل ما عداها يقع طباعا ، وأنه لا يقع باختياره إلا الإرادة . وقال غيرهما : إن كل ما جاوز غير حد الإنسان فهو من خلق الله تعالى ، بإيجاب الخلقة ، بمعنى أنه طبع الأجسام على حد تندفع أو تذهب ، وهذا يحكى عن أبي إسحاق النظام .

وقال معمر : إن المتولدات أجمع ، وكذلك جميع الأعراض هي فعل الأجسام الموات بطباعها ، ولا فعل لله إلا نفس المحل ، ولا للعبد

---

(١) الفتاوى ، جـ ١٠ (علم السلوك) ص ١٢٤ .
ومقالات الإسلاميين ، جـ ٢ ، ص ٩٢ - ٩٩ .

(٢) هو ثمامة بن الأشرس النميري ، مولى بني نمير ، كان زعيم القدرية في زمن المأمون والمعتصم والواثق ، توفي سنة ٢١٣ هـ (انظر لسان الميزان ، جـ ٢ ، ص ٨٣) .

عنده فعل سوى الإرادة ، وذهب غير إلى أن الذي يوجد في حيّز الإنسان هو فعله دون ما تعداه ووجد في حيز غيره ، وما عدا ذلك فهو مما تفرد به الله عز وجل . وقال آخرون : بل كل ما يحدث عند فعل من جهتنا فهو من فعلنا . . وجعلوا اللون والطعم والإدراك والعلم وغيره فعلا لنا (١) .

أما القاضي عبد الجبار وتلميذه : الحسن بن متويه (٢) فيريان : أن كل ما كان سببه من جهة العبد ، حتى يحصل فعل آخر عنده وبحسبه ، واستمرت الحال فيه على طريقة واحدة ، فهو فعل العبد ، وما ليس هذا حاله ، فليس بمتولد عنه ، ولا يضاف إليه على طريق الفعلية ، ثم لا يجوز أن يحدث ولا محدث له ، ويعود القاضي إلى نقض آراء غيره فيقول : ثم لا يجوز أن يحدث - أي المتولد - ولا محدث له ، ولعل الذي أدى الكل إلى ما قالوه هو أنهم زعموا أنه إنما يصلح أن يجعل الفعل فعلا للعبد أو لغيره ، على وجه يصح أن يفعله ، ويصح أن لا يفعله ، من دون واسطة ، فأما ما ليس يجوز أن لا يفعله بدلا من أن يفعله ، أو لا يجوز أن يتركه أو يفعل ضده في حالة فليس بفعله ، ورأوا أنه عند وجود الإرادة وزوال العوارض لابد من وجود المراد ، فأخرجوه عن كونه فعلا له ، وكذلك الفكر وما شاكله نحو الاعتماد وغيره من الأسباب التي لا تجوز عند وجوده ، إلا أن

---

(١) انظر المحيط بالتكليف ، ص ٣٨٠ ، ومقالات الإسلاميين ، جـ ٢ ، ص ٩٢ - ٩٩ ، والمواقف ، ص ٣١٦ - ٣١٩ .

(٢) هو ابو محمد الحسن بن أحمد بن متويه ، درس على القاضي ، وله كتب وشروح ، توفي سنة ٤٦٩ هـ (انظر فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، ص ٣٨٩) .

يوجد المسبب ، فقالوا : فالـــذي يجعل فعلا له هو نفس الإرادة،أو نفس الأسباب التي يفعلها في نفسه دون غيره من الافعال ، فإذا بينا أن الذي دل علي أن السبب فعله يقتضي أن المسبب فعله ،أو ذكرنا فيه ما يخصه من الدلالة فقد استقام ما أردناه وبطلت هذه المذاهب (١) .

ثم يعود إلى إيضاح رأيه ومذهبه في المتولد فيقول : والأصل في هذا الباب أنا إنما نثبت المبتدأ فعلا لنا لوقوعه بحسب أحوالنا ودواعينا ، وهذا قائم في المتولد ، لأن الكلام والكتابة والآلام وغيرها ، تقع بحسب ما نحن عليه من الأحوال ، فيجب أن تكون أيضا فعلنا ، ولو جوزنا والحال هذه أن لا يكون ذلك فعلا لنا ،لجوزنا مثله في نفس الإرادة أو في نفس الأسباب ، وإذا استمرت الطريقة في الفعلين ، من الإرادة والمراد ، ومن السبب والمسبب ، فليس بأن نجعل الإرادة فعلنا دون المراد أولى من خلافه ، فيجب كونهما جميعا حادثين من جهتنا ، وليس يمكن أن يقال : إنما صارت الإرادة وغيرها من الأسباب فعلا لنا لكونه مبتدأ فقط ، لأن فعل الغير - أيضا - مبتدأ ، وليس بحادث من جهتنا ، لما لم يكن واقعا بحسب أحوالنا ، فعرفنا أن الاعتبار بما قلنا دون غيره (٢) .

ويظهر أن بشر بن المعتمر (٣) أول من أحدث القول فى التولد ،وأفرط فيه ، ولعله تأثر بآراء بعض الفلاسفة الطبيعيين ، ثم تابعه معتزلة آخرون ،

---

(١) انظر المحيط بالتكليف ،ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

(٣) أبو سهل ، مؤسس فرع الاعتزال في بغداد ، توفي سنة ٢١٠ هـ (انظر لسان الميزان جـ ٢ ،ص ٣٣) .

بين بصريين وبغداديين .... ولكل منهم رأي وتوجيه ... وحاول كل واحد أن يؤيد رأيه ، ويدفع شبه الآخرين ... وفي مشكلة التولد دراسات تمت بصلة إلى الفسيولوجيا والطبيعة ، والأخلاق والتشريع، وعلم النفس والميتافيزيقى ، وأساسها إثبات قدرة الفرد وإرادته ... وإنها لمحاولة غير هينة ، لم تخل من تناقض وتعارض (١) .

وذلك ما أشار إليه ابن حزم ، بل أكد عليه في قوله : وأكثرت المعتزلة في التولد ، وتحيرت فيه حيرة شديدة ، فقالت طائفة : ما يتولد عن فعل المرء ، مثل القتل والألم المتولد عن رمي السهم وما أشبه ذلك ، فانه فعل الله -عز وجل- وقال بعضهم : بل هو فعل الطبيعة ، وقال بعضهم : بل هو فعل الذي فعل الفعل،الذي عنه تولد ، وقال بعضهم : هو فعل لا فاعل له (٢) وقد تقدم ذلك .

ثم يلخص ابن حزم -رحمه الله- موقف أهل السنة في التولد قائلا :

والأمر أبين من أن يطول فيه الخطاب ... والصواب في ذلك أن كل ما في العالم من جسم أو عرض في جسم أو أثر من جسم فهو خلق الله -عز وجل- بمعنى : أنه خلقه ، وكل ذلك مضاف بنص القرآن ، وبحكم اللغة ، إلى ما ظهرت منه من حي أو جماد ، قال تعالى : فإذا أنزلنا

---

(١) مقدمة الجزء (٩) (التوليد) من المغني ، د /إبراهيم مدكور .

(٢) الفِصَل ،في الملل والأهواء والنحل ، جـ ٣ ، ص ٩٧ .

عليها الماء اهتزت وربت ،وأنبتت من كل زوج بهيج " (١) فنسب -عز وجل - الاهتزاز والإنبات والربو إلى الأرض ، وقال تعالى : ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة" (٢) . فسمى -تعالى - المخطئ قاتلا ، وأوجب عليه حكما ، وهو لم يقصد قتله قط ، لكنه تولد عن فعله (٣) .

ولم تختلف أمة ولا لغة في صحة قول القائل : مات فلان ، وسقط الحائط . فنسب الله تعالى وجميع خلقه الموت إلى الميت ،والسقوط إلى الحائط ، والانيهار إلى الجرف ، لظهور كل ذلك منها ، ليس في القرآن ولا في السنن ولا في العقول شيء غير هذا الحكم ، ومن خالف هذا فقد اعترض على الله -تعالى - وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأمم ، وعلى جميع عقولهم ، وهذه صفة من عظمت مصيبته بنفسه ، ومن لا دين له ولا عقل ولا حياء ولا علم . وصح بكل ما ذكرنا أن إضافة كل أثر في العالم إلى الله تعالى هي على غير إضافته إلى من ظهر منه ، وإنما إضافته الى الله -تعالى - لأنه خلقه ، وأما إضافته إلى من ظهر منه ، أو تولد عنه ، فلظهوره منه ، اتباعا للقرآن ولجميع اللغات ، ولسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذه الإخبارات ، وكلتا هاتين الإضافتين حق لا مجاز في شيء من ذلك ، لأنه لا فرق بين ما ظهر من حي مختار ، أو من غير حي مختار ، في أن كل ذلك ظاهر مما ظهر منه ، وأنه مخلوق لله -تعالى - إلا أن الله -تعالى - خلق في الحي اختيارا لما ظهر منه ،

---

(١) سورة الحج / ٥ .

(٢) سورة النساء / ٩٢ .

(٣) الفِصَل ، في الملل والأهواء والنحل ، جـ ٥ ص ٥٩ - ٦٠ .

ولم يخلق الاختيار فيها ليس حيا ولا مريدا ،فما تولد من فعل فاعل فهو فعل الله -عز وجل - بمعنى : أنه خلقه وهو فعل ما ظهر منه ، بمعنى أنه ظهر منه . . . (١) .

أما الآثار الفقهية لمسألة التولد فلها مجالها في الدراسات والبحوث الفقهية كأمور القتل العمد وشبه العمد والخطأ ، وسائر الأبحاث الجنائية ، وكذلك قضايا الأخلاق والترغيب وما يشاكلها ، مما ليس هذا مجال بحثه .

الهدى والضلال ، والتوفيق والخذلان ، وما في معانيها :

ترى المعتزلة أن الله تعالى قد علم أن الكافر سوف يكفر ،وأن الله تعالى قد كلفه الإيمان ، وحسن منه -تعالى - ذلك ،لأن العلم تابع للمعلوم فلا يؤثر العلم في المعلوم ،ولا يمكن أن يكون تكليف الله -تعالى- الكافر الإيمان من باب العبث ،لأن حقيقة العبث " كل فعل يفعله الفاعل من دون عوض مثله ، مثل أن يركب أحدنا الأهوال والأخطار ،ليربح على درهم درهما ، مع أنه يقدر على تحصيل هذا القدر بسهولة " (٢) فغرض الله تعالى بالتكليف هو " تعريض المكلف للثواب ، وذلك حاصل في هذا التكليف ،حصوله في تكليف من المعلوم في حاله أنه يؤمن " (٣) وليس ذلك مفعولا - لله -من هذه الزاوية .

---

(١) المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٦٠ .

(٢) شرح الأصول الخمسة ،ص ٥١٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥١٥ .

وقد لا يتفق المعتزلة في تفسير حسن تكليف الله الكافر الإيمان ، فأبو القاسم يفسره بالأصلح ، أي الأنفع ، ولكن القاضي ومن وافقه يردون ما قاله أبو القاسم " لأنّ تكليف الغير ، لنفع الغير يكون ظلما ، وإن بلغ ذلك النفع ما بلغ لولا ذلك ، وإلا كان لا يكون في العالم ظلم ، فما من شيء إلا وفيه نفع الظالم وأهل بيته،وقد يكون في عددهم كثرة (١) " أما الهداية وما في معناها فيعبر عنها المعتزلة بـ " الألطاف " وحقيقتها : كل ما يختار عنده المرء الواجب ويتجنب القبيح ، أو : ما يكون عنده أقرب إما إلى اختيار ، أو إلى ترك قبيح " (٢) وهو نوع من التيسير والعون الذي يعطيه الله ـ تعالى ـ للإنسان ، وذلك بأن يهيء الله له الظروف المناسبة لعمل الخير والطاعة فهو " ما يدعو إلى فعل الطاعة ، على وجه يقع اختيارها عنده ، أو هو ما يدعو إلى فعل الخير حسب قوة الدواعي أو ضعفها ، وحسب درجة استجابة المكلف أو رفضه لها " (٣) وتسمية هذا اللطف قد تصير " توفيقا " وقد تكون " عصمة " أو ما يراد منهما .أما بقية الأسماء كالخذلان والطبع والختم والغل والغشاوة فهي لا تَرِد لديهم ، بناء على ما تقدم من عدم نسبة الشر إلى غير الإنسان و " أن الله لا يفعل القبيح " (٤) .

وقد انقسمت أراء المعتزلة إلى ثلاثة أقوال في هذه المسألة :

ـ مسألة الإضلال والختم والطبع ـ فقال بعضهم : لا ندري ما معنى ذلك ..

---

(١) المصدر السابق ،ص ٥١٨ .

(٢) المصدر السابق ،ص ٥١٩ .

(٣) انظر المغني ، جـ ١٣ ،ص ٩ .

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة ،ص ٥١٩ .

وقال آخرون : معنى ذلك أن الله ـ تعالى ـ سماهم ضالين ، وحكم بأنهم ضالون . وقال فريق ثالث بأن معنى أضلهم : أتلفهم . . (1) أما في مسألة اللطف فقد تعددت أقوالهم أيضا : إلى أربعة أقوال :

الأول : قول بشر بن المعتمر ، ومن تبعه : أن الله ـ تعالى ـ عنده لطف لو فعله بمن يعلم أنه لا يؤمن لآمن ، وليس يجب عليه ـ سبحانه ـ فعل ذلك .

ثانيا : قول " جعفر بن حرب " (2) : إن عند الله لطفا لو أتى به الكافرين لآمنوا اختيارا ، ويذكر عنه أن ترك هذا الرأي. ورجع إلى رأي عامة أصحابه .

ثالثا : قول جمهور المعتزلة : ليس في مقدور الله ـ سبحانه ـ لطف لو فعله بمن علم أنه لا يؤمن آمن عنده ، وأنه لا لطف عنده لو فعله بهم لآمنوا .

رابعا : قال : الجبائي " أبو علي " : لا لطف عند الله ـ سبحانه ـ يوصف بالقدرة على أن يفعله بمن علم . أنه لا يؤمن عنده .. وقوله هذا مبني على نظرية " الأصلح " حيث لزم من عدم فعل الأصلح إرادة الفساد ـ في نظره ـ ولكنه لا يمنع من أن يفعل الله ـ تعالى ـ بالإنسان ، ما لو فعله به لازداد ـ طاعة ، فيزيد الله الإنسان ثوابا (3) .

---

(1) انظر الفِصَل ، في الملل والأهواء والنحل ، جـ 3 ، ص 49 .

(2) هو جعفر بن حرب الهمداني ، من كبار معتزلة بغداد ، وله تصانيف ، توفي بعد سنة 230 هـ (لسان الميزان ، جـ 2 ، ص 113) .

(3) انظر مقالات الإسلاميين ، جـ 1 ، ص 313 - 314 .

أما عند السلف فإن الهداية وهي ما يعبر عنه المعتزلة ـ كما رأينا ـ باللطف ، لها أربع مراتب :

١ - الهداية العامة ، التي هي قرينة الخلق ، في الدلالة على الرب ـ سبحانه وتعالى ـ وأسمائه وصفاته وتوحيده . كما قال تعالى ـ إخبارا عن موسى وفرعون : من ربكما ياموسى ؟ قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى" (١) .

٢ - هداية الإرشاد والبيان للمكلفين ، وهذه لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق ، وإن كانت شرطا فيه ، أو جزء من سبب ، وذلك لا يستلزم حصول المشروط والمسبّب ، بل قد يتخلف عنه المقتضي ، إما لعدم كمال السبب ، أو لوجود مانع ، كما قال تعالى : وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى" (٢) .

٣ - هداية التوفيق والالهام ، وخلق المشيئة المستلزمة للفعل ، قال تعالى : من يهد الله فهو المهتد . . ." (٣) .

٤ - الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة (٤) ، قال تعالى : . . . . فاهدوهم إلى صراط الجحيم" . وقال ـ عز وجل : سيهديهم ويصلح بالهم" (٦) .

---

(١) سورة طه / ٥٠ .
(٢) سورة فصلت / ١٧ .
(٣) انظر شفاء العليل ، ص ١٦٩ - ١٨٢ .
(٤) سورة الكهف / ١٧ . (٥) سورة الصافات / ٢٣ .
(٦) سورة محمد ـ صلى الله عليه وسلم / ٥ .

كما يرى أهل السنة أن الله تعالى أضل من شاء من خلقه ، وجعل صدورهم ضيقة حرجة ، وأنه تعالى يجعل أكنة على قلوب الكافرين ، يحول بين قلوبهم وبين تفهم القرآن والإصاخة لبيانه وهداه ، وأنه تعالى ختم على قلوب من شاء من عباده وطبع عليها ، فامتنعوا بذلك من وصول الهدى إليها (١) .

كما أن السلف يجدون في نصوص القرآن معنى زائدا يفسر الإضلال الذي يوصف به الكفار والعصاة وهو ما ذكر من تضييق الصدور وتحريجها ، والختم على القلوب والطبع عليها وإكنانها عن أن يفقهوا الحق (١) . أما كون ذلك ابتداء أو جزاءا من الله تعالى ، فإن الرب سبحانه لم يفعلها بعبده من أول وهلة حين أمره بالإيمان أو بينه له ، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه - سبحانه - والتأكيد في البيان والإرشاد ، وتكرار الإعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد ، فالإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع ، بل كان اختيارا، فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية ، والختم ، والطبع ، والأكنة ، والغطاء ، والغلاف ، والحجاب ، والوقر ، والغشاوة ، والران ، والغل ، والسد ، والقفل ، والصمم ، والبكم ، والعمى ، والصد ، والصرف ، والشد على القلب ، والإضلال ، والإغفال ، والمرض ، وتقليب الأفئدة ، والحول بين المرء وقلبه ، وإزاغة القلوب ، والخذلان ، والإركاس ، والتثبيط ، والتربيص ، وعدم إرادة هدى الكفار والعصاة وتطهيرهم ، وإماتة قلوبهم بعد خلق الحياة فيها ، فتبقى على الموت الأصلي ، وإمساك النور عنها ، فتبقى في الظلمة

---

(١) انظر الفِصَل في الملل والأهواء والنحل ، جـ ٣ ، ص ٤٦ - ٤٨ .

الأصلية ، وجعل القلب قاسيا لا ينطبع فيه مثال الهدى وصورته ، وجعل الصدر ضيقا حرجا لا يقبل الإيمان ، كل هذه الأمور تنقسم بحسب مرجعها إلى أربعة أقسام :

١ - منها ما يرجع إلى القلب كالختم والطبع .

٢ - ومنها ما يرجع إلى وسائل القلب ، التي توصل له الهدى ، كالصمم والوَقْر .

٣ - ومنها ما يرجع إلى قوة هذه الوسائل وكمالها ، كالعمى والعشى .

٤ - ومنها ما يرجع إلى واسطته ومظهره المعبر عنه ، كالبكم النطقي ، الذي هو نتيجة البكم القلبي ، لأنه إذا بكم القلب بكم اللسان (١) .

لكن ينبغي أن يلاحظ أن السلف رأوا أن قدرته - تعالى - هي الغالبة ، فيمكن أن يحصل الإيمان بعد هذه الأشياء المذكورة ، فالله قادر على كل شيء ، فيفك الله الختم والطبع والضرب على القلب ، ويهديه بعد ضلاله ، ويعلمه بعد جهله ، حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر ، لم يمتنع أن يمحوها ويكتب له السعادة والإيمان ، فقد قرئ عند عمر رضي الله عنه - قوله تعالى : أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " (٢) . وعنده شاب فقال : اللهم عليها أقفالها ومفاتيحها بيدك ، لا يفتحها سواك . فأقره عمر رضي الله عنه - على ذلك ، وعظم قدره عنده ، وكان عمر يقول في دعائه : اللهم إن كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيدا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت (٣) .

---

(١) انظر شفاء العليل ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) سورة محمد - صلى الله عليه وسلم / ٢٤ .

(٣) انظر شفاء العليل ، ص ١٩٤ .

ومن خلال هذا العرض المجمل لآراء كل من السلف والمعتزلة في قضية الهدى والضلال وما في معناها . . نلاحظ أن المعتزلة يلتزمون أصولهم العامة ، كالقول : بأن الله لا يفعل القبيح . ولو كلفهم ذلك عنتا في توجيه وتأويل النصوص . فتوصلوا إلى نتائج قد لا تسعفهم اللغة العربية في ذلك ، حيث يرون ـ مثلا ـ أن معنى قوله تعالى : فمن يهدي من أضل الله ؟ (١) " أي حكم بأنه ضال ، أو سماه ضالا ، أو منع اللطف الذي يقع به الإيمان (٢) . وذلك حذرا من نسبة أعمال العباد إلى خلق الله وإيجاده ، وخاصة الأفعال الشريرة السيئة ، فالشر الحقيقي عند المعتزلة ما هو إلا مخالفة أوامر الله ونواهيه ، فالمعصية هي الشر والضرر الحقيقي (٣) . أما السلف فيؤكدون أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله ـ عز وجل ـ بناء على الأدلة الشرعية والعقلية الكثيرة ، وعليه فلا يمكن بحال أن تفصل أعمال الناس وسيئاتهم عن خلقه عز وجل ، وتصرفه في ملكه ، ولا يتنافى ذلك مع حكمة الله وعدله وتنزيهه .

---

(١) سورة الروم / ٢٩ .

(٢) انظر الفصل ، جـ ٣ ، ص ٤٨ - ٤٩ . والكشاف ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢ .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ وقضية الجبر والشر في الفكر الإسلامي ، ص ١٦٨ .

جـ - إبليس والشياطين بوصفهم مصدرا للشر :

لقد أخبرنا القرآن أن أصل إبليس وحقيقته أنه جني (١) ، وقد مر ذلك بنا فيما تقدم ، وكما يتحدث إبليس عن نفسه فيما حكاه الله تعالى عنه أنه قال : " خلقتني من نار " (٢) وقد ذكر الله تعالى أنه خلق الجان " من نار السموم " (٣) مما يؤكد لنا أصل خلقته وماهيته ، إلا أنه كان يقيم مع الملائكة ويقف في صفوفهم ، وهذا ما نعلمه عنه ، حيث لم أجد نصا يفسر ذلك سوى بعض الآثار الموقوفة (٤) ، وهذا مما لا أثر له في هذا البحث ، إلا أن وجوده مع الملائكة يدلنا على أنه كان مسلما مطيعا لله ، حيث لم يذكر عنه الكفر والضلال إلا بعد قصته مع آدم - عليه السلام - وعصيانه لأمر الله تعالى ، وحسب أنه من

---

(١) انظر الآية رقم ٥٠ من سورة الكهف .

(٢) سورة الأعراف / ١٢ .

(٣) سورة الحجر / ٢٧ .

(٤) أصح هذه الآثار ما قاله الحسن البصري : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل البشر . وعن ابن عباس : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة ، يقال لهم " الجن " خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وكان اسمه " الحارث " وكان خازنا من خزان الجنة ، وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي ، قال : وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب . (تفسير القرآن العظيم ، جـ ٥ ، ص ١٦٤) . وفيه آثار أخرى ذكر ابن كثير أن غالبها من الإسرائيليات ، التي تنقل لينظر فيها .

الجن ، وهم قد ذكروا عن أنفسهم قائلين : وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك " (١) وقالوا - أيضا : وأنا منا المسلمون القاسطون" (٢) فالله تعالى قد أعطى الجن القدرة على الإيمان والكفر ، فهم " أحياء عقلاء مأمورون منهيون ، لهم ثواب وعقاب ، وقد أرسل إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم" (٣) وقد كان إبليس قبل ذلك عابدا مع الملائكة ثم كفر ، فلما تحول إلى الكفر ورضي به بمقتضى (٤) ، وإن كان موجبا لعذابه (٥) ، كما قال عن نفسه : فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين" (٦) .

ويذكر ابن كثير أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم ، لأنه - وإن لم يكن من عنصرهم - إلا أنه كان قد تشبه بهم ، وتوسم بأفعالهم ، ولهذا دخل في الخطاب لهم ، وذم في مخالفة الأمر (٧) . وإبليس باق وسيبقى حيا إلى أن تقوم الساعة ، أو إلى أن يشاء الله ، كما طلب من الله - تعالى - قائلا : رب فأنظرني إلى يوم يبعثون" (٨) أي إلى

---

(١) سورة الجن / ١١ .
(٢) سورة الجن / ١٤ .
(٣) الفتاوى ، جـ ١٩ ، ص ٣٩ .
(٤) وهذا مشاهد في الإنسان ، إذا انحرفت صحته أو فسد مزاجه اشتهى ما يضره وتلذذ به ، بل قد يعشق ذلك عشقا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله ، كما هو ملاحظ على شارب الخمر أو الدخان - مثلا - فإنهما يفتكان بشاربهما ويضرانه ، ولا يستطيع الخلاص منهما إلا بشكل صعوبة (انظر عالم الجن والشياطين ، ص ٤٨ - ٤٩) .
(٥) الفتاوى ، جـ ١٩ ص ٣٤ .
(٦) سورة ص / ٨٢ - ٨٣ .
(٧) تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ١١٠ .
(٨) سورة ص / ٧٩ .

وقت البعث ، وهو وقت النفخة الثانية ، حين يقوم الناس لرب العالمين ، ومقصوده أن لا يذوق الموت ، فلم يعطه الله ذلك ، بل قال عز وجل : إنك من المنظرين (١) " وفي آية أخرى : إلى يوم الوقت المعلوم (٢) " قال ابن عباس : أنظره إلى النفخة الأولى ، حيث يموت الخلق كلهم (٣) .

وما دام الجن يتناكحون كما يؤخذ من قوله تعالى : لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (٤) " وقد ثبت أن لإبليس ذرية هم الشياطين الذين هم جنوده وأعوانه وغيرهم من عامة الجن . قال تعالى : ... وجنود إبليس أجمعون (٥) " لأنه لا يلزم أن يكون الجنود كلهم من الذرية ، فيمكن أن يكونوا من غيرهم ، من عامة الجن ، بطريقة مباشرة ، وقد يكونون من الإنس - أيضا - بطريقة غير مباشرة .

فإبليس (٦) هو الشيطان الأول ، وأبو الشياطين وأصلهم ، والشياطين هم المتمردون من عالم الجن (٧) .

وإذا كانت الملائكة هم جند الله الذين يمثلون الخير والفلاح والصلاح فإن إبليس وَمَنْ معه من الشياطين أعداء الله ، الذين يمثلون الشر والفساد ، فأعمال الملائكة والشياطين على طرفي نقيض (٨) .

---

(١) سورة الأعراف/ ١٥ .

(٢) سورة ص / ٨١ . وانظر التفسير الكبير ، جـ ١٤ ، ص ٣٩ .

(٣) تفسير القرطبي ، جـ ٧ ، ص ١٤٧ .

(٤) سورة الرحمٰن/ ٥٦ .

(٥) سورة الشعراء/ ٩٥ .

(٦) إبليس : من أبلس : أي يئس وتحيّر ، أو هو أعجمي (انظر القاموس المحيط ، جـ ٢ ، ص ٢٠١) .

(٧ ، ٨) العقائد الإسلامية ، ص ١٣٥ .

والشياطين هم جنود الشيطان الأول : إبليس ـ لعنه الله ـ وهم من كفار الجن ، لأن الجن قسمان : مؤمنون وكافرون . . وهذا تابع لما منحهم الله من الإرادة والاختيار ، فأعوان إبليس وجنوده من كفارهم (١) .

هذا وإن الشياطين وعلى رأسهم إبليس لا يكفون عن محاولة إفساد حياة الإنسان ، بجميع وسائلهم الممكنة ، لأن الشيطان (٢) عدو للإنسان كما قال تعالى : إن الشيطٰن لكم عدو فاتخذوه عدوا (٣) " فهو قد أعلن عداءه للانسان ، وإصراره على هذا العداء ، فهي معركة مستمرة ، ليس فيها مهادنة بين الإنسان وعدوه الشيطان ، فمطلوب من الإنسان أن يستحضر صورة هذه المعركة لكي يعيش الحالة الوجدانية المطلوبة ، التي ينحفر فيها بكل قواه ، وبكل يقظته ، وبغريزة الدفاع عن النفس وحماية الذات . . يتحفز لدفع الغواية والإغراء ، ويتيقظ لمواطن تسلل الشيطان إلى نفسه ، ويتوجس من كل هاجس ، ويسارع لعرضه على ميزان الله ليكون على بينة من كل خطوة في حياته ، لئلا يكون في واحد منها خدعة مستترة من عدوه القديم (٤) .

وهذه الحالة الوجدانية التي يريد القرآن أن ينشئها في الضمير لدفع وسوسة الشيطان بالغواية ، كما يتحفز الإنسان لكل بادرة من عدوه ، هذه الحالة تعبئة شعورية ضد الشر ودواعيه ، ضد هواتفه في النفس وفي الظاهر ، وهي حالة استعداد للمعركة التي لا تهدأ لحظة ، ولا تضع أوزارها في هذه الأرض أبدا (٥) .

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ٢٨٥ .

(٢) هذا التعبير وما شاكله على طريقة اسم الجنس الذي يشمل إبليس والشياطين عامة .

(٣) سورة فاطر / ٦. (٤و٥) انظر في ظلال القرآن ، حـ ٢٢ ، ص ٢٩٢٦

فالشيطان مصدر شر كثير ومتنوع للإنسان كما مرّ بنا (١) ، والـذي من أبرز أساليبه التي ذكرت ، أسلوب الوسوسة ، ويستخدمه مع المرء من مختلف الطرق والحيل والجهات ، كما يقول عن نفسه : ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم . . ."(٢) بالاضافة إلى ما ورد ذكره في القرآن من كيفيات صدور الشر عن الشياطين كالاستحواذ والتسويل والإملاء والنزغ والتخبط والمس والتزيين والصد عن سبيل الله ، والأز والهمز ، وتزيين المحرمات ، والأمر بالسوء والفحشاء والمنكر ، والوعد بالفقر ، والكيد والإنساء والالقاء والاستزلال والإضلال والوعد والتمنية والإتباع ، والتخويف لأوليائه ، والاستهواء والرجز والخذلان والإيحاء والفتنة .

والسنة قد ذكرت - كما مر بنا - عدد من الكيفيات لصدور الشر عن الشياطين ، كالتعلق بالإنسان منذ بداية خلقه عند جماع الزوجين ، وفور الولادة (٣) ، وعند نهاية الحياة ، وفيما بين ذلك ، يأمر الإنسان بالشرك ، ويجري منه مجرى الدم ، سواء كان ذلك حقيقة بالدخول إلى باطن المرء ، أو مجازا عن كثرة الملازمة والإغراء والوسوسة ، كما أن للشيطان إزاء الإنسان همز ونفخ ونفث واستجراء ، وإشغال عن الصلاة وعن ذكر الله ، وإذكاء للانفعالات والغضب ، وإثارة للتثاؤب ، كما أن للشيطان نشاط غير عادي في أوقات معينة ، كساعة الليل الأولى ، وله - أيضا - تأثير على غير الإنس من الحيوان كالكلاب والحمر ، واستخدام بعضها في الإفساد

---

(١) ص٨٩و١١٩من هذا البحث .

(٢) سورة الأعراف / ١٧ .

المادى ، كاشعال الحرائق - مثلا - باستخدامه للفأر ،وقد يتمثل في شكل مادي محسوس في صورة حية أو عقرب أو غيرها من الهوام ، وكل ذي سم يقتل ، وقد تقدم ذكر ذلك بأدلته (١) .

فالشيطان يمثل الشر في الأرض ، ويعمل دائبا على تدمير حياة الإنسان ،وأبرز ما في ذلك إبعاده عن الهداية والحق والرشاد (٢) .

المعتزلة والشيطان :

يعتقد المعتزلة بوجود الجن ، كبقية المسلمين ، وكأكثر أهل الملل والنحل ، وخصوصا أتباع الأنبياء (٣) . وقد مر بنا أن الجن هم مرجع إبليس وغيره من الشياطين (٤) .

وقد نقل عن أبي اسحاق النظام أنه كذب ابن مسعود - رضى الله عنه - في تشبيهه الجن بالزّط (٥) ،وأن النظام قد أنكر الجن رأسا (٦) ،كما أن له ولغيره من أهل الاعتزال رأى في إمكانية اخبار الجن الناس بشيء، أو خدمتهم ، فيقول هو وأكثر المعتزلة وأصحاب الكلام : لايجوز ذلك ، لأن في ذلك فساد دلائل الأنبياء ، لأن من دلالتهم أن ينبئوا بما نأكل

---

(١) ص من هذا البحث .

(٢) انظر العقائد الإسلامية ، ص ١٤١ .

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها ،ص ٢٨١ .

(٤) ص ٢١٩ من هذا البحث .

(٥) الزّط أو الجت ، قوم من أخلاط الناس ، يعرفون بـ " النّور" وأصلهم من هنود آسيا ، كانوا يسكنون شواطئ الخليج الفارسي (انظر تاريخ الأمم والملوك ،جـ ١٠ ، ص ٢٥٨) .

(٦) الملل والنحل ، بهامش الفصل ، جـ ١ ، ص ٧٤ .

وند خو (١) . ولعل ما نقله الأشعري هنا عن النّظام يدل على أنه لم يكن ينكر الجن تماما كما نقله الشهرستاني ، بل إنكاره إنما هو لجوانب من إمكانية تعامل الجن مع الإنس ، في مجال نقل المعلومات التي يتعذر على بعض الإنس الحصول عليها ، وفي الاستفادة من خدمات لا يستطيع الإنس القيام بها لأنفسهم ، أو يحتاجون إليها من غيرهم .

والمعتزلة يقرون بأن الجن " مأمورون منهيون ، قد أمروا ونهوا ، لأن الله - عز وجل - يقول : يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . . . . (٢) " ويقرون بأن الجن مختارون (٣) .

أما تبدل صور الجن إلى صور أخرى غير التي خلقوا عليها متى أرادوا ، فلا يجيز ذلك بعض المعتزلة ، بناء على فكرة احترام دلائل الأنبياء وخصوصيتها في المفهوم المستقر لديهم (٤) .

وهم يفسرون وجود الشيطان مع الملائكة واستثناءه منهم بأنه : قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله تعالى : فسجد الملئكة (٥) . ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا (٦) .

وقد اختلف المعتزلة في مسألة : معرفة الشيطان ما في القلب ،فقالت فئة منهم : إن الشياطين يعلمون ما يحدث في القلوب ، وليس ذلك بعجب

---

(١) مقالات الإسلاميين ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ .
(٢) سورة الرحمن / ٣٣ .
(٣) مقالات الإسلاميين ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .
(٤) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .
(٥) سورة ص / ٧٣ .
(٦) الكشاف ، جـ ٣ ، ص ٣٨٢ .

-في نظرهم - لأن الله -عز وجل - قد جعل عليه دليلا ، ومحال أن يدخل الشيطان قلب الإنسان ، مثال ذلك : أن تشير إلى الرجل : أقبل أو أدبر، فيعلم ما تريد ، فكذلك إذا فعل فعلا عرف الشيطان : كيف ذلك الفعل . فإذا حدث نفسه بالصدقة والبر ، عرف ذلك الشيطان بالدليل فنهى الإنسان عنه ، وقال آخرون من المعتزلة ومن غيرهم : إن الشيطان لا يعرف ما في القلب ، فإذا حدث الإنسان نفسه بصدقة أو بشيء من أفعال البر، نهاه الشيطان عن ذلك على سبيل الظن والتخمين (١) .

أما مسألة : قدرة الشيطان الفائقة على قدرة الإنسان ، فقد أنكر ذلك " الجبائي" لصلة ذلك بقضية خصوصية دلائل الرسل التي سبقت الإشارة إليها ،وأن في إجازة ذلك بطلانها (٢) .

والمعتزلة يرون أن جسم إبليس لا يوجب المعصية ، فالمعصية تقع منه اختيارا ، وأن الدلالة دلت على أنه تعالى خلق إبليس لكي يعبده . لقوله تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٣) " وكيف يقال : إن الله خلقه لأجل المعصية ؟ وقد نهاه - تعالى - وزجره عن فعلها ، وهذا غاية ما يدل أنه كرهها منه ، وخلقه لخلافها (٤) . فالشيطان يزين لبني آدم ، ويبعثهم على الشر إذا أطاعوه وقبلوا وساوسه ، فإنه لا يأمر بخير قط ، إنما يأمر بكل أمر قبيح ، أو متجاوز للحد في القبح من العظائم (٥) ، والشيطان

---

(١) مقالات الإسلاميين ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
(٢) المصدر السابق ، والمكان نفسه .
(٣) سورة الذاريات/٥٦ .
(٤) انظر المغني ، جـ ٦ / ٢ (الإرادة) ، ص ٣٠٣ .
(٥) انظر الكشاف ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ .

يغري على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور (١) . وهو لا يأتي منه إلا الشر البحت (٢) .

كما أن الشيطان في نظر أهل الاعتزال ليس موجبا للشر ، وليس مطبوعا عليه ، بل هو قادر على الخير قدرته على الشر ، إن شاء اختار هذا وإن شاء أختار ذاك (٣) .

أما مسألة استيلاء الجن أو الشياطين على بعض الإنس بالخبطة والصرع ونحوهما ، فإن الزمخشري ومن وافقه من المعتزلة يصفون ما ورد ذكره في الشرع بأنه : من قبيل التخييل ، وليس بحقيقة ، أو أنه مما يزعمه العرب ، وتزخرفه من الأساطير (٤) . وأن الجن - كذلك - لا يستطيعون الظهور أمام الانس ، كما لا يستطيع الإنس رؤيتهم (٥) .

وعندما يثار مثل هذا السؤال : كيف جاز أن يأمر الله إبليس بأن يتسلط على الناس ، مغويا مضلا ، داعيا إلى الشر صادا عن الخير؟ هنا يرد الزمخشري على هذا التساؤل قائلا : إن هذا من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية ، كما قال تعالى للعصاة : اعملوا ما شئتم (٦)" . وكل طاعة للشيطان فهي معصية وأمر قبيح ، ويمكن أن يقال في الشيء الواحد إنه : طاعة معصية ، حيث يكون معصية لله ، طاعة للشيطان ، لأن

---

(١) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ .
(٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦٤٢ .
(٣) شرح الأصول الخمسة ، ص ٢٨٧ .
(٤) انظر الكشاف ، جـ ٢ ، ص ٢٨ .
(٥) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٥ .
(٦) سورة فصلت/ ٤٠ .
(٦) انظر الكشاف ، جـ ٢ ، ص ٤٥٦ .

هذا الشيء كرهه الله ، وأراده الشيطان (١) . ولهذا يقال في العاصي : إنه مطيع للشيطان ، وإن لم يخطر الشيطان بباله (٢) . وعلى هذه الطريقة يقال في الواحد منا : إنه يطيع الشيطان بالمعصية ، وإن اعتقد أنه فوق الشيطان بالرتبة (٣) .

وقد تطرق المعتزلة إلى عقوبة إبليس والشياطين فذكروا أنها لا يمكن أن تكون بهذه الدنيا ، بل هي مؤجلة إلى الآخرة ، ولا يقدر أحد على معاقبتهم أو تعذيبهم إلا الله وحده (٤) .. ويظهر لي أنهم يقولون بهذا الرأي على العموم لا على سبيل الحصر ، فقد ذكر القرآن بأن من وظائف النجوم أنها رجوما للشياطين وأن لهم عذب واصب ، وأن من حاول استراق السمع فإنه يتبع بشهاب ثاقب (٥) ، كما ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم لعن شيطانا ماردا أراد الإساءة اليه -صلى الله عليه وسلم ،وأنه أمسك بشيطان آخر ، وخنقه بيده ، وهمّ أن يربطه بسارية من سواري المسجد (٦)، ولكن لم يفعل حينما تذكر قول أخيه سليمان -عليه السلام - : رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي (٧) . وقد كان يستخدم الشياطين بأمر الله تعالى -ويعاقب المسيئ منهم .

---

(١) المغني ، جـ ٦ / ١ (التعديل والتجوير) ص ٣٠ .
(٢) المصدر السابق ، جـ ٦ / ١ ، ص ٤٠ .
(٣) المصدر السابق ، جـ ٦ / ١ ، ص ٤٢ .
(٤) انظر شرح الاصول الخمسة ، ص ٦٥٣ .
(٥) انظر الاية رقم ٨ - ١٠ من سورة الصافات ، والآية رقم ٥ من سورة الملك .
(٦) انظر صحيح البخاري ، جـ ٦ ، (تفسير سورة ص) ص ١٥٦ . وانظر مختصر صحيح مسلم ، الحديث رقم ٣٠٨ ، ص ٨٧ .
(٧) سورة ص/ ٣٥ .

السلف والشيطان :

يدل القرآن والحديث على أن الشيطان مخلوق حي ، يعقل ويدرك ويتحرك ، كما سبق وأشرنا - وليس كما يقول بعض المعاصرين : إنه روح الشر متمثلة في غرائز الإنسان الحيوانية ، التي تصرفه إذا تمكنت من قلبه عن المثل الروحية العليا (١) .

والسلف بصفة عامة يقرون بكل ما ورد من أخبار إبليس والشياطين في الكتاب والسنة ، كما هو منهجهم في كل شؤن العقيدة والشريعة . . وعالم الشياطين جزء من عالم الغيب الذي لا يتوصل الإنسان إلى معرفته بالتجربة أبدا . . بل الطريق الوحيد الي معرفة شيء عنه هو الوحي الذي جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإن توصل إلى شيء محسوس متيقن عن هذا العالم الغيبي فالسلف لا يتعسفون إنكاره . . ووجود الجن والشياطين أمر ممكن عقلا ، وليس هناك أي دليل عقلي يثبت استحالة وجودهم (٢) وإنما يتوقف وجودهم على أحد دليلين :

أ - إما الكشف الحسي البشري " التجريبي " .

ب - وإما الخبر اليقيني الصادق .

---

(١) دائرة المعارف الحديثة ، ص ٣٥٧ . وانظر عالم الجن والشياطين ، ص ١٧ .

(٢) بل ان رجلا شيوعيا ملحدا ك " ماوتسي تنغ " كان يؤمن بوجود مخلوقات غيرنا في هذا الكون ، وان ٦١٪ من الشعب الامريكي تقريبا مقتنعون بذلك . (ملحق جريدة الهدف الكويتية الصادرة بتاريخ ٢٣ / ٣ / ١٩٧٨م نقلا عن كتاب عالم الجن والشياطين ، ص ١٢٣) .

وقد ثبت في الغالب وجود الجن والشياطين بطريق الخبر القطعي الصادق . وعلى هذا فالسلف يعتقدون بوجودهم ويسلمون بذلك دونما تردد ولا اعتراض ، وإذا ثبت شيء من ذلك بالحس والمشاهدة قبلوه - كما أشرنا (١) . فليس لديهم أي نظريات أو أفكار أو عقائد أو نظم منطقية مسبقة تعترض طريق التسليم للوحي أو للحس بإثبات شيء من ذلك .

ولقد تطرقنا فيما تقدم للقضايا التي تناولها المعتزلة بالمناقشة والإثبات أو النفي حول الجن وإبليس والشياطين ، فلننظر الآن ما هو راي السلف إزاءها . .

لقد مرّ بنا ما نقل عن النظام من إنكار الجن ، ثم ما نقله الإمام أبو الحسن الأشعري عنه من قوله بعدم جواز إخبار الجن أو خدمتهم للناس، فرجحنا أنه لا ينكر الجن ، ولعل هذا النقل الذي نقل الينا رأيه بالإنكار ضعيف في نقله هذا ، أو أنه رجع عنه ، حيث أنه رأي شاذ ، ولا يتفق معه - على فرض صحته عنه - أحد من أصحابه . وعلى أي حال فإنه قد ذهب إلى هذا الرأي بعض فلاسفة القدماء والمحدثين ، وأدلتهم لا تعدو أدلة تافهة لا تقوى على المناقشة لو سلموا بمبدأ صدق الرسل ، لأنّ هؤلاء ليس لهم من دليل على نفي وجود الجن والشياطين إلا القول : بأنه لم يثبت لنا وجودهم عن طريق الحواس ، فليسوا بموجودين إذن . . . ! وهذا استدلال ساقط ، لأنّ طرق اليقين غير منحصرة في الإدراك الحسي ، فهناك مسألة الخبر الصادق والاستنتاج العقلي . . يكفي أحدهما بالإضافة إلى أدلة الحس

---

(١) انظر العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ٢٨٢ .

لإثبات حقيقة من الحقائق العلمية (١) .

أما مسألة إخبار الجن وخدمتهم للناس وإمكانية ذلك ، فقد ثبت في القرآن ما كان يقوم به الجن في ملك سليمان عليه السلام (٢) . وما ذكره الله تعالى عن الشياطين بأنهم " يلقون السمع "(٣) أي : يسترقون السمع من السماء ، فيسمعون الكلمة من علم الغيب ، فيزيدون معها مائة كذبة ، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيتحدثون بها ، كما صح بذلك الحديث (٤) . يقول ابن تيمية : أنا أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل منها ! وأعرف من يخاطبهم الشجر والحجر ، وتقول : هنيئا لك يا ولي الله ! فيقرأ آية الكرسي (٥) ، فيذهب ذلك ، وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها ، وتقول : خذني ليأكلني الفقراء ! ويكون الشيطان قد دخل فيها ، كما يدخل في الإنسان ، ويخاطبه بذلك . ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه من خارجه وهو لم يفتح وبالعكس ، وكذلك في أبواب المدينة ، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ، أو تمر به أنوار ، أو يحضر عنده من يطلبه ، ويكون ذلك من الشياطين ، يتصورون بصورة صاحبه ، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله (٦) . ويقول شارح الطحاوية :

---

(١) المصدر السابق ، والمكان نفسه .

(٢) انظر الآيتين رقم ٣٩ من سورة النمل ، و ١٣ من سورة سبأ .

(٣) سورة الشعراء / ٢٢٣ .

(٤) انظر صحيح البخاري ، جـ ٩ ، ص ١٩٨ . و جـ ٦ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ . وانظر تفسير القرآن العظيم ، جـ ٦ ، ص ١٨٣ ، والتفسير الكبير جـ ٢٤ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٥) سورة البقرة / ٢٥٥ .

(٦) الفتاوى ، جـ ١١ ، ص ٣٠٠ .

ومن الشياطين ما يسميه الناس " رجال الغيب " وبعض الناس يخاطبونهم ، وتحصل لهؤلاء خوارق يزعمون بها أنهم أولياء الله ، والحق أن هؤلاء من أتباع الشياطين ، وأن رجال الغيب هم الجن ، ويسمون " رجالا " (١) كما قال تعالى : وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن " (٢) . فهذا الذي ذكره العالمان السلفيان إثبات حسي واقعي لصلة الجن والشياطين بالإنس ، خدمة وتحدثا وتعاملا ، لا سبيل إلى إنكاره فضلا عما ثبت في القرآن - قبل ذلك - بالنسبة لسيدنا سليمان عليه السلام ، حيث استخدم الجن والشياطين - كما أشرنا - في أعمال الصناعة والنقل والأعمال البحرية ، وحيث كان يعاقب ويسجن المتمردين منهم . وهذا ما يقر به السلف ويؤمنون به ، ولا يمكن أن يختلط ذلك بدلائل الأنبياء أو يبطلها - كما تخشي المعتزلة وأمثالهم . ولهذا يفصّل ابن تيمية حكم معاملة الجن ، فيذكر أنها تنقسم إلى أربعة أنواع :

١ - أمر الجن بطاعة الله ورسوله ، فهذا من أفضل الأولياء .

٢ - استعمالهم في أمور مباحة . فهو مباح .

٣ - استعمالهم في المعصية أو الكفر ، فهو إما كفر،وإما معصية ، مفسقة لصاحبها أو غير مفسقة له .

٤ - استعمالهم بما يظن أنه من الكرامات ، وهو عمل أصله مشروع ، ولكن أداءه غير صحيح ، فهذا خداع وغرور (٣) .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٥٧١ .
(٢) سورة الجن / ٦ .
(٣) انظر الفتاوى ، جـ ١١ ، ص ٣٠٧ .

فواضح مما ذكرنا أن السلف لما ثبت لديهم إمكانية اتصال الجن والشياطين بالإنس شرعا وعقلا وواقعا ، ذهبوا - أي السلف - واستفتوا دينهم في حكم ذلك عندما يحصل ، وإن لم يكن أمرا معتادا مألوفا كأمور البشر الأخرى .

أما انقلاب الجني إلى صورة أخرى فنحن نعلم أن الجن خلقوا " من مارج من نار "(١) ولكنهم يتمثلون أحيانا ويتصورون في صور أخرى ، خلافا لمن أنكر ذلك ، كما حكي عن بعض المعتزلة ، فقد يتمثل الجن في صور " حيات ". كما في قصة الشاب الأنصاري (٢) ، التي تثبت أن الجن ربما يتشكلون في صور حيوانية مادية ، ليس لها علاقة بعنصرهم الأول .

أما ما ذكره بعض المعتزلة من معرفة الشيطان لما في القلب ، فهذا أمر مستبعد ، فإن الشيطان من عالم الجن ، وقد كانوا يعملون عند سليمان - عليه السلام - فلم يعلموا بموته إلا بعد أن سقط على الأرض، فلو كانوا يعلمون ما في قلبه لعرفوا موته حالا ، لأنهم كانوا في عذاب مهين (٣) . وما احتج به من قال بذلك من المعتزلة من معرفة الشيطان وخبرته بالإنسان فإنها ربما تحصل للشيطان بسبب طول ملازمته ومراقبته لابن آدم ، كما ذكرت السنة أن مع كل إنسان شيطان ملازم له (٤) .

---

(١) سورة الرحمن / ١٥ .
(٢) انظر مختصر صحيح مسلم ، الحديث رقم ١٤٩٨ ، ص ٣٩٤ .
(٣) انظر الآية رقم ١٤ من سورة سبأ .
(٤) انظر مختصر صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٠٥ ، ص ٤٧٨ .

وأما إنكار " الجبائي " لقدرة الشيطان الفائقة على قدرة الإنسان ، فإن ذلك مخالف للأدلة الشرعية والحسية . . . فلقد تعهد العفريت من الجن - كما ذكرنا سابقا - بإحضار عرش بلقيس في زمن محدود جدا ، لا يقدر عليه إنسان فيه . . وكما يذكر عن رجل من طلبة العلم أغوته الشياطين ، وقالوا له أنحن نسقط عنك الصلاة ، ونحضر لك ما تريد ، فكانوا يأتونه بالحلوى أو الفاكهة ، حتى حضر عنده بعض الشيوخ الصالحين فاستتابه ، وأعطى أهل الحلاوة ثمن حلاوتهم التي أكلها ذلك المفتون بالشيطان (١) .

وقد ذكر عن رجل من أهل " الشويك " (٢) من قرية يقال لها " الشاهدة " يطير في الهواء الى رأس الجبل والناس يرونه ، وكان شيطان يحمله ، مع أن الرجل كان يقطع الطريق (١) . فهذا خبر ثابت من هذا الإمام بما يفعله هذين الرجلين اعتمادا على الشياطين ، حيث يسرقون للأول الحلوى ويحضرونها له ، ويحملون الآخر من قرية إلى قرية ، ومثل هذا مستفيض لدينا حتى في هذا العصر - الذي تقدم فيه العلم الكوني ، ووسائل الاتصال - عن أناس ممن يقيمون في شرق الجزيرة العربية ، ويسميهم العامة " السحرة " إلا أن أخبارهم قد تلاشت في السنوات الأخيرة .

والسلف يتفقون مع المعتزلة أن جسم إبليس لا يوجب المعصية ، وأن الله تعالى خلقه لكي يعبده ولم يخلقه لأجل المعصية ، ولكن الشر كله صار يصدر منه ومن الشياطين ، أو من النفس (٣) . لأن الشياطين لا يأمرون

---

(١) جامع الرسائل ص ١٩١ - ١٩٤ .

(٢) قرية بالشام (المصدر نفسه) .

(٣) إغاثة اللهفان ، من مصايد الشيطان ، جـ ١ ، ص ٩١ .

إلا بكل قبيح . . . ومع ذلك فإن الشيطان إذا عجز عن أمر الإنسان بالشرك أو الكفر انتقل إلى أمره بالبدعة ، وهي أحب اليه من أعمال الفسق والمعاصي ، فإن أعجزه عن ذلك أمره بالصغائر ، فإن أعجزه عن ذلك -أيضا . أشغله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب ،بل عاقبتها فوات الثواب الذي يضيع عليه باشتغاله بتلك المباحات ، فإن أعجزه الإنسان عن ذلك - أيضا -وكان حافظا لوقته ، حريصا على ساعات حياته نقله إلى الاشتغال بالعمل المفضول من أعمال الخير عما هو أفضل منه ،ليزيح عنه ثواب الفضيلة ، ويفوت عليه ثواب العمل الفاضل . . فإن فوت المرء على الشيطان هذه الأنواع الستة المذكورة سلط عليه حزبه من الإنس والجن ، بأنواع التكفير والتضليل والتبديع، والتحذير منه ، وتشويه سمعته ، وتشويش فكره ، وإشغال قلبه ، ومنع الناس من الانتفاع به (١) .

وقد أنكر الزمخشري ومن وافقه من المعتزلة القول باستيلاء الجن والشياطين على بعض الإنس بالخبطة والصرع ونحوهما ، وفسر ما ورد من ذلك في الشرع بأنه ليس له حقيقة وإنما هو تخييل (٢) .

وقد رد متأخروا السلف على ذلك وقالوا: بأن دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة (٣) . ويستدلون من القرآن بقوله تعالى : الذين يأكلون الربوٰا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطٰن من المس (٤) " وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل :

---

(١) انظر التفسير القيم ، ص ٦١٢ - ٦١٤ .

(٢) الكشاف ،جـ ٢ ،ص ٢٨ .

(٣) الفتاوى ،جـ ٢٤ ، ص ٢٧٦ .

(٤) سورة البقرة / ٢٧٥ .

قلت لأبي : إن أقواما يقولون : الجني لا يدخل بدن المصروع . فقال : يا بني : يكذبون ، هذا يتكلم على لسانه . ويعلق ابن تيمية قائلا : وهذا أمر مشهور ، فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ، ويضرب على بدنه ضربا عظيما لو ضرب به جمل لأثر به أثرا عظيما ، والمصروع - مع هذا - لا يحس بالضرب ، ولا بالكلام الذي يقوله ، وقد يفعل أو يحرك أشياء يعلم بالضرورة أن المحرك لها جنس آخر غير الإنسان (١) .

وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره ، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع ، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك (٢) .

وانكار الزمخشري ومن وافقه - المذكور سابقا - ظهور الجن أمام الإنس ورؤية الإنس لهم أمر مرفوض عند السلف ، للأدلة الكثيرة الشرعية والحسية الدالة على استطاعة الجن الظهور أمام الإنس ورؤية الإنس لهم ، فقد تصور الشيطان للمشركين يوم بدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، ووعد المشركين بالنصر ، وفيه نزل قوله تعالى : وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم (٣)" . فلما التقى الجيشان ، وشاهد الملائكة تتنزل من السماء ولى هاربا ، و" نكص على عقبيه ، وقال : إني بريء منكم ، إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله (٤) " وكان الذي رآه حين نكص : الحرث بن هشام أو عمرو بن وهب

---

(١) انظر الفتاوى ، جـ ٢٤ ، ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر السابق ، والمكان نفسه .

(٣) سورة الأنفال / ٤٨ .

الجمحي ، حيث تذكر أحدهما وقال : ابن سراقة ؟ أسلمنا عدو الله وذهب (١) .

والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم ،فيتصورون في صور الحيتان والعقارب وغيرها ، وفي صور الإبل والبقر والغنم ، والخيل والبغال والحمير ، وفي صور الطير ، وفي صور بني آدم (٢) .

ولقد انتقد السلف بعض أصحاب الاتجاهات وإن كانوا من أهل السنة ، وهم الذين يسمون بأهل السلوك والرياضيات الروحية ، خاصة المتأخرين منهم ، لتركيزهم على ذكر عيوب النفس وآفاتها وطرق رياضتها ، وتوسعهم في ذلك ، مع تقصيرهم في تتبع الأمراض التي تأتي من قبل الشيطان وكيده ووسوسته . . . لأن ذلك خلاف منهج القرآن والسنة الذين اعتنيا بذكر الشيطان وكيده ومحاربته ، أكثر من ذكر النفس حيث لم تذكر إلا في ثلاثة مواضع من الكتاب العزيز (٣) . ولنأخذ لذلك مثلا - من الغزالي - فقد عقد كتابا لرياضة النفس ، بينما لم يستعرض تسلط الشيطان على الإنسان إلا في جزء من كتاب : شرح عجائب القلب الذي هو الكتاب الأول من ربع المهلكات (٤) .

وهنا يمكن أن يطرح على السلف مثل هذا السؤال : ما دمتم تقولون بالحكمة ، وأن كل ما خلقه الله فإنما وجد لغاية مقصودة وحكمة عظيمة ،

---

(١) انظر جامع البيان ، جـ ١٠ ، ص ١٩ .
(٢) الفتاوى ، جـ ١٩ ، ص ٤٤ .
(٣) سورة القيامة / ٢ ، وسورة الفجر / ٢٧ - ٢٨ .
وانظر إغاثة اللهفان ، جـ ١ ، ص ٩٠ .
(٤) انظر إحياء علوم الدين ، جـ ٣ ، ص ٢٦ - ٤١ و ٤٨ - ٧٩ .

وما دام أن إبليس وجنوده مصدر الشرور والآثام والأخطاء والانحرافات .. فما هي الحكمة من وجودهم على ما هم عليه من محبة للشر وسعي إليه ، وإيقاع فيه ؟ .

وقد تنبه السلف لمثل هذا السؤال وأجابوا عنه بما يشفي ويكفي ويمكن إيجاز جوابهم في المسائل الآتية :

١ - من الحكمة في وجود إبليس وجنوده إكمال مراتب العبودية لأنبياء الله وأوليائه ، بمجاهدة عدو الله وحزبه .

٢ - أن يأخذ الملائكة والمؤمنون والناس كلهم العبرة والخوف من الذنوب بعد ما شاهدوا ما حصل لإبليس .

٣ - أن الشيطان أداة اختبار للبشر ، ليتبين الخبيث والطيب منهم .

٤ - ظهور كمال قدرة الله - تعالى - في خلق المتضادات والمتقابلات في خلق مثل : جبريل والملائكة ، وإبليس والشياطين .

٥ - محبته تعالى أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه ، التي لم تكن لتحصل بدون وجوده .

٦ - أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب أنواع العبودية إلى الله سبحانه ، وهذه إنما تتحقق بالجهاد الذي هو ذروة سنام العبودية وأحبها إلى الرب سبحانه .

٧ - أن من أسمائه تعالى : الخافض الرافع ، المعز المذل ، الحكم ، العدل المنتقم ، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر إحكامها ، كأسماء الإحسان والرزق والرحمة ونحوها ، ولابد من ظهور متعلقات هذه وتلك .

٨ - أنه سبحانه يحب أن يظهر لعباده حلمه وصبره ، وسعة رحمته وجوده ،فاقتضى ذلك خلق من يشرك به ،ويضاده في حكمه ، ويجتهد في مخالفته ، والله يرزقه ويعامله بالبر والإحسان ، فكم لله في ذلك من الحكمة والحمد . فان يكن ما يحصل من إبليس شرور ومعاصي فقد حصل بسبب وجوده ووجود الشياطين طاعات ومحبوبات كثيرة ،وإن أغضب هذا المخلوق ربه ، فقد أرضاه فيه أنبياؤه ورسله وأولياؤه ، وذلك الرضا أعظم من ذلك الغضب .

٩ - وأما إبقاء إبليس الى آخر الدهر ، وإماتة الرسل ، ففي ذلك حكم عظيمة - أيضا - لأنه لما اقتضت حكمة الله - سبحانه - امتحان آدم - عليه السلام - اقتضت - أيضا - امتحان أولاده من بعده ، وأن إبقاء إبليس ليس اكراما له ، لأنه لو مات لكان أخف لعذابه وأقل لشره ، وليس في إماتة الرسل اهانة لهم ،بل ليصلوا إلى دار كرامته ، ويستريحوا من تعب الدنيا ونكدها ، فإماتتهم أصلح لهم وللأمة (١) .

وعلماء السلف ومتكلموهم يحبذون عدم الخوض - بصفة عامة - في دقائق وتفاصيل ماهية الشيطان إلا ما جاء به الدليل الثابت ، وإنما يصرفون جل اهتمامهم إلى معرفة طرق الشيطان في إضلال البشرية ،وبكيفية التخلص من وساوسه وحيله ، يقول ابن الجوزي (٢) في سبب تأليف كتابه " تلبيس

---

(١) انظر شفاء العليل ، ص ٤٩٧ - ٥٠٦ .

(٢) هو الامام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على الجوزي القرشي البغدادي ، صنف من الكتب الصغيرة والكبيرة قريبا من ٣٠٠ مصنف له كتاب " زاد المسير" وجامع المسانيد ، والمنتظم ،توفي سنة ٥٩٧ هـ (انظر الأعلام ، جـ ٤ ، ص ٨٩) .

إبليس" : فرأيت أن أحذر من مكايده ، وأدل على مصايده ، فإن في تعريف الشر تحذيرا من الوقوع فيه . ويروي بسنده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدا أحب إلى الشيطان هلاكا مني ! فقيل : وكيف ؟ فقال : والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إليّ ، فإذا انتهت إليّ قمعتها بالسنة ، فترد عليه كما أخرجها (١) .

وهذا ما تنبه له الإمام الغزالي أثناء تأليفه كتاب إحياء علوم الدين المشار إليه قبل قليل - فقال : ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه " تلبيس إبليس (٢) " ولكن الظاهر أنه لم يلتفت لهذا إلا أخيرا فعاجلته المنية قبل أن يحقق أمنيته المذكورة . .

والغزالي يذهب إلى الاهتمام بالمعرفة الواقعية في مواجهة الشيطان ، أكثر من المعرفة الفلسفية النظرية ، كما هو شأن علماء السلف فنجده يصرح في معرض رده على سؤال مفترض يقول : هل الداعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ يرد قائلا : أعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة (أي في الواقع) . . ويلفت نظر مخاطبه قائلا : فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته ، كل البَقْل من حيث يؤتى ، ولا تسأل عن المِبْقَلة . . ثم يورد خبرا عن مجاهد بأن لإبليس

---

(١) تلبيس إبليس ، ص ٤ .

(٢) إحياء علوم الدين ، جـ ٣ ، ص ٣٠ .

خمسة أولاد . . . الخ (١) .

وخلاصة القول في هذا القسم :

أن القرآن والسنة ذكرا كثيرا من أخبار الجن وإبليس والشياطين ، وفيها من التفصيل والبيان ما يكفي ، بالقدر الذي ينفع الإنسان في حياته العاجلة وآخرة . . ويأخذ بيده إلى المعرفة والعلم الرباني اليقيني بهذا الشأن .

وقد انفرد المعتزلة ببعض الآراء عن الجن والشياطين ، بسبب منهجهم في النظر إلى أفعال الإنسان ومسؤلياته ، وأصولهم التي يلتزمونها .. ولهذا فالناظر في شيء مما كتبوا يلاحظ عدم تركيزهم على هذه القضية ، وليس من الغريب أن يربط هذا بفكرهم وأصولهم في تحميل الإنسان مسؤلية أفعاله ، واستقلاله التام بإيجادها وحده . . . فمجال ذكر الشيطان واحتكاكه ببني الإنسان يضيق عندهم إلى أدنى الحدود . . .

أما السلف فقد تقبلوا كل ما جاءت به النصوص الثابتة ، واعتنوا بالجوانب الواقعية في التعامل مع هذه المخلوقات الغيبية ، وقد تحدثوا عن الحكمة في إيجادها وفي حركاتها ونشاطاتها ، وتناولوا بعض آراء المعتزلة وغيرهم بهذا الشأن والتي يظهر اصطدامها بشيء من دلالة النصوص . . تناولوه بالمناقشة والتحليل . . . ومن ثم اتخذوا منه موقف الرفض أو القبول .

الخاتمـــــــــــة

الخاتمـــــة

لقد تبين لي خلال هذه الدراسة لقضية مفهوم الشر ومصدره، بصحبة الكتاب والسنة أولا، ثم المعتزلة والسلف ثانيا، تبين لي جملة من الحقائق العلمية التي يمكن تسجيلها في هذه المسائل الآتية :

١ - أن لفظ " الشر " قد استعمل في اللغة العربية بصيغ مختلفة، ومعان متعددة، كلها تشير إلى الأذى الذي يصيب الإنسان، أو الخطر الذي يحدق به، ماديا كان أم معنويا، وسواء كان فرديا أم جماعيا .

٢ - أن مصطلح " السلف " يقصد به أولئك الذين التزموا في بناء عقيدتهم بما أتى به الوحي، وهم الرعيل الأول من علماء الإسلام الذين تمسكوا بالكتاب والسنة نصا وروحا، وأن مصطلح "المعتزلة" يعني به أولئك الذين سلكوا منهجا خاصا يعرف بـ " الأصول الخمسة " .

٣ - لقد أطلقت كلمة " شر " في القرآن مرادا بها معاني الكفر والشرك والضلال، أو ما يؤدي إليها، وكذلك جميع الأشياء التي تكون مؤذية للإنسان أو مؤلمة له، بقطع النظر عن عواقبها، وكذلك العذاب الأخروي، وأهوال يوم القيامة .

٤ - وقد جاء مفهوم " الشر " في السنة النبوية مستوعبا لكل أنواع المساوئ و " الانحرافات " العقيدية والفكرية والأخلاقية والسياسية

والاقتصادية ، وكذلك كل ما يطرأ على الإنسان ويؤذيه أذى ماديا أو معنويا ، ولما يحصل للكفار والعصاة في الآخرة من العذاب .

٥ - أنه يمكن أن يصدر الشر عن أي مخلوق معروف أو غير معروف ، وقد يطرأ على الإنسان ما يغير فطرته الخيرة ، فيتحول إلى مخلوق شرير ، تصدر عنه شرور معينة ، كالسحر والحسد وغيرهما .

٦ - وقد صار إبليس شريرا بعد خروجه عن أمر الله تعالى ، وكذلك الشياطين من ذريته وغيرهم ، وهؤلاء لا يصدر عنهم إلا ما هو شر أو ما يوصل إلى الشر ، وبكيفيات متعددة .

٧ - وقد وضحت السنّة أن للشرور مصادر عديدة من أنواع المخلوقات الكثيرة ، ومن أبرزها الإنسان والشيطان ، وقد أوردَت السنة عن ذلك تفاصيل كثيرة .

٨ - عامة المعتزلة يرون أن الشر هو الضرر الذي يمكن وصفه بأنه قبيح وهو الذي لا يعقبه نفع ولا عوض ، بينما السلف يطلقون وصف " الشر " على كل ما يصيب الإنسان وغيره من الأضرار والآلام بأبعادها المادية أو المعنوية في الدنيا والآخرة .

٩ - لقد آثر المعتزلة نفي خلق الله لأعمال العباد ، وفي مقدمة نفيهم لها : نفي خلق الشر ، وخاصة ما وصفوه بأنه " قبيح " بناء على مقاييسهم وأصولهم التي يعتمدونها .

١٠ - أكد السلف خلق الله لجميع ما في الكون من المخلوقات ، ومن بين هذه المخلوقات أفعال الناس ، بخيرها وشرها ، وحلوها ومرها.

وأن هذا الإثبات لا يَعْني ولا يُفهم - إطلاقا - باتفاق علماء السلف ، أي تجرؤ أو عدم احترام للذات الإلهية " المقدسة " .

١١ - اتفق كل من السلف والمعتزلة - في الجملة - على دلالة النصوص والحس على وجود الجن والشياطين ، واتجه المعتزلة إلى نفي بعض القضايا المتعلقة بهم ، بسبب التقيد بأصول معينة ، تعارفوا عليها ، أو تبناها بعضهم ، ولكن السلف أقروا بكل ما أثبتته النصوص أو الواقع أو هما معا ، التزاما بمنهجهم المشار إليه فيما سبق .

١٢ - تعمق المعتزلة كثيرا في بعض القضايا التي يبدو لي أنها صغيرة ، ولا تحتاج إلى أن تضخم أكبر من حجمها ، حيث يمكن أن تندرج تحت أحكام عامة .

١٣ - عدم اعتماد مفكري المعتزلة على السّنة كثيرا في عرض ومناقشة جزئيات العقيدة ، ومن ضمنها مسألة وجود الشر ، وما يدور حولها . على العكس من علماء السلف ، الذين يظهر منهم الالتصاق الشديد بنصوص القرآن ، ونصوص الحديث الموثقة ، بالإضافة إلى جمع النصوص المتعلقة بقضية ما ، والتأليف بين مفاهيمها ، مع إعطاء العقل المجال الرحب في الفهم والتحليل ، واحترام دوره ، وعدم رفعه فوق مكانته اللائقة به ، بخلاف المعتزلة الذين اعتمدوا على بعض النصوص من القرآن ، ولكنهم قدموا العقل وحكموه في أحوال كثيرة ، حتى في نصوص الشرع ، حيث أنكروا حجية أحاديث الآحاد أو حجيةَ بعضها . وهذا بالتأكيد

من أهم أسباب اختفائهم في العصور الأخيرة ، وزوال مذهبهم إلا من بطون الكتب . وإلا من أماكن ضئيلة منزوية من العالم الإسلامي .

١٤ - لقد فتح لي هذا البحث آفاقا واسعة تحتاج لمزيد من الدراسة والتعمق والمعالجة وغربلة الآراء ، ومن ثم الخروج باتجاهات أكثر وضوحا وأبعد أثرا في حياة المسلمين المعاصرة،مع الابتعاد - ما أمكن - عن أساليب البحث النظرية الافتراضية المجردة ، ومن الأمثلة على ذلك قضية الاستطاعة والكسب ، والحكمة في وجود بعض المخلوقات والشرور .

١٥ - لقد تأكد لي بعد هذا البحث أن مذهب السلف حيال كثير من المسائل التي تطرقتُ إليها خلال هذه الرسالة أنه الأرجح ، إن لم يكن هو الحق بلا منازع - وإن لم أوفق في معالجة بعض جوانبه ، أو لم أستطع إظهارها كما ينبغي - وهذا إذا لم يكن متبني هذا المذهب ليس بذي جمود أو تقليد أو سطحية أو تعصب .

١٦ - وإذا رجحنا طريقة السلف هنا في تناول تلك القضايا ، فليس معنى ذلك أن أئمة الاعتزال ومنظروه كانوا سيئين أو فاسدين، أو مريدي ضلال أو إضلال ، بل ربما كان العكس هو الصحيح عند أكثرهم - مع أن هذا ليس محلا لدراسة سيرتهم - سوى من اشتهر عنه الجور والظلم أو التهاون بالفرائض وعدم الورع وقلة

التدين ، وعذر هؤلاء المخلصين أنهم تأثروا بغيرهم أولا من ثم استمروا على هذا المنهج بعد اكتمال نضجهم بسبب الكثير من العوامل ، التي لا يتيسر للمرء تخطيها إلا بصعوبة ، ولا يتجاوزها إلا القلة من الناس .

دليـــل المراجـــــــع

دليـل المراجـــع

حرف الألف

١ - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري - ٦٠٦ هـ :

- جامع الأصول ، في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :
تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، نشر مكتبة الحوانـــي ، ومطبعة الملاح ، ومكتبة دار البيان ، الطبعة الأولـــى عام ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م .

٢ - أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - ٣٢٤هـ :

١ - الإبانة عن أصول الديانة :
تحقيق دار الأنصار ، طبعة أولى عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، مصر .

٢ - اللمع ، في الرد على أهل الزيغ والبدع :
نشره الأب/ رتشرد اليسوعي ، طبع المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٢م - بيروت .

٣ - مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين :
تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعـــة الثانية ، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م ، مكتبة النهضة المصريـــة ، القاهرة .

٣ - عمر سليمان الأشقـــر :

- عالم الجن والشياطين :
الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م مكتبة الفلاح ، الكويت .

٤ - محمد ناصر الدين الألباني :

- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وشيء من فقهها وفوائدها :

الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت .

٥ - شهاب الدين السيد محمود أفندي شكري الألوسي البغدادي - ١٢٧٠هـ :

- روح المعاني ، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :

المطبعة الأميرية الكبرى عام ١٣٠١هـ - ١٨٨٣م ، القاهرة .

٦ - إبراهيم أنيس - ١٣٩٩هـ :

- دلالة الألفاظ :

الطبعة الثالثة ، عام ١٩٧٢م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر .

٧ - القاضي عبد الرحمن بن أحمد الأيجي - ٧٥٦هـ :

- المواقف في علم الكلام :

نشر عالم الكتب ، بيروت (بلا تاريخ) ومكتبة المتنبي ، القاهرة ، مكتبة سعد الدين ، دمشق .

حرف الباء

٨ - أبو بكر محمد بن الطيب بن القاسم الباقلاني - ٤٠٣هـ :

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به :

تحقيق عزت العطار الحسيني ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، القاهرة .

٩ - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي - ٢٥٦ هـ :

١ - خلق أفعال العباد :

تحقيق وتقديم د / عبد الرحمن عميرة ، نشر دار عكاظ للطباعة والنشر (بلا تاريخ) جدة .

٢ - صحيح البخاري " الجامع المسند ، الصحيح المختصر ، من أمور رسول الله وسننه وأيامه :

طبع دار الشعب (بلا تاريخ) .

١٠ - صدر الإسلام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني التميمي - ٤٢٩ هـ :

- الفرق بين الفرق :

تحقيق وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر مكتبة محمد على صبيح وأولاده بمصر ، طبع مطبعة المدني (بلا تاريخ) ، القاهرة .

١١ - أبي القاسم البلخي - ٣١٩ هـ :

- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة :

اكتشاف وتحقيق / فؤاد سيد ، طبع الدار التونسية للنشر عام ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م ، تونس .

١٢ - الشيخ / صالح بن إبراهيم البليهي :

- عقيدة المسلمين ، والرد على الملحدين والمبتدعين :

طبع المطابع الأهلية للأوفست ، سنة ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى ، الرياض .

١٣ - أحمد بهجت :

- الله - في العقيدة الإسلامية :

المختار الإسلامي ، ١٩٧٦م ، القاهرة .

حرف التاء

١٤ - د / عبد السلام الترمانيني :

- حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية :

الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، بيروت .

١٥ - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - ٢٩٧هـ :

- جامع سنن الترمذي :

تحقيق : إبراهيم عوض ، الطبعة الثانية ، عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، شركة مصطفى الحلبي بمصر .

١٦ - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني - ٧٢٨ هـ :

١ - الحسنة والسيئة :

دار الكتب العلمية (بلا تاريخ) ، بيروت .

٢ - درء تعارض العقل والنقل :

الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، بمطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

٣ - مجموعة الرسائل الكبرى :

نشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده (بلا تاريخ) القاهرة .

٤ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :

جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، وساعده ابنه محمد .

مطابع الرياض - الطبعة الأولى عام ١٣٨٢ هـ ، الرياض .

حرف الجيم

١٧ - محمد السيد الجليند :

- قضية الخير والشر في الفكر الإسلامي ، أصولها النظرية ، جوانبها التطبيقية ، دراسة علمية لمسؤلية الإنسان في الإسلام :

الطبعة الثانية عام ١٩٨١م ، مطبعة مصطفى الحلبي ، بمصر .

١٨ - أنور الجندي :

- صفحات مضيئة من تراث الإسلام :

دار الاعتصام ، ١٩٧٩م ، القاهرة .

١٩ - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي - ٥٩٧هـ :

- تلبيس إبليس :

الطبعة الثانية ، عام ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨م ، إدارة الطباعة المنيرية ، مطبعة النهضة بمصر .

٢٠ - أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني - ٤٧٨هـ:

- العقيدة النظامية ، في الأركان الإسلامية :

رواية أبي بكر بن العربي عن الغزالي عن المؤلف .

تقديم وتحقيق وتعليق د / أحمد السقّا - نشر مكتبة الكليات الأزهرية عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، القاهرة .

٢١ - فضل الله الجيلاني :

- فضل الله الصمد ، في توضيح الأدب المفرد :

طبع المطبعة السلفية ، الطبعة الثانية ، عام ١٣٨٨ هـ، القاهرة .

حرف الحاء

٢٢ - الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ٨٥٢ هـ:

١ - فتح الباري ، شرح صحيح البخاري :

طبع المطبعة السلفية (بلا تاريخ) ، القاهرة .

٢ - لسان الميزان :

نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م ، لبنان - بيروت .

٢٣ - أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي - ٩٧٤ هـ :

- الزواجر عن اقتراف الكبائر :

طبع دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، (بلا تاريخ) ، بيروت - لبنان .

٢٤ - أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري - ٤٥٦ هـ :

- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، وبهامشه الملل والنحل :

طبع دار الفكر (بلا تاريخ ولا مكان) .

٢٥ - الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - ٢٤١هـ .

- الرد على الجهمية والزنادقة ، فيما شكوا فيه من متشابه القرآن ، وتأولوه على غير تأويله . ومعه كتاب السنة :

تصحيح وتعليق الشيخ / إسماعيل الأنصاري ،

نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، (بلا تاريخ) ، الرياض .

٢٦ - أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان - ٧٥٤هـ :

- البحر المحيط ، وبهامشه ، تفسيران جليلان ، أحدهما النهر الماد من البحر :

لأبي حيان ،

والثاني ، كتاب : الدر اللقيط من البحر المحيط :

لتاج الدين أحمد بن عبد القادر القيسي - ٧٤٩هـ .

الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة لأصحابها : عبد الله ومحمد الصالح الراشد (النشر بلا تاريخ) الرياض .

حرف الخاء

٢٧ - أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي -٣٨٨هـ :

- معالم السنن :

مطبوع مع مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ، وتهذيب الإمام ابن القيم ، بتحقيق أحمد محمد شاكر ، ومحمد حامد الفقي ، الطبعة الأولى عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م ، بمطبعة أنصار السنة المحمدية ، بالقاهرة .

٢٨ - عبد الكريم الخطيب :

- القضاء والقدر ، بين الفلسفة والدين :

الطبعة الثانية عام ١٩٧٩م ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٢٩ - أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر من خلّكان -٦٨١هـ :

- وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان :

تحقيق د / احسان عباس ، طبع دار الثقافة (بلا تاريخ)، بيروت .

٣٠ - د / مصطفى سعيد الخن وزملاؤه :

- نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين :

الطبعة الخاصة ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣١ - أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط - ٣٠٠ هـ :

- الانتصار ، والرد على ابن الروندي الملحد ، ما قصد به الكذب على المسلم والطعن عليهم :

طبع المطبعة الكاثوليكية ، عام ١٩٥٧ - بيروت .

حرف الدال

٣٢ - عبد الله بن بهرام الدارمي - ٢٥٥ هـ :

- سنن الدارمي :

طبع مطبعة الاعتدال ، عام ١٣٤٩ هـ - دمشق .

٣٣ - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني - ٢٧٥ هـ :

- سنن أبي داود :

مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية (بلا تاريخ ولا مكان) .

حرف الراء

٣٤ - الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي - ٦٠٤ هـ :

- تفسير الفخر الرازي ، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب :

الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بلا مكان) .

حرف الزاي

٣٥ - محب الدين محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - ١٢٠٥ هـ :

- تاج العروس ، من جواهر القاموس :

طبعة حكومة الكويت عام ١٣٩٣ هـ ، الكويت .

٣٦ - خير الدين الزركلي :

- الأعلام :

الطبعة الثالثة ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان .

٣٧ - عبد الكريم زيدان :

- أصول الدعوة :

الطبعة الثالثة ، عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت .

حرف السين

٣٨ - أحمد بن عبد الرحمن البنا - الساعاتي - ١٣٧٨هـ :

- الفتح الرباني ، ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني :

دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية (بلا تاريخ) لبنان - بيروت .

٣٩ - بسطامي محمد سعيد :

- مفهوم تجديد الدين :

رسالة ماجستير مقدمة لقسم الثقافة الإسلامية ، كلية التربية ، جامعة الرياض - ذو القعدة / ١٤٠١ هـ الرياض .

٤٠ - محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي - ١١٨٨هـ :

- لوامع الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية ، لشرح الدرة المضية ، في عقد الفرقة المرضية .. بتعليقات مفتي الديار النجدية ، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين - ١٢٨٢هـ ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق .

٤١ - سيد سابق :

- العقائد الإسلامية :
الطبعة الثالثة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م بمطبعة حسان ، نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

٤٢ - سيد قطب - ١٩٦٥م :

- في ظلال القرآن :
الطبعة الثامنة " الشرعية " عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار الشروق ،القاهرة ،بيروت .

٤٣ - أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا - ٤٢٨ هـ :

١ - الإشارات والتنبيهات :
دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) .

٢ - الهداية :
تحقيق د / محمد عبده ، الطبعة الثانية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، عام ١٩٧٤م ، القاهرة .

٤٤ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - ٩١١هـ :

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير :

طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م - بيروت .

حرف الشين

٤٥ - محمد بن علي الشوكاني - ١٢٥٠هـ :

١ - البدر الطالع ، بمحاسن من بعد القرن السابع :

الطبعة الأولى عام ١٣٤٨ هـ بمطبعة السعادة ، القاهرة .

٢ - تحفة الذاكرين ، بعدة الحصن الحصين ، من كلام سيد المرسلين - صلى الله عليه وآله وسلم :

طبع دار الكتب العلمية ، (بلا تاريخ ولا مكان) توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، بمكة المكرمة .

٣ - فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير :

طبع مصطفي الحلبي ، الطبعة الثانية ، عام ١٣٨٣ هـ ، مصر .

٤٦ - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - ٥٤٨هـ :

- الملل والنحل :

مطبوع بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل ، طبع دار الفكر (بلا تاريخ ولا مكان) .

حرف الصاد

٤٧ - محمد علي الصابونـــي :

- صفوة التفاســير :

الطبعة الرابعة ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م ، بيروت .

حرف الطاء

٤٨ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - ٣١٠هـ :

١ - تاريخ الأمم والملوك :

نشر دار القاموس الحديث للطباعة والنشر (بلا تاريخ) ، بيروت .

٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن :

طبع مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي عام ١٣٨٨هـ الطبعـة الثالثة بمصر .

٤٩ - د / محمـود الطحـان :

- تيسير مصطلح الحديث :

الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - دار القـرآن الكريم ، بيروت .

حرف العين

٥٠ - محمد فؤاد عبد الباقـي :

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :

مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، عام ١٣٦٤هـ ، القاهرة .

٥١ - القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمزاني - ٤١٥هـ :

١ - شرح الأصول الخمسة :

تحقيق د / عبد الكريم عثمان ، الطبعة الأولى عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م ، مكتبة وهبه ، بمصر .

٢ - فضل الاعتزال ، وطبقات المعتزلة . طبع الدار التونسية للنشر عام ١٣٩٣هـ - تونس .

٣ - المحيط بالتكليف ، جمع الحسن بن أحمد بن متوية .

تحقيق عمر السيد عزمي ، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر (الدار المصرية للتأليف والترجمة) (بلا تاريخ) ، القاهرة .

٤ - المغني في أبواب التوحيد والعدل :

تحقيق مجموعة من الدكاترة ، إشراف د / طه حسين .

نشر المؤسسة المصرية العامة ، للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، أول جزء صدر سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م وهو الجزء السادس / أ " التعديل والتجوير " مطبعة مصر ، القاهرة .

٥ - المنية والأمل :

المطبوع مع كتاب فلسفة وفرق المعتزلة باسم ، فرق وطبقات المعتزلة .

تحقيق د / علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي ، نشر دار المطبوعات الجامعية عام ١٩٧٢م ، مصر .

٥٢ - زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي - ٨٠٦هـ:

- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار :

مطبوع بذيل "إحياء علوم الدين" طبع دار المعرفة للطباعة والنشر (بلا تاريخ) لبنان - بيروت .

٥٣ - صدر الدين محمد بن علي بن أبي العز الحنفي - ٧٩٢هـ :

- شرح العقيدة الطحاوية :

الطبعة السادسة ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ ، بيروت .

٥٤ - أبو هلال العسكري - ٣٠٥ هـ :

- الفروق اللغوية :

طبع دار الكتب العلمية ، عام ١٤٠١هـ ، بيروت .

٥٥ - أبو الطيب محمد الشهير بشمس الحق العظيم أبادي - ١٣٢٠هـ:

- عون المعبود ،شرح سنن أبي داود :

تحقيق عبد الرحمن عثمان ، الطبعة الثانية عام ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م ، نشر محمد عبد المحسن (المكتبة السلفية) المدينة المنورة .

٥٦ - عباس محمود العقـــاد :

١ - إبليس :

منشورات المكتبة العصرية (بلا تاريخ) بيروت - صيدا .

٢ - معاوية بن أبي سفيان :

دار الإرشاد الحديثة (بلا تاريخ ولا مكان) .

٥٧ - أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي - ١٠٨٩هـ :

- شذرات الذهب ،في أخبار من ذهب :

طبع دار المسيرة ،الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، بيروت .

٥٨ - د / فيصل بديرعون :

- علم الكلام ومدارسه :

نشر مكتبة الحرية الحديثة ، جامعة عين شمس ، عـــام ١٩٨٢م ، القاهرة .

حرف الغين

٥٩ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - ٥٠٥هـ :

١ - إحياء علوم الدين :

نشر دار المعارف للطباعة والنشر (بلا تاريخ) بيروت - لبنان .

٢ - الأربعين في أصول الدين :

الطبعة الأولى عام ١٩٧٨م ، منشورات دار الآفـــاق الجديدة ،بيروت .

حرف الفاء

٦٠ - أحمد بن فــارس - ٣٩٥ هـ :

- معجم مقاييس اللغة :

تحقيق / عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى عـام ١٣٦٨هـ ، دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي وشركاه) ، القاهرة .

٦١ - كرلو الفونو فلينو :

- بحوث في المعتزلة (التراث اليوناني في الحضـارة الإسلامية) :

ترجمة عبد الرحمن بدوي - طبع دار العلم ، ١٩٨٠ م ، بيروت .

٦٢ - مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي - ٨١٧هـ :

- القاموس المحيط :

نشر المكتبة التجارية الكبرى ، طبع مطبعة السعـادة (بلا تاريخ) ، بمصر .

٦٣ - أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي - ٧٧٠ هـ :

- المصباح المنير ، في غريب الشرح الكبير للرافعي :

طبع المكتبة العلمية ، (بلا تاريخ) ، بيروت .

حرف القاف

٦٤ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - ٦٧١هـ :

- الجامع لأحكام القرآن :

الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٨ ، القاهرة .

٦٥ - شمس الدين محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية - ٧٥١هـ:

١ - أحكام أهل الذمة :

تحقيق صبحي الصالح ، مطبعة جامعة دمشق عام ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، دمشق .

٢ - إغاثة اللهفان ، من مصايد الشيطان :

تحقيق / محمد حامد الفقي ، طبع مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م ، مصر .

٣ - التفسير القيم :

جمع محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، طبع بمطبعة السنة المحمدية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م ، بمصر .

٤ - الجواب الكافي ، لمن سأل عن الدواء الشافي، المسمى " الداء والدواء " :

طبعة مصورة عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، نشر مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

٥ - زاد المعاد ، في هدى خير العباد :

الطبعة الأولى عام ١٣٤٧هـ ، المطبعة المصرية .

٦ - شفاء العليل ، في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل :

نشر مكتبة دار التراث عام ١٩٧٥م ، القاهرة .

حرف الكاف

٧ - مدارج السالكين ، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين :
تحقيق / محمد حامد الفقي ، طبع دار الكتاب العربي
عام ١٩٧٢م - ١٣٩٢هـ ، لبنان ، بيروت .

٦٦ - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير - ٧٧٤هـ :
- تفسير القرآن العظيم :
تحقيق عبد العزيز غنيم وزميلاه ، طبع دار الشعب
(بلا تاريخ) مصر .

٦٧ - عمر رضا كحالة :
- معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية :
طبع مطبعة الترقي ، عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م - دمشق .

حرف اللام

٦٨ - أبو لبابة حسين :
- موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها :
الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار اللواء
للنشر والتوزيع ، الرياض .

حرف الميم

٦٩ - أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة - ٢٧٥ هـ :
- سنن ابن ماجه :
حقق نصوصه ، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه ، وعلق عليه :
محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية
(عيسى البابي الحلبي وشركاه) ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م
، مصر .

٧٠ - أبو يعلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري - ١٣٥٣هـ:

- تحفة الأحوذي ، شرح سنن الترمذي :

الطبعة الثالثة ،عام ١٣٩٩هـ ، دار الفكر ، بيروت .

٧١ - أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري - ٢٦١هـ: النيسابوري الشافعي :

- صحيح الإمام مسلم :

تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي - طبع دار إحياء الكتب العربية ، (عيسى الحلبي وشركاه) الطبعة الأولى عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

٧٢ - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور - ٧١١هـ :

- لسان العرب : طبع دار لسان العرب (بلا تاريخ) ، بيروت .

٧٣ - أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري - ٦٥٦هـ:

١ - الترغيب والترهيب ، من الحديث الشريف :

الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م لبنان ،بيروت .

٢ - مختصر صحيح مسلم :

تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثالثة عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، المكتب الإسلامي ،دمشق ، بيروت .

٧٤ - أنيس منصور :
- حول العالم في ٢٠٠ يوم :
الطبعة الثانية عشرة ، عام ١٩٧٧م ، نشر المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، القاهرة .

حرف النون

٧٥ - عبد الرحمن بن شعيب بن علي النسائي - ٣٠٣هـ:
- سنن النسائي :
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع عيسي الحلبي وشركاه ، عام ١٣٧٢هـ ، ١٩٥٢م .

٧٦ - د / علي سامي النشار :
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام :
الطبعة السابعة عام ١٩٧٧م ، دار المعارف ، القاهرة .

٧٧ - أبو زكريا يحيي بن شرف النووى الدمشقي - ٦٧٦ هـ :
١ - رياض الصالحين ، من كلام سيد المرسلين :
تحقيق عبد العزيز رباح وزميليه ، الطبعة الثانية ، دار المأمون للتراث (بلا تاريخ) ، دمشق .
٢ - المنهاج ، بشرح صحيح مسلم بن الحجاج :
طبع المطبعة المصرية بالأزهر ، الطبعة الأولى عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م ، القاهرة .

حرف الهاء

٧٨ - السيد / أحمد الهاشمي :

- القواعد الأساسية ، للغة العربية حسب منهج متن الألفية لابن مالك :

دار الكتب العلمية (بلا تاريخ) ، بيروت .

٧٩ - (ابن هشام) أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري - ٧٦١هـ :

- أوضح المسالك ، إلى الفية بن مالك :

طبعة مبهمة ، بلا ناشر ولا طابع ، ولا تاريخ ولا مكان .

حرف الواو

٨٠ - عبد الرحمن الوكيل :

- هذه هي الصوفية :

الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

حرف الياء

٨١ - مقداد يالجن :

- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام :

الطبعة الأولى عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م ، مكتبة الخانجي بمصر .

دوريـــــــات

أ - مجلة الدعوة " المصريـــة " .

ب - مجلة المسلمون " اللندنيــة " .

جـ - جريدة الشرق الأوسط " اللندنية " .

دليـــل الموضوعـــــات

دليل الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحـــة

الموضـــــوع	الصفحـة

الموضـــوع | الصفحـة

الفصل الثانـي :

الموضــــــوع	الصفحـــة